

ضرورة محو الأمية التربوية

«بر الأولاد»

لفضيلة الشيخ

محمد بن إسماعيل المقدّم

حفظه

الجزء الثاني

المدرس الأول

«مهلك ليس ملك»

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذرياتهن وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد،
أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.
ثم أما بعد،

نعود لمدرسة مفصلة إن شاء الله وتكون هذه المرة مستوعبة كل جوانبها يمكن كانت أول محاضرة من حوالي اثني عشرة سنة؛ فللأسف الشديد ما أخذت حقها، وإن كان أحد الإخوة أرسل لي سؤالاً مربعاً يقول لي فيه إيه موضوع ضرب الأطفال هذا الذي تريد أن تتكلم فيه؟ هناك حاجات أهم بكثير.

موضوع ضرب الأطفال ليس القضية الأساسية بل هو موضوع من ضمن قضايا كثيرة في التربية لكن كان هذا الكلام يشير بفضاعة وهول ما نحن فيه من عدم إدراك خطورة قضية التربية. حينما عثرت تلك المرأة الأسيرة على ولدها الذي كان قد ضل عنها فلما وجدته ألصقته بها وأخذت تحتضنه وتقبله فقال النبي ﷺ في هذا الموقف بالذات وفي تلك اللحظة قال ﷺ: « أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا »^(١) فبين لهم أن الله ﷻ أرحم بعباده من هذه الأم بولدها.

الشاهد هنا في قوله: « أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ »؛ لا يوجد أب يريد أن يطرح أبنائه في النار لكن في الواقع هناك من يلقي أولاده ليس في نار الدنيا، وإنما في نار جهنم بأن يفرط في تربيتهم لإنقاذهم من النار وفي ذلك يقول الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فهدف التربية الإسلامية يختلف تماماً عن جميع أنواع التربية الأخرى؛ فجميع تعريفات التربية في المفهوم الغربي تلتقي حول إعداد الطفل ليكون قادراً على تحقيق رغباته الدنيوية أن يعيش متكيفاً مع

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المجتمع من حوله وأن يحقق ما يصبوا إليه لا تذكر فيها الآخرة على الإطلاق السلام النفسي الاستقرار التكيف إلى آخره لكن في دائرة الحياة الدنيا، الأمر الذي يختلف تمامًا مع الهدف الإسلامي من التربية؛ فالهدف الإسلامي من التربية أن يكون الأبناء عبيدًا لله ﷻ متحررين من عبودية غيره لأن هذا هو الغاية من الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) [الذاريات: ٥٦ - ٥٧].

وأول أمر في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١) ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣٠) لَا شَرِيكَ لَهٗ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٣١) [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

قضية التربية قضية هي أخطر القضايا على الإطلاق في المنظور الإسلامي هي قضية القضايا إن جاز لنا التعبير. جاء في الحديث قول النبي ﷺ «أَلَا لَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدٍ» (٢) كما رواه الدارقطني؛ فالإرشاد إن الأب لا يجني على ولده قوله مثلاً ﷺ «كَفَى بِالْمَرْءِ إِيْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ» (٣) التضضيع ليس فقط بالقوت والأموال والتقصير في هذه الناحية لكن أيضًا التضضيع أعم و«كَفَى بِالْمَرْءِ إِيْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ» كما قال النبي ﷺ.

صورت آيات كثيرة من القرآن الكريم خطورة موضوع التربية وإن الأطفال هم في الحقيقة هم مستقبل الأمة حينما يقول عباد الرحمن في دعائهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) [الفرقان: ٧٤].

المسلمون اهتموا بذلك، فالتراث الإسلامي حافل بقضايا تربوية في غاية الأهمية يكفي أنك حينما تدرُس أي قضية من القضايا التربوية ثم تقف على آثار علمائنا من السلف والخلف ونصوصهم فيها تجدها أروع بكثير جدًا مما يدندن حوله الباحثون العصريون سواء من الغربيين أو غيرهم ليصلوا في النهاية إلى ما لخصه العالم المسلم في جمل يسيرة جدًا، لكنها في غاية القوة؛ لأن التربية كانت شيء ممارس بطريقة عملية بعد ما رباهم الكتاب والسنة والصحابة رضي الله عنهم.

(٢) رواه الدارقطني من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه (صححه الألباني).

(٣) السنن الكبرى للنسائي، المستدرک على الصحيحين للحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقال الألباني (حسن لغيره).

وصل الأمر إلى أن بعض من المحسنين المسلمين كان يبذل أموالاً وقفاً على الأطفال الذين تضيع نفودهم مثلاً الأطفال الذين راحوا يشتروا حاجة أو العبيد أو الخدم راح يشتري حاجة ووقعت منه الفلوس أو ضاعت أو سرقت حتى يجبروا كسره ومصيبته ويؤمنه من العقوبة الشديدة في مثل هذا فأوقفوا الأموال إن الأطفال الذين يضيع منهم شيء فهذه الأموال وقف على هؤلاء الأطفال.

الاهتمام بالتربية اهتمام للجيل القادم وبالأطفال في الإسلام لا نظير له على الإطلاق يبدأ مبكراً جداً يبدأ أساساً من اختيار الزوجة التي ستكون أمّاً لهؤلاء الأولاد هذه الدلالة الحقيقية، يبدأ حتى عند اللقاء الزوجين باحتياط حتى لا يضر الشيطان هذا المولود أو هذا الجنين إذا خلّق.

يقول النبي ﷺ «مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَقُولَ حِينَ يُجَامِعُ أَهْلَهُ: بِسْمِ اللَّهِ جَنَّاتِ الشَّيْطَانِ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»^(٤).

فهذا إجراء تربوي، إجراء وقائي يبدأ مبكراً جداً «اللَّهُمَّ جَنَّاتِ الشَّيْطَانِ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا».

ولقد تكلمنا من قبل ومنذ زمن على خريطة الأمية التربوية وذكرنا أن الناس يتداعون وكل مكان لمحو الأمية أمية القراءة والكتابة، لكن أقل الناس هم الذين يعترفون بوجود أمية تربوية فضلاً عن أن يفكروا في محو هذه الأمية التربوية، مع أن الفارق خطير جداً بين أمية القراءة والكتابة وبين الأمية التربوية؛ فأمية القراءة والكتابة تنفّش في طبقات خاصة من الناس -طبقات معينة من الناس أو أنواع معينة من الناس-، أما الأمية التربوية فلا يسلم منها تقريباً كل فئات المجتمع؛ فتجد الأمية التربوية في ساسة وأساتذة جامعة ومعلمين وآباء وأمّهات فيه أشياء كثيرة جداً تجد نفّشي ظاهرة الأمية التربوية. ولو ذهبنا نعدد أخطاء المعلمين مثلاً أو غيرهم في هذه الناحية وما يترتب عليه من مشاكل نفسية في غاية الخطورة؛ فإننا عندنا رصيد كبير في مثل هذا الأمر.

أمية القراءة والكتابة شيء ظاهر يسهل التعامل معه ولكن الأمية التربوية مختفية؛ لأن المحضن الأساسي للتربية هو البيت وما أحد يتدخل في البيت ممكن يكون رجلاً فقيراً بسيطاً تربوياً، وممكن يكون لا يقرأ ولا يكتب لكنه يتعامل مع أولاده بطريقة سوية تخرجهم أصحاب نفسيين، لكن واحد ممكن يكون في أعلى درجات التعليم ويكون أيضاً أمياً في التربية فأيضاً يحصل الخلل في حياة أولاده.

(٤) رواه الدارمي بهذا اللفظ. ورواه البخاري ومسلم بلفظ «مَا مِنْ أَحَدٍ لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ.....» كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أنا لست أدعي أننا نمحو الأمية التربوية لكن الهدف من العنوان «محو الأمية التربوية» هو تسليط الضوء على هذه القضية والتداعي من أجل محاربتها ومحوها ومثل هذه القضية قضية «محو الأمية التربوية» قضية ليست محاضرة ولا اثنين ولا مائة حتى تعالجها لكنها تحتاج زمناً طويلاً وجهوداً مكثفة. المقصود بمحو الأمية التربوية بيان أهمية وضرورة محو الأمية التربوية حتى تنتقل القضية إلى دائرة الاهتمام فيسلط الضوء عليها وتُعطى القدر الذي تستحقه.

توجد عقبات في تناول هذه القضية في الحقيقة بالذات في المساجد لأن المساجد تتواجد فيها جميع المراحل العمرية من الرجال والنساء فطبعاً هذا يؤدي إلى أنه لا يتناسب مع تنوع مستويات الحديث وتعدد الآراء إن فيه كلام يقال مثلاً للمراهقين فقط وفيه كلام يقال للآباء وفيه كلام يقال للأطفال وهكذا كل فئة لها ما يناسبها لكن هذه أحد العوائق نجتهد في محاولة التغلب عليها وإن كان العالم الآن أصبح مفتوحاً وكل أحد يطلع على كل شيء كما تعلمون.

والمحور الأساسي المطلوب هنا في هذه القضية هو أهم شريحتين في الأمة الأطفال والشباب لماذا؟ لأن الأطفال بصفة أساسية ثم يليهم الشباب هم الطائفتان القابلان للتوجيه؛ لأن الأطفال عجيبة فيمكن تشكيلها، ممكن مبكراً جداً أن نقيها الكثير من الأخطار والأمراض والاضطرابات وهذه الأشياء؛ فلأنه عجيبة كل ما يكون الإنسان ينتبه إليهم مبكراً كلما يوفر المشاكل فيما بعد لكن الشباب بعد ١٨ سنة لا نسميها تربية لكن نسميها علاج أو تكوين، لكن التربية تكون في الفترة أساساً الست سنوات الأولى على إحدى نظريات التربية ويتم فيها حوالي ٩٥٪ من العملية التربوية من صناعة هذه العجيبة وتشكيلها ست سنوات الأولى التي تحظى لدينا بأكبر قدر من الإهمال؛ حيث نظر للطفل بأنه لعبة نلهم بها نتسل بها ونغفل القضايا التربوية في أخطر المراحل التي يتشكل فيها شخصيته في المستقبل، وحينما نتكلم عن مظاهر الخلل في قضية التربية إساءة للأطفال أو إيذاؤهم بالثقافة الغربية الحديثة أو الدراسات النفسية الحديثة أو جدت مصطلحاً أحياناً سنضطر نستعمل بعض المصطلحات باللغة الانجليزية في مجال استعمال مصطلح هذا ما في حرج فيه كاصطلاح بجانب إن بعض الناس ممكن يكون عنده هم فيبحث مثلاً في النت أو غيره عن مزيد من الاطلاع مصطلح نستعمله يقوله child abused an neglect في قضية الإساءة للأطفال فيستعملوها بوجهين:

وجه إيجابي ووجه سلبي يعتبروا الإساءة للأطفال أو الاعتداء عليهم يسموه تحت كلمة الإساءة أو الانتهاك.

الوجه الآخر من هذه الإساءة هذا الوجه الإيجابي سواء إيذاء بالضرب بالعدوان بالتحرش إلى آخر هذه الأشياء.

وهناك إساءة بالوجه الثاني والمفاهيم هذه تلتقي طبعاً مع الإسلام بل هي أوضح في الإسلام.

الإهمال: هذا نوع من الإساءة بعدم أداء بما يجب عليك أن تؤديه؛ سواء الإهمال العاطفي الحرمان العاطفي للأطفال من العواطف التي يحتاجونها الإهمال في التغذية الإهمال في الترفيه، الإهمال في النفقة أي شيء، الإهمال الصحي، عدم تعليمهم، عدم إعطاؤه التطعيمات... الخ، كل هذه مظاهر الإساءة للطفل ليس بطريقة فعلية لكن بطريقة سلبية لا يفعل ما يجب أن يؤديه فطبعًا هذا مفهوم جيد جدًا وشامل ويوضح القضية.

كما نقول دائمًا إن عدم العلم جهل، والخطأ في العلم جهل؛ إذا قلت مثلاً ما هذه (واحد قال لي هذه دبابة مثلاً أو هذه طائرة فمعناها لا أنه فاهم الساعة ولا فاهم الطائرة) فيذن عدم العلم جهل لما يقول لا أدري هذا جهل لكن لما يسميها باسم آخر فلا هو عارف هذه ولا عارف هذه فأيضًا الخطأ في العلم جهل.

تقول الدكتورة/ عزيزة المانع في قضية الوعي التربوي تقول: الوعي التربوي لدى أغلبنا منخفض جدًا، حتى عند المثقفين التربية لا تؤخذ مأخذًا جادًا كعلم يكتسب ومهارة تحتاج إلى تدريب. التربية العملية ليست سهلة نريد في البداية نعرف أنها علم وفن؛ الفطرة وحدها لا تكفي. الفطرة تقوم بدور مهم جدًا لكن لا تكفي كل شيء الآن في هذا العالم أصبح علمًا وفنًا في نفس الوقت يحتاج مهارة وتدريب واكتساب خبرات التربية لسنا نحن فقط الذين نربي أولادنا، سنكتشف من الدراسات إن الأولاد يربون لأننا نستفيد منهم وهناك خبرات لا تستطيع أن تحصل عليها إلا من خلال أن يكون عندك أولاد وتقوم بتربيتهم ومعايشتهم.

تقول: «الوعي التربوي لدى أغلبنا منخفض جدًا حتى عند المثقفين التربية لا تؤخذ مأخذًا جادًا كعلم يكتسب ومهارة تحتاج إلى تدريب، وإنما ينظر إليها أغلب الناس على أنها شيء تلقائي يدركه الفرد بإحساسه العفوي فإن أراد الاجتهاد أضاف شيئًا من خبراته المكتسبة وراثيًا عن طريق ما تعلمه من آبائه؛ ولافتقاد الخبرة المطلوبة والثقافة التربوية الصحيحة فإن الأغلبية يجهلون كيف يتعاملون بالأسلوب السليم مع أولادهم في هذا العصر الذي اكتظ بالمتناقضات وتزاحمت فيه الأضداد وأصبحت تتنازع الإنسان جوانب عدة واتجاهات مختلفة؛ فلا يجد الفتى أو الفتاة سوى التخبط أو الضياع عندما لا يكون هناك من هو كفء لقيادته إلى الطريق الصحيح عبر هذا الخضم المتلاطم من الأفكار والنزعات».

لو أردنا أن نرصد الخلل الذي ينشأ نتيجة إهمال قضية التربية نجد أنواعًا كثيرًا جدًا من الناس عند تناول هذه القضية ففيه ناس لا مبالاة مطلقًا بأي نوع من الواجبات تجاه أولادهم، من الناس من يهتموا جدًا بالدراسات التربوية لكن دراساتهم كلها دراسات أكاديمية تستغل على فهم الشخص العادي -الناس المستهدفة أساسًا بالتربية الجماهير العادية- فتجد كتب كثيرة في التربية تخاطب فقط المختصين؛ لأنهم جالسون في برج عالي ولهذا يوجد في قضية تناول هذه القضايا على مستوى المجتمع فئة

مهم جداً أن نحاول تسليط الضوء عليها المهمشون «التهميش» وهذه قضية وحدها ممكن بعد ذلك تتناولها وحدها.

مثلاً: كبار السن مهمشون، أطفال ذوي الاحتياجات الخاصة إلى حد ما وإن كان الآن يحصل فيه اهتمام كبير جداً بهم، لكن أيضاً اعتبروه من الطوائف المهمشة، بعض الأزواج ممكن يكونوا مهمشين في بيوتهم، وكذلك بعض الزوجات قد تكون مهمشة وهكذا فالناس المكونة على الهامش بعيداً عن صلب الحياة مع أن لهم حقوقاً كما ذكرنا من قبل يعني لا يوجد واحد عديم التربية ممكن نقول «عديم التربية الحسنة» لكن كل واحد يُربى لكن إما أن يربى بطريقة صحيحة وإما أن يربى بطريقة ضارة تسيء إليه.

كذلك من الناس من يحصل عنده افتتان نتيجة إنه أصلاً ليس عنده حصانة إسلامية ولا خبرة ثقافة إسلامية؛ فبالتالي ينهر بالمعطيات الغربية أو المنهج التربوي الغربي ويطبقونه بطريقة عشوائية في بيتنا وهذا بالضبط مثل المثل الذي ضربوه بتاع القرد حينما حصل سيل فالمياه فاضت وسمكة بدأت الأمواج تتقاذفها بعيداً عن مجرى النهر أو المياه فالقرد رآها وهي تحركها الأمواج فأخرجها من أجل أن يحسن إليها وينقذها وفصلها عن بيتها المائية فمات.

فنفس الشيء؛ الجماعة القردة الذين يقلدون ما عند الغرب ويطنون أن ما يصلح الغربيين يصلحنا، مع أن الهدف الأساسي في التربية به اختلاف بيننا وبينهم تماماً؛ فأکید الأساليب أيضاً ستختلف لأننا مختلفون. هم هدفهم كله مثل ما تكلمه عن موضوع الحضارة، ما هي الحضارة عندهم، كل حاجة عندهم الدنيا، كل الكلام يتركز على المباني والأجهزة وعلى الدنيا، ويهمل تماماً الكلام على الآخرة وهذا يتفق مع المنحى العالماني الذي لا يتصرف على أساس وجود دار آخرة، المسألة كلها أنه لا يوجد غير هذه الفرصة الوحيدة للحياة لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور ولا إله ولا شيء من هذا؛ فهذه نظرة العالمانية للحياة فمن ثم لا شك أن يحدث تفاوت بين المنهج التربوي الإسلامي في أهدافه أولاً ثم في وسائله فليس كل ما يصلح للغرب يصلح في المجتمعات الإسلامية.

من مظاهر الخلل أن بعض الناس ينظرون للتربية على أنها توفير الطعام والملابس، يقول: أنا أطعم أولادي أحسن الطعام وألبسهم أحسن الملابس إلى آخره، فهذه تربية الدواجن والبهائم، العلف فقط هذه تربية البهائم كأنك بتربي قط مثلاً، لكن تربية إنسان مكرم يكون عبداً لله ﷻ لا تقتصر على أن توفر الطعام والمؤن والعلف؛ لأنه ليس دابة، هذا إنسان مكرم بل هو المستقبل بعينه.

هناك التربية القاسية المتسلطة: فيها نوع من العنف والجفاء والشدة يقول: من أجل أن يطلع راجل إنه ينظر لابنه بعينه فالولد يرتجف فالتناس تحسن أن هذا ولد مؤدب أبوه ينظر إليه بعينه هكذا على طول يضع وجهه في الأرض إلى آخره.

ما الذي نريده من أولادنا؟!

هذا شيء مهم جداً ينبغي أن نلتفت إليه فيه على الجهة الأخرى التدليل المفرط هذا أيضاً إفساد للأولاد التدليل الزائد عن الحد الحماية الزائدة هذا أيضاً يتناقض مع الهدف من المنهج التربوي.

هناك من مظاهر الاعتزاز ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] يعتبر جزء من هويته التراث الذي خلفه آباءه بما أن أبي رباني بطريقة معينة فحتماً لا بد أن تكون هذه الطريقة هي الصحيحة، وإن هذه الطريقة يضيف عليها نوع من القداسة وأنها غير قابلة للنقاش مع أن الحقيقة خلاف ذلك.

من الخلل الموجود يسلم زمام التربية للأُميين. والأُميون ممكن أن يكونوا خادמות معلّات غير تربيوات.

أذكر وأنا الصغير كان أحد المدرسين قال لنا مرة «أخلاقك هذه لك أنت ما يهمني هو مستواك في مادتي، إنما الأخلاق هذه تخصك أنت» تسمع مدرسين آخرين طبعاً كلاماً متناقضاً تماماً مع هذا؛ فنفس المعلمين يحتاجون لتعليم وفاقده الشيء لا يعطيه ولذلك يقعون في مشاكل وخيمة. الإعلام يعتبر من العوامل التي تؤثر على موضوع أو مسار قضية التربية.

إنسانية الطفل حين يولد طفل هذا ككائن إنساني كان متميز جداً؛ ولذلك نجد فترة الحضانة بالنسبة للطفل البشري هي أعلى فترة حضانة في الوجود -سنتين- التي هي الرضاعة بخلاف أي كائن آخر معظم الكائنات الأخرى الموضوع ينتهي بسرعة وينتهي في الآخر بالاستقلال يعني الطائر حتى فترة معينة يلقنه أبوه في فمه بالطعام -العصفور أو شيء كهذا- ثم يعلمه الطيران ثم يبقى «لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو حِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٥)؛ ففترة الحضانة البشرية لخطورة هذا الكائن تحتاج تهيئة أكثر وعناية أكثر.

فالإنسان حينما يولد ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨] والإنسان لا يعلم شيئاً لكن هو مزود بالاستعدادات. الاستعداد، الذكاء، السمع، البصر، التفكير، وهكذا؛ فهو حينما يولد لا يوجد لديه أكثر من استعدادات والتربية هي التي تمنحها مقومات الإنسانية من الفكر واللغة والمشاعر ومعايير الخطأ والصواب.

والولد البشري لا يصبح إنساناً إلا إذا رباه إنسان مثله ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] فالوضع الطبيعي إن ابن الإنسان لا يصبح إنساناً إلا إذا رباه إنسان طبعاً

(٥) سنن الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (صححه الألباني).

سنضطر نستعمل مثال مشهور جدًا في عالم الأطفال وهو «طرزان» أليس كذلك! إنه لما تربى في وسط الحيوانات هل خرج إنساناً عنده الاستعداد لكن صار يصرخ كالحیوانات مجرد تقرب للفكرة؛ فهو لا يكون إنساناً إلا إذا رباه إنسان.

وكما قلنا إن الخطوط العريضة في شخصية الطفل تُرسم في السنوات الست الأولى من عمره وهو يولد لكن أول ثلاث سنوات هذه مرحلة ولادة ثانية لهذا الإنسان الفترة التي نغفل عنها تمامًا ولا نعطيها أي قدر من الاهتمام، لا شك أن مهمة الأسرة التربوية في ظروفنا الراهنة تقابلها تحديات جسام بالذات الآن في عصر العولمة؛ لأن العولمة أصبحت تهمش سلطان كثير من المؤسسات التربوية، هُمشت الأسرة، المدرسة، المجتمع؛ لأن العولمة بتشجع على التمرد على الأعراف وتوسع جدًا دائرة الخيارات الشخصية ودائرة الحرية الفردية باعتبارها وليدة العالم الرأسمالي الذي يقوم على الفردانية المحور الفرد نفسه أن يستوفي احتياجاته واختياراته.

وإذا نظرنا للأمة الإسلامية فالثروة العظمى التي تملكها الأمة الإسلامية لا تتمثل للأسف طبعًا في التقدم العلمي التقني ولا في الثروات المادية في المقام الأول، بل هي أعظم ثروة تملكها الأمة الإسلامية هي في أمرين

أولاً: المنهج الرباني الذي كرمها الله ﷺ به.

ثانيًا: العنصر البشري المتعاضم؛ فالمسلمون كموارد بشرية يملكون أو يمثلون تقريبًا خمس أو ربع سكان العالم كموارد بشرية هذه جناحًا آخر من الثروة الإسلامية التي يعمل لها أعدادها ألف حساب، ومع وجود هذه التحديات إلا أن الأسرة تعتبر أهم مؤسسة تربوية على الإطلاق رغم المزاومة والمنافسة لكن لا تزال الأسرة المحضن الأول التي تحضن الطفل في المرحلة الأولى هي مرحلة الطفولة الباكرة التي هي أخطر سنوات عمره.

الأسرة هي الحصن الأخير الذي لا يزال لأهله نوع من السيطرة عليه وإذا كانت البشرية تتقدم في التقنية لكن تقدم الأخلاقيات والسلوكيات إما أنه بطيء وإما أنه معدوم.

فالتقدم التقني المدهش خاصة في مجال الاتصالات أصبحت بيئة مفتوحة لكنها بيئة ملوثة، هذا ترك أثرًا سلبيًا على البيئات التربوية التقليدية.

حينما نتناول قضية التربية بالنسبة للمنهج الإسلامي هناك محور في غاية الأهمية في قضية التربية

والإسلام يعطيه مقامًا عظيمًا جدًا حتى إذا كان الهدف من الخلق هو العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهذه العبادة لخصها النبي ﷺ في قوله «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٦)

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ فأى هدف تريد أن تحققه بالدعاء يحتل أقوى أسلحة المؤمن؛

يقول النبي ﷺ «أَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ وَأَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»^(٧)

أبخل الناس من بخل بالسلام يعني إلقاء السلام فيه ثواب عظيم جداً بل إن إلقاء السلام سنة والإجابة واجبة لكن هذه من الاستثناءات التي يكون فيها ثواب السنة أعظم من ثواب الواجب أن تبدأ بالسلام فيكون لك الثواب العظيم ومع ذلك واحد يبخل بالسلام فهو أبخل لأنه لا يكلفه شيئاً مع أنه سينال به ثواباً عظيماً.

كذلك أعجز الناس من عجز عن الدعاء، الدعاء عبادة من أسهل العبادات قلب يدعو موافقاً باللسان بصدق وإخلاص والله سبحانه وتعالى تكفل بإجابة هذا الدعاء هو سبب من أهم الأسباب الارتباط بالله سبحانه وتعالى والاتصال بالله عن طريق الدعاء من أعظم أسباب تحقيق الآمال ولذلك نجد أن الأنبياء مع أن الأنبياء حُمِّلُوا المنهج التربوي وإنما رباهم الله سبحانه وتعالى بالوحي وحسن التشئة والإنبات الحسن لكن مع ذلك نفس الأنبياء كانوا يستعينون بسلاح الدعاء ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

مريم لما مدحها الله، مدحها بماذا ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] هذا ثناء على التربية البكرة الحسنة فمن الأسلحة المهمة جداً في قضية التربية الاستعانة بالدعاء وبالذات الدعاء المذكور في القرآن الكريم أو في السنة النبوية؛ لأن هذا السلاح من أقوى الأسلحة التي اختص بها المسلمون فهذا مجال واسع إذا أردنا أن نستقصي أنواع الأدعية في القرآن والسنة المتعلقة بالذرية وصلاح الذرية نجد من ذلك كثرة كاثرة.

(٦) سنن أبي داود من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه (صححه الألباني).

(٧) رواه ابن حبان موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه (صححه الألباني).

هذا الإنسان كائن متميز هو عبارة عن روح وإرادة حرة كما أنه يحمل خصائص وراثية ذهنية ونفسية يرثها عن أبويه يعيش في بيئة ذات معطيات محددة تؤثر فيه ويمر بأحداث حياتية خاصة به. المقصود من هذا كله خصائص الإنسان في هذه الصورة نريد أن نصل إلى إن كل واحد من الناشئة أشبه بحالة خاصة أو بمخطوطة فريدة متميزة عن غيرها وهذه نقطة مهمة جداً في التربية إن كل إنسان له كيانه القائم به، صحيح هو مكون من روح من إرادة مكون من جينات تحمل خصائص وراثية يرثها عن أسلافه إلا أنه أيضاً يوجد في بيئة تتفاعل تؤثر فيها وتؤثر فيه فيكتسب من خلال الاحتكاك بهذه البيئة المعيشة فيها أشياء بجانب التجارب الشخصية التي يمر بها هو نفسياً تشكله؛ فمن ثم مثل ما الإنسان له بصمة في الإبهام وبصمة الصوت وبصمة العين التي تميزه عن غيره فكل إنسان نفسياً أيضاً له نوع من التفرد بصمة الشخصية يقول أنا مستعد للموافقة على ذلك والقاعدة في الآباء أنهم يحبون أولادهم ويضحون من أجلهم.

لكنني أضيف لا يكفي أن نحب إنما ينبغي أن نتساءل كيف نحب، وفيما بعد إن شاء الله سنقف وقفة عن التربية بالحب يقول لا يكفي أن نحب إنما ينبغي أن نتساءل كيف نحب لا يكفي أن نضحى إنما ينبغي أن نتساءل كيف نضحى ولماذا في النهاية نضحى؟

بعبارة أخرى يجب أن نتساءل عن نوعية حبا فهناك «حب يُحيي وحب يميت».

هناك مثل يقول «ومن الحب ما قتل» هناك حب يحيي وهناك حب يميت يقتل، هناك حب يحرر ويطلق وحب يكبل ويخنق، فما هو نوع حبا كلنا ولا شك نود أن نحب أولادنا الحب الصحيح الحب الذي يحييهم وينميهم ويحررهم ويسعدهم، لكن علم النفس الحديث كشف لنا أن هناك دوافع لا شعورية إلى حد نابعة من كوامن أنفسنا متأصلة أحياناً في رواسب طفولتنا وآثار تربيتنا كثيراً ما تختلط بالحب الوالدي لتحوّل لدرجات متفاوتة عن غايته الأصلية.

يمهد هنا لقضية أن هذه الرواسب الكامنة فينا تأثير التربية وغيرها ورواسب الطفولة الجذور التي تكون في الطفولة هي التي تجعل الواحد أحياناً يحول الطفل بدل أن يكون غاية يستعمله كوسيلة، هذا الذي يمهد إليه يقول نحن نعلم أن أولادنا مجموعة متناقضات تحيرنا أحياناً خاصة في مرحلة المراهقة، ولكننا من جهتنا لا نخلو من هذا التناقض الذي نشكو منه عند أولادنا وقد نعي أحياناً بعض مظاهره فمن منا لم يختبر مثلاً أنه يود أحياناً لو يهب أولاده حياته وأغلى ما لديه.

الحالة الثانية لما يغضب يضيق بهم ويتبرم لأقل إزعاج يلحقه منهم أو لأية هفوة ارتكبوها تارة يمنحهم بسخاء ولهفة وقته وجهوده وما ملكت يده ونفس الأب في مرحلة أخرى في ظروف أخرى يمن عليهم ما ضحى من أجلهم وما صنعه من أجلهم في سياق المن، أليس هناك تناقض؟!!

فنفس التناقض يشتكى منهم فيه نقع نحن في هذا التناقض تارة يعتبرهم قرة عينيه وفوراً
يعتبرهم عبئاً عليه تارة يتلقى برحابة صدر ما يصدر عنهم من مشاغبة وطيش وفوراً يحاسبهم بلا رحمة
على كل شارة وواردة.

هذه كلها ليست سوى مظهر لتناقض أعمق كامن في صميم حبنا لوالدينا تناقض لا نعيه في كثير
من الأحوال، ولكنه يحدد سلوكنا وتصرفاتنا وإذا شئنا أن نحدده قلنا إنه تناقض بين موقفين أحدهما يعتبر
أولادنا وسيلة والآخر يعتبرهم غاية.

هذان الموقفان سوف اتوسع الآن في وصفهما، وقبل الشروع بذلك أود أن أوضح أن التناقض
بينهما قائم لا محالة في كل حب والدي، إلا أن حدته تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال؛ ولذا
فالفئات التي سوف أصفها كنماذج عن المواقف الوالدية ليست تصنيفاً للوالدين بقدر ما هي تمييز
للنزعات المختلفة المتضاربة التي تتنازع قلب كل والد وكل والدة.

لا جدوى من الارتياح أمام هذا التناقض يعني لا يفاجأ أحد حينما ينتبه لأن فعلاً فيه تناقض في
تصرفاته أحياناً كموقف والدي من الأبناء المهم هو أن نتبه إلى قدر الإمكان إلى وجوده فينا أول شيء
يكون عندنا بصيرة جذور هذه المواقف ومن أين أتت، فعندما يكون عندنا بصيرة فإن هذا سيساعدنا إلى
إيجاد النزعة السليمة والموقف الوالدي السليم ألا وهي -أي النزعة السليمة- تلك التي تعتبر الولد غاية
بحد ذاته على التغلب على النزعة المنحرفة التي تعتبره وسيلة.

يبدأ يفصل في الناس الذين يتصرفون على أنه وسيلة: كثيراً ما نحن مجربون بأن نعتبر أولادنا
بصورة لا شعورية إلى حد ما وسائل لتتيمم مقاصدنا وتحقيق ما نصبو إليه ذاتياً -يعني يسحق شخصية
الولد وهو الذي يفرض عليه مواقفه واختياراته-.

هذا الكلام قد يبدو غريباً لأن الحب الوالدي هو تحديداً حب شريف متفان، لكن علم النفس
الحديث علمنا أن ندقق في أصالة حبنا وتفانياتنا التي كثيراً ما تشوبها نزعات أنانية قد لا نفطن تماماً إليها
لكنها تتول إلى تجريد الولد من فرادته كشخص إنساني؛ لأنه يتصور أنه ملكه وينسى أن له بصمته
وشخصيته وكيانه وأن وظيفة التربية أن تساعد على الاستقلال على حد قول الأب المربي الفاهم لما يقول
لابنه المراهق «كن رجلاً ولا تتبع خطواتي» خليك راجل لا تمشي ورائي ووراء خطوات رجلي تقلدني،
كن رجلاً هذه هي الرجولة ولا تتبع خطواتي.

يقول هذه النزعات الأنانية قد لا نفطن تماماً إليها لكنها تتول إلى تجريد الولد من فرادته؛ -
فرادته أي التفرد- وتفرد، كشخص إنساني وتحويله إلى شيء ندعي امتلاكه -شيء نملكه-.

هذا ما قاله نيتشه حينما كتب بشيء من التشاؤم إن الوالدين يجعلون لا إرادياً من أولادهم شيئاً
على شاكلتهم ثم يسمونه تربية؛ فليس من والده تشك في قرارة نفسها أن الولد الذي أنجبته هو ملك لها.

ساعات الأم تغذي فيه الجوانب الطفولية بحيث يُفطم من الرضاعة، لكنه لا يفطم فطامًا نفسيًا فهي تستمتع بارتباطه بها ثم لما يتزوج تحصل مشاكل؛ لأنه لم يفطم. الحبل السري الحسي انقطع بمجرد ما ولد لكن الحبل السري النفسي امتد إلى العشرينات والثلاثينيات ويمكن أكثر من هكذا.

أحد الإسلاميين مؤلف كتاب عجيب جدًا عنوانه موجه يقول: «الرجل يبقى طفلًا إلى حين تموت أمه» -كارثة- هذا العنوان يقول الإنسان يبقى طفلًا إلى أن تموت أمه يعني لو أمه ماتت وعنده ٦٠ سنة وما زال طفلًا أيضًا أو أربعين مثلاً حتى أقل من ذلك؛ فعملية الشيت ساعات الأم تدعم الطفولة من أجل أنها تريد ابنها محتاج لها دائماً؛ لأنها أنانية، هذا شعور أناني ومهمة التربية الصحيحة إنك تخرج منه شخصاً متميزاً قادراً على أن يواجه الحياة بنفسه، لا يكون شخصية اعتمادية ونحن عندنا الاعتمادية في مجتمعنا سيئة للغاية، مع أن هذا ضد مفاهيم الإسلام الطفولة الاقتصادية عندنا تطول جداً من أجل أن يخلص الكلية ويمكن أكثر من هذا، وبالتالي تؤثر في النمو النفسي بلا شك.

يقول «فليس من والد تشك في قرارة نفسها أن الولد الذي أنجبته هو ملك لها وليس من والد يحرم نفسه من حق فرض مفاهيمه وأحكامه المعيارية على ولده حتى إنهم كانوا فيما مضى يعتبرون مشروعاً أن يتحكم الآباء على هواهم بحياة أو موت الطفل المولود حديثاً». عند القدماء الألمان عندهم حق إنهم يقتلوا الولد هذا أوه يتركوه حي.

شوف التحكم في الملكية إلى أي مدى طبعاً موجود كان في الجاهلية في قضية الوأد أيضاً. «وقد أثبت آلاف الحالات المرضية التي يعالجها الأخصائيون في العلاج النفسي عند الأولاد المراهقين أو الراشدين أن هؤلاء كثيراً ما تأذوا من حب والدي»

ساعات الذي يقتل الحب الذي يقتل كما قلنا فيه حب يحبي وفيه حب يميم يقتل؛ «فكثير من الناس الذين كان عندهم مشاكل نفسية نشأت من أن حب الوالدين لم يكن خالصاً، وأن التفاني لم يكن أصيلاً؛ لأن هذا وذاك كانا يتخذان الولد وسيلة لقضاء حاجة عند الوالدين وسد فراغ ما في وجودهم بحيث لم يتح للولد أن ينمو وفق طبيعة خاصة وأن ينطلق كشخصية مستقلة، بل اعتبر مجرد صورة للوالدين وامتداداً لهما فضربت بحاجاته ورغباته وخصائصه عرض الحائط، كل ذلك دون أن يشعر والداه بما في موقفهما هذا من أنانية مستترة؛ لأنها كانا يجدان له أفضل المبررات ويعتقدان عن حسن نية أنهما إنما يعملان لصالح ولدهما وخيره وبناءه».

ثم يدل على هذا الحب الذي يقتل أو يشل أو يقيد بمظاهر متنوعة. «مثلاً قد نرى في أولادنا فرصة للشعور بأننا مهمون وضروريون لأن هناك من هو بحاجة ماسة إلينا فما أحوج الطفل إلى والديه؛ إذ بدونها ليس بوسعه أن يحيا وينمو إنه منها يستمد ما لا غنى له عنه

من غذاء وحماية ودفع عاطفي وأسس المعرفة وأساليب العيش وشروط نشوء العقل ودعائم بناء الشخصية».

«تبعية الطفل هذه التي تدوم رغم تناقصها التدريجي سنين طوال ترضي لا شك في الوالدين حاجتهما إلى الشعور بأنهما مهمان، وبأن وجودهما له وزنه وتبريره. هذا أمر طبيعي -إن الطفل محتاج إلى أبويه-؛ فهذا أمر طبيعي ومشروع شرط ألا تتضخم هذه الحالة إلى حد اتخاذ الطفل مجرد مبرر لها عوضاً أن تسخر لخدمة نموه فهذه الحاجة المفروض أن تكون أنت مهم في حياة الطفل؟

نعم. لكن أنت مسخر لأن تنميه لا أن ينزلق الأهل إلى استغلال تبعية الولد لتأكيد ذواتهما على حسابه بحيث يسعيان بصورة لا شعورية إلى تخليد هذه التبعية يرغبون أن هذه التبعية تكون خالدة لآخر لحظة في الحياة (التبعية) إلى تخليد هذه التبعية عوض أن يقوم بدورهما الطبيعي.

ما الدور الطبيعي للأبوين؟

مساعدة الولد على تجاوز فترة الالتصاق بهما والاحتياج إليهما تدريجياً للتوصل في النهاية إلى الاستغناء عنهما يبقى مهمة الأبوين أن ينموه من أجل أن يصل في النهاية إلى الانفصال أو تعبير أدق الاستقلال ولا يصير تابعاً؛ فمشكلة أنانية الأبوين أو الحب الذي يقتل أنه يستغل هذه الحاجة في تخليد التبعية، هو يريد منه تابعاً إلى الأبد؛ فقد يراد الوالدين شعور غامض بأن ولدهما كلما نما وازداد طاقته على تدبير أمور نفسه وقوي شعوره باستقلاله الشخصي إنما يفلت من أيديهما وقد يعتريهما من جراء ذلك جزع نابع من إحساس بفقدان أهميتهما، وقد يثول ذلك إلى الحيلولة دون قبول الوالدين في قرارة نفسيهما بنمو الولد.

الولد لما يكبر وينمو سينمو غصباً عنهم مثل ما جسمه لا تستطيع توقف نموه، كذلك عقله وشخصيته ونفسيته ونموه الاجتماعي والنفسي كله ينمو.

فهل يصلح واحد يضغط على ابنه من أجل أن يوقف طوله يكبسه هكذا ولا غصب عنه سينمو؟ فما يحصل إنه يتجه للنمو فالأب غير السوي صاحب الحب الأناني القاتل يريد أن يجعل التبعية يجزع أحياناً ممكن في قرارة نفسه من نمو الولد بحيث يتمنيان لا شعورياً لو يبقى طفلاً عاجزاً إلى الأبد ليبقى في كنفهما مشمولاً برعايتهما.

وقد يستجيب الولد لهذه الرغبة العميقة التي يلتقطها لا شعورياً في أعماق نفس والديه؛ إذ تتجل في سلوكهما تجاهه من حيث لا يدريان.

فما يحصل أنه يتوقف عن النمو في هذا المجال أو في ذاك من عالمه النفسي يبقى جسمه جسم رجل لكن نفسه نفس طفل ما زال يرضع من أمه رضاعاً نفسياً لم يفطم والمشاكل لو تزوج.

فقد يبقى مثلاً حتى بعد بلوغه المراهقة طفلاً بعاطفته تابعاً للوالدين لا يجزؤ على القيام بأية مبادرة ولا يجسر على التطلع خارج دائرة العائلة قد يُسرّ الأهل بوضع كهذا ويتباهون بأن ولدهم عاقل، يعتقدون أنهم نجحوا في تربيتهم له كل النجاح، معتبرين تبعيته طاعة -هذا ولد مطيع هذا ولد مؤدب-؛ لأنه مسحوق تماماً في شخصيتهما ولا يعطي فرصة إنه ينمو ككائن متفرد متميز له خصائصه فيعتبرون تبعيته طاعة وخجله تأدباً وبلادته هدوءاً، غير مدركين أنهم بالعكس فشلوا في مهمتهم التربوية؛ لأنهم جعلوا من ولدهم كائناً لم تكتمل إنسانيته لم يتركوه ينمو نفسياً وشخصياً واجتماعياً إلى آخره، فجعلوا من ولده كائناً لم تكتمل إنسانيته غير قادر على شق طريقه في عالم الراشدين ومواجهة صعاب الحياة. وقد يتأخر الولد الخاضع لمثل هذا التأثير الوالدي في دروسه لأن ذلك يعيق نموه ويرضي بالتالي رغبة والديه العميقة.

في تلك الحال يفضل الولد لا شعورياً أن يتخلى عن نموه كي لا يفقد عطف الوالدين، لكنه في الوقت نفسه يتنقم بصورة لا واعية من الاستلام اللاحق به من جرائمهما؛ إذ يذلها بعجزه وتقصيره، ويقلقهما بتخلفه المدرسي.

كل ذلك من شأنه أن ينبهنا إلى أن الحماية المفرطة للولد وهي شائعة في عائلتنا يبقى واحد عنده ١٢ سنة ولا يتركه أبوه يعبر الطريق إلا لازم يمسكه في يديه خائف عليه لا السيارات تصدمه يعني ١٢ سنة أو ١٦ سنة، ولا يزال يمسكه من يديه ويجري به، أو الذي يحصل في الامتحانات الأم التي تذهب تقف تطلع معه في الثانوية العامة أو حتى في امتحان النقل وتقف أمام باب المدرسة منتظرة حتى يخرج إلى آخره وتجد جمهرة من الأمهات.

هذا هو الخلل في الحماية الزائدة تربي فيه الاعتمادية وتبقيه طفلاً الحماية المفرطة للولد وهي شائعة في عائلتنا وإن كانت تتخذ لنفسها شتى المبررات، إنما ترضي عادة رغبة خفية عند الوالدين لامتلاك أولادهم وقد تلحق ضرراً بالغاً بهؤلاء؛ إذ تحول دون انطلاقهم في خط النمو وتحكم عليهم بالاتكالية وعدم الثقة بالنفس. وتنقلب في النهاية على هدف التربية البعيد.

لأن هدف التربية أساساً مثل ما واحد يتخرج من أي جامعة في الآخر يبقى تخرج ينفصل، نفس الشيء الهدف إنك تربيته تربية سليمة ليهيئ بعد ذلك لأن يستقل في حياة الراشدين فالحماية الزائدة أنه يريد أن يظل محتفظاً به بالحماية الزائدة والتدليل الزائد عن الحد من أجل أن يفضل طفل والأم والأب يستمتعوا بهذه الملكية تحول دون انطلاقهم في خط النمو وتحكم عليهم بالاتكالية وعدم الثقة بالنفس وتنقلب في النهاية على هدف التربية البعيد، ألا وهو تمكين المربى من الاستغناء تدريجياً عن مربيه والوقوف على رجليه في معترك الحياة ومواجهة مسؤولياتها.

صورة أخرى من هذه الصور التي تعتبر الولد وسيلة وليس غاية -وسيلة- قد يرى الوالدون في الولد واسطة لممارسة سطوتهم على من هو أضعف منهم، حيلة نفسية اسمها «الضابط يقهر العسكري» يقوم العسكري يروح البيت يعمل إيه مع زوجته يزيحها.

يقول: قد يرى الوالدون في الولد واسطة لممارسة سطوتهم على من هو أضعف منهم، وطبعاً الطفل فعلاً ضعيف؛ لأنه محتاج للوالدين في كل شيء، بحيث يعوضون عن شعوره بالنقص قد يكون تأصل فيهم بفعل ظروف طفولتهم وتغذية أوضاعهم الحالية من مهنية واجتماعية وغيرها.

قد يرى الوالد في سطوته على أولاده تنفيساً عن الضيق الذي يشعر به من جراء مضايقة رب العمل له في عمله أو بسبب عجزه عن تحقيق طموحاته أو معاناته من الظلم الاجتماعي، وقد ترى الوالدة في تسلطها على أولادها تعويضاً عن التبعية التي تعيشها؛ فمن ثم أحياناً الأب يتشبث بشراصة بتنفيذ إرادته مهما كلف الثمن وكأن القضية ليست قضية توعية الولد إلى ما فيه خير وتوجيه إرادته إلى ما يلاءم مصلحته الحقيقية ويساعده على تحقيق ملء إنسانيته إنما القضية تحطيم إرادة الولد لتثبيت إرادة الوالدين -يلغيه تماماً- تحطيم إرادة الولد مثل أنا قلت هكذا ولازم تبقى هكذا، طيب الموضوع الفلاني ليه؟ لأن أنا قلت هكذا؛ فالقضية أصبحت مجرد أنه يشبع حاجة في نفسه كأنها قضية صراع لا بد أن يخرج الوالدون منه منتصرين ولو لم يكونوا على حق مبررين سلطوتهم بشتى الذرائع التربوية معتبرين كل الأساليب مشروعة في سبيل تثبيتها من الضرب الموجه إلى تحقير الولد وإذلاله ومحاولة إقناعه بأنه لا يفهم شيئاً ولا ينفع شيئاً.

ما هي نتيجة موقف كهذا الخطر الكبير بأن يقود إلى أحد احتمالين:

فإما أن تتحطم شخصية الولد وقد يصبح طيلة العمر كائناً تخيفه الحياة غير واثق من نفسه، تنقصه الشجاعة والإقدام، لا يجرؤ على تأكيد ذاته بشكل طبيعي في العلاقات البشرية، واحتلال مكانه المشروع بين الناس؛ لأنه لم يتح له أن يؤكد ذاته تجاه والديه مما يقوده إلى الفشل في كثير مما يحاول تحقيقه وإما أن يحدث تسلط الوالدين يحدث في نفس الولد فعل ثأر عنيف الولد يصبح بركان يغلي فيتستر وراء احترام ظاهري للأهل ممكن ينفس عن طريق إنه ينفس في أعمال قسوة إما مع أصدقائه أو مع الحيوانات. هذا الذي يقدر عليهم لكن لن يقدر أن يرد على أبيه فيعمل أيضاً إزاحة للأضعف منه يضربون الحيوانات ويعذبوهم يتلذذون بتعذيبهم أو يضرب أصدقاءه لكن من داخله شعور بالقهر فيتستر الشعور بالثأر العنيف وراء احترام ظاهري للأهل إلى أن ينفجر عند المراهقة نقمة عارمة مدمرة قد تشمل ليس الأهل فحسب، بل كل رمز للسلطة أي رمز سلطة عليه يتذكر مكانه من أبيه سواء في المدرسة في شغل في أي شيء من هذا.

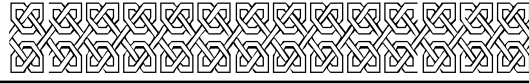
الحقيقة كنا نود أن نكمل هذا الموضوع بالذات لكن لا يزال هناك بقية.



أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبْحانَكَ اللهم ربنا وبحمْدِكَ أشْهَدُ أنْ لا إله إلا أنت
أستغْفِرُكَ وأتوبُ إليك.

المدرس النازية

«احتياجات الطفل النفسية»



الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى لاسيما عبده المصطفى وآله المستكملين الشرف
أما بعد،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم أما بعد،
فكما ذكرنا من قبل إن التربية علم وفن والمربي الناجح هو الذي يفقه هذا العلم ويتقن مهاراته
ويبدع في فنونه.

بعض الناس يعتقدون خطأ أن التعامل مع الأطفال وتربيتهم من أسهل الأمور وفي الحقيقة كما
ذكرنا هي علم له قواعد وله أصول وله فن ونحن الآن في عصر كل شيء أصبح علماً وفناً فالعجب من
أمة تأبى أن تضع قطعة من حديد وهي السيارة بيد من لا يملكون علماً ولا خبرة ولا مهارة حينما تريد أن
تصلح السيارة فإنك تعتمد إلى المختص في الإصلاح في حين أنك تتساهل في أن تضع أبنائك بيد من لا
يفقه في التربية حرماً.

وقد رأينا في الواقع العملي كيف أن بعض المدارس في وقت من الأوقات كان أهم شيء ليكون
المدرسة مثلاً أو المدرس ملتزماً بالمعنى المفهوم لدينا وإن لم يكن خبيراً في التربية فمجرد أنه جامعي
فيصدرونه في تربية الأطفال وتعليمهم فبالتالي ينتج هذا مشاكل كبيرة جداً بالنسبة لهؤلاء الأطفال مما قد
يغضبهم أحياناً في الالتزام ممكن مُدرسة متبرجة تربوية لا تضر الطفل مثلما تضره مدرسة ملتزمة لكن لا
تفقه التربية.

مثل ما نحرص في أي مشكلة إن نذهب لأهل الاختصاص وأن لا ننازع الأمر أهله كذلك في
التربية لا بد أن نهتم جداً بالمحاضن التربوية وأولها وأهمها على الإطلاق البيت الأسرة ثم الحضنة ثم
المدرسة لأن هذا كله يشارك في صناعة الأبناء.

الناس الآن يبذلون جهداً كبيراً ليتعلموا فنون التعامل مع الأجهزة الإلكترونية الحديثة ومع
ذلك لا يتهم إلا القليل النادر بتعلم فنون التعامل مع فلذات الأكباد ومع مستقبل الأمة لا بد أن تعطى
تربية الأطفال أهمية شديدة جداً لماذا؟ لأن هذا هو المستقبل بالفعل ليس كلام موضوعات الإنشاء لأن
الأطفال هم المستقبل هذه حقيقة كبار اليوم كانوا أطفالاً بالأمس وتأثروا بلا شك سواء سلباً أو إيجاباً
بكلمة من مدرس بموقف تربوي من مرب أو أب أو أم.

الكلام على قضية التأديب تأديب الأطفال أو عقوبة الأطفال أو إثابتهم في الحقيقة هي قضية تأتي
في ترتيب معين ترتيب معين ليس هو ما ينبغي أن نبدأ به لكن رأيت أن من الإنصاف ومن الترقى
الطبيعي في معالجة هذا الموضوع أن نتفاهم أولاً نفسية الأطفال أهم شيء نحتاجه في التعامل مع الأطفال
أن نفهم ما الذي يحتاجه الأطفال ما هي الحاجات النفسية الأساسية بالنسبة للأطفال؟

لا شك أن الإسلام اهتم ببناء الإنسان بناء متكامل ومتوازن وجعل هذا البناء بأسلوب متكامل لا يضغط فيه جانب على آخر بل فيه نوع من التكامل والانسجام لأن الهدف في النهاية هو إخراج الإنسان الصالح الذي جاء فيه قول النبي ﷺ « **وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ** »^(٨) فالإنسان الصالح هو الهدف الذي نصبوا إليه ولن يكون هكذا إلا إذا كان إنساناً سوياً سليم العقل سليم الجسم سليم البنيان سليم النفس.

والقرآن الكريم اهتم بالنفس اهتماماً عظيماً جداً يقول الله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ٧ ﴿ **فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ٨ ﴾ [الشمس: ٧ - ٨] هنا يقسم بهذه النفس التي هي آية من آيات الله تبارك وتعالى، ويقول ﷺ: ﴿ **قَدْ أَلَحَّ مِنْ زَكَّاهَا ٩ ﴿ **وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَّاهَا ١٠** ﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] لذلك فالمنهج التربوي في الإسلام يهتم اهتماماً شديداً بالشخصية السوية نفسياً تماماً بموازاة باقي الاهتمامات سواء البدنية أو غيرها فهي كلها وحدة متكاملة مترابطة لا سبيل لإهمال جزء من أجزائها فالبناء النفسي أحد أهم المقاومات الذاتية للشخصية السوية المنشودة.**

اهتمام المربي بالتربية النفسية للطفل المسلم خلال مرحلة طفولته (مرحلة التكوين والنمو وتحديد معالم الشخصية) أمر ذو أهمية لا يمكن إغفاله باعتباره أحد أهم العوامل في نمو شخصية الطفل وتقويتها.

الصحة النفسية تختلف في تعريفها.

بعضهم يقول هي السلامة من الأمراض وهذا تعبير غير إيجابي تعبير سلبي إن الإنسان أي نعم تعريف ليس معناها واحد سوي نفسياً أنه لا يعاني اكتئاب ولا قلق ولا انفصام ولا وسوسة، لا ليست هذه الصحة النفسية.

الصحة النفسية لها جانب آخر بناء بحيث يعيش الإنسان بصورة تحقق له السعادة ويعيش منتجاً يعني له دور إيجابي في الحياة يؤدي دوره في هذه الحياة في حدود إمكانياته البدنية دون أن يكون مصدر إزعاج للآخرين هذا التعريف العادي المشهور.

لا شك من أهم دلالات الصحة النفسية الصحة الإيمانية لأن الإيمان من أهم الاحتياجات التي يحتاجها كل إنسان ونركز الآن على الحاجات البشرية هذه كلها الإنسان له احتياجات معينة طبعاً معروف إن فيه هرم اسمه هرم فاسلون بتاع الاحتياجات: الاحتياجات الفسيولوجية وتترقى الاحتياجات في

(٨) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن صحيح، (صححه الألباني).

أهزم بشكل معين معروف لكن نركز فقط الآن على الاحتياجات النفسية ما هي الاحتياجات النفسية للإنسان عموماً وللطفل خصوصاً؟

فالمربي إذا كان يبني فطبعاً البناء يهتم بالأساس لازم من الأول قواعد البناء قبل أن يبني لا بد أن يكون هناك أسس والتربية النفسية تقوم على مراعاة الاحتياجات الإنسانية واعتبارها في نفس الوقت نقطة انطلاق نحو البناء الأسلم فالبناء القوي لا بد أن يتم على أساس قوي ومتين.

أما احتياجات الإنسان عموماً:

أولاً: الحاجة إلى الأمان الإحساس بالأمان الاطمئنان والطمأنينة.

ثانياً: الحاجة إلى الحب المتبادل بأن يحب وأن يحب حب متبادل.

ثالثاً: الحاجة إلى الانتماء الحاجة إلى الحياة الاجتماعية والاختلاط بالآخرين سواء ذلك في الحياة الاجتماعية في المجتمع أو عن طريق العشرة والروابط الأسرية عن طريق الزواج ونحو ذلك.

رابعاً: الحاجة إلى تقدير المحيط الذي يحيطه الحاجة إلى التقدير.

خامساً: الحاجة إلى الحرية.

سادساً: الحاجة إلى اعتراف الآخرين به.

سابعاً: الحاجة إلى سلطة ضابطة تحدد له مجال الانطلاق.

ثامناً: الحاجة إلى النجاح.

هذه الاحتياجات ضرورة إنسانية من أجل أن ينشأ الإنسان نشأة اجتماعية سوية ويندمج اندماجاً سويةً بالمجتمع ويتكيف بحيث يحقق أو يحقق فيه شخصية سوية غير مضطربة فلا بد للمربي أن يعرف هذه الاحتياجات يعرف الطفل محتاج إلى إيه بالضبط.

مثال عابر: الطفل مثلاً مع أبيه أو أمه في السوق يشتروا شيء معين فالولد عمل بعض الإزعاج في الطريق عاند أو عمل أي تصرف غير صحيح ممكن الأم تقول له لو لم تسكت سأتركك هنا وامشي إيه رأيكم في التصرف هذا؟ أكيد خطأ يبقى هنا ليست فاهمة أنه محتاج ألا يחדش أحد شعوره بالأمان أو يقول له سأتركك في الأسانسير لو حذك وامشي وهكذا فالطفل من ضمن احتياجات أو الطفل الذي يرى الأب والأم دائماً في نزاع الأم تقول له طلقني والثاني يهدد بالطلاق معناها يهدد إحساسه بالأمان والاستقرار فإذا فهمنا أنه إلى أي شيء يحتاج؛ فلا نمارس السلوكيات التي تهدد هذه الاحتياجات الأساسية التي لا بد منها لينمو نمواً نفسياً سويةً هذا مثال أنك ليس مقدراً إن الطفل محتاج إلى الاطمئنان محتاج الشعور بالأمان وسيأتي من خلال تفاصيل أكثر توضح هذه الأشياء.

مثلاً من ضمن احتياجات الطفل كما ذكرنا الحاجة إلى سلطة ضابطة أي يحتاج إلى سلطة تحكمه وتوجهه لأنه لا يستطيع أن ينمو نمواً سويةً نفسياً لا بد من سلطة ضابطة فالسلطة الضابطة التي تضبط

سلوكه وتقومه هذا أيضًا من ضمن الاحتياجات إذا حصل توازن بين كل هذه الاحتياجات وإشباع لها وفق ضوابط ومعايير تحقق التوافق والتكامل لدى الطفل فهذا يترك جانب يبني في الجانب الإيجابي بدون أي أثر سلبي سنناقش أولاً الحاجة إلى الاطمئنان أو الطمأنينة أو الحاجة إلى الأمان الشعور بالأمن وطبعاً هذه الحاجة الله ﷻ بينها لنا في قوله ﷻ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣ - ٤] الأمن ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَفَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

أولاً: الحاجة إلى الأمن الطمأنينة:

فمن أهم الاحتياجات المرتبطة بالتنمية السوية للطفل نفسياً بحاجة إلى الاطمئنان والحاجة إلى الاطمئنان تشكل العاطفة والاتجاهات التي تتحكم في مواقفه واختياراته والأبوان لهما دور أساسي جداً في تشكيل هذه العاطفة وتحقيق الطمأنينة لدى الأبناء.

ما هي الوسائل التي يتحقق بها الطمأنينة بالنسبة للأطفال نفسياً؟ باعتبار أن الطمأنينة أو الأمان أهم الاحتياجات النفسية.

أولاً: أولى هذه الوسائل الرفق واللين، فالرفق والليونة في التعامل مع الأبناء يحقق لديهم ثقة متبادلة واطمئنان نفسياً وعواطف مشتركة؛ لأن اللين والرفق هو التعبير الحقيقي والأمثل على محبة الوالدين لأبنائهما، والرفق عبارة عن رسالة ترسلها أنت إلى الطفل ليستوعب من خلالها أنك تحبه وتريد به الخير. على اعتبار أن الرفق هو الأصل في العملية التربوية يقول النبي ﷺ: « مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ وَلَا عُزْلَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ »^(٩) حينما قدم رجلٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ فقال «تُقَبِّلُونَ الصَّبِيَّانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(١٠)

(٩) مسند أحمد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (صححه الألباني).

(١٠) صحيح البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فهذا الرفق وهذا التودد رسالة تبلغ بها الطفل أنك تحبه وفي نفس الوقت تعطيه الأمان أنك أيضاً تحبه فأول شيء الالتزام بأسلوب الرفق واللين وأن هذا هو الأصل فالأصل في التعامل هو الرفق واللين.

وعلى الجهة الأخرى الأسلوب الثاني: اجتناب الشدة والقسوة وكثرة المحاسبة فالطفل ما زال لم يكتمل نموه نفسياً فاستعمال القسوة والشدة مع طفل لم يكتمل قد يصيبه باضطرابات سلوكية الخوف الخوف المرضي طبعاً الخجل فقدان الثقة بالنفس أو التقدير للذات ممكن يظهر أيضاً في موضوع التبول اللاإرادي والحقيقة أن الشدة والقسوة أو البداءة بالشدة والقسوة هي عبارة عن إعلان إفلاس تربوي معناها أن هذا المربي عاجز فاشل لا يستطيع أن يوجه الكلمة الطيبة وبالحوار وبالرحمة فبالتالي يلجأ إلى أسلوب الشدة والقسوة يقول الإمام ابن خلدون رحمه الله وهو يتكلم عن إرهاب المتعلم بالشدة والقسوة خاصة آثار الأولاد يقول إن هذا من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالقهر من المتعلمين قضى به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليهم، وهذا إن شاء الله سنناقشه بالتفصيل حينما نتكلم عن الآثار الضارة في نفسية الطفل من مسألة الضرب غير المنضبط.

ثالثاً: من وسائل إشباع الحاجة إلى الطمأنينة عند الأطفال الاجتهاد والبحث عن وسائل لإدخال البهجة والسرور على الطفل، وهذه إما أن تكون مادية أو معنوية.

معنوية مثلاً كالقبلة أو المداعبة أو الضم أو السلام أو الابتسام في وجهه هذه كلها مما يدخل البهجة والسرور على الطفل.

رابعاً: هناك وسائل مادية ك شراء الهدايا واللعب وما يدخل الفرحة على الأبناء ويشتهونه دون إسراف فهذه الوسائل التي تدخل عليه الفرحة والبهجة، أيضاً هي صورة من صور التعبير عن الحب الحقيقي مهم جداً أن يشعر الطفل بأنه محبوب، ولذلك من الخطأ الشديد تربوياً أنك تهدد الطفل بأنه إذا لم يفعل كذا فلن تحبه خطر شديد جداً؛ لأن موضوع الحب غير قابل للمساومة أو استعماله كسلاح لاجتذاب الطفل فلا بد أن الطفل يشعر أنك تحبه في كل الأحوال وأنك تتقبله في كل الأحوال، وإن كان هذا لا يعني أنك لا تنكر عليه سلوكه الشيء بصورة مناسبة؛ فشعور الطفل بأنه مرغوب ومحبوب عنصر مهم في اكتمال نموه السوي حتى تتشكل شخصيته المستقرة وتنمو لديه القدرات الإبداعية وتشع منه معاني التفاؤل والنجاح.

عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثير من بني العباس - يوقفهم في الصف - ثم يقول « مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا »^(١١) (من يصل في مسابقة قبل الآخر له مكافئة كذا وكذا) قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم وهذا رواه الإمام أحمد في مسنده.

فانظر إلى خير من وطئ الحصى رسول الله ﷺ كيف يتواضع مع الأطفال وكيف يتودد إليهم بهذه الطريق وروى مسلم عن جابر بن سمرة وكان من أطفال الصحابة قال صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان (أطفال صغار) فجعل ﷺ يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً وهذه التلامس الجسدي لأن هذا التلامس له أثر مهم جداً في الطفل فأخذ يمسح خدي كل واحد من الأطفال واحداً واحداً.

قال جابر: وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجهم من جونة عطار، من طيب عطره ﷺ لأنه كان يهتم جداً بالتعطر؛ فلذلك لما مسح خده كأنه أخرجهم من جونة عطار أي فيها رائحة المسك أو الرائحة الطيبة النفاذة.

خامساً: من هذه الوسائل التي تشبع احتياجه إلى الأمان وإلى الاطمئنان، وإلى الطمأنينة سؤال الطفل عن أحواله، والاهتمام بشئونه، ومتابعة أخباره، ومشاركته أفراحه وأحزانه.

هذا كله يشكل قاعدة يعتمد عليها الطفل في مواجهة صدمات الحياة، وهذا يحدث تقارباً بين القلوب، ويديمي الثقة بين الولد وأبويه.

هذا الاهتمام يجعل الوالدين على علم ودراية بأحوال ابنهما يوماً بعد يوم وبالتالي تعرف الأحوال ينبئ الوالدين إلى تنمية الأمور الصالحة ومعالجة ما يمكن أن يفسد من أخلاق أو سلوكيات قبل استرحالها هذا كله يفرض بصماته على شخصية الطفل.

سادساً: أيضاً من وسائل بناء الطمأنينة إزالة الهواجس لدى الطفل تجاه الوالدين؛ فالأطفال أذكى مما نتصور وما نعتقد وهم كثيرون الملاحظة والاستنتاج وكثيراً ما تختلج ركونهم هواجس تضايقهم وتزعزع استقرارهم النفسي أكثر الأسباب الموجبة لذلك شعور الطفل بأن والديه لا يعدلان ولا يساويان في المعاملة بين أبنائهم تفضيل بعض الأولاد على بعض والعدالة ليس المقصود بها فقط العدل في توزيع الأموال والنواحي المادية لكن لا شك أنه يدخل فيها أيضاً العدالة في العواطف وإظهار المحبة والتودد

(١١) مسند أحمد من حديث عبد الله بن الحارث رضي الله عنه.

الحكم: إسناده حسن (من موقع الدرر السنية).

فإذا شعر الطفل بعدم العدالة في هذه الناحية فإنه يتولد لديه مشاعر القلق والتوتر وهذه بتكون السبب وراء بعض الظواهر مثل العناد المفرط أو الاستسلام تمامًا الموضح للشخصية ينطوي ويندوي وينحسر مشاعر أن به دونية ويعامل بدونية ليس كباقي إخوته بجانب إن عدم وقوع العدالة لا شك أن يكون السبب من أسباب وقوع الضغائن والعداوة والكراهية والحقد والحسد.

سابعًا: أيضًا من أسباب تحقيق أو إشباع الحاجة إلى الطمأنينة العناية الخاصة لـ «الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة» إذا كان هناك طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة وهذا تعبير مهذب شائع إلى الآن بدل التعبير القديم «الطفل المعوق» سواء إعاقة ذهنية أو عقلية أو إعاقة بدنية.

سُئلت امرأة: أي أبنائك أحب إليك؟ قالت صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يُشفى وغائبهم حتى يعود أيضًا يدخل في هذا الطفل اليتيم والطفل صاحب الإعاقة الدائمة.

من فنون التعامل مع الطفل فهم نفسيته ودوافع سلوكه وحالياته النفسية فالعامل السطحي مع الطفل دون أن تنفذ إلى أعماقه ونعرف ماذا يحتاجه بالضبط طبعًا يحدث أو يكون سبب وراء بعض المشاكل السلوكية سواء في الطفولة أو فيما بعد فالإنسان كان يربي وهو لا يعرف احتياجات الطفل الأساسية النفسية بالذات فهذا يترتب عليه واحد من أمرين الذي هو عدم إشباع الاحتياجات النفسية للطفل: حسب طبيعة الطفل إما أن ينطوي على ذاته ويهرب وينكمش ويشعر بالإحباط فبالتالي ينشأ ضعيف الشخصية أو أنه يتعامل مع هذه المشاعر هذا الإهمال أو هذا الافتقار للاحتياجات الأساسية ليتعامل بعدوانية وبعنف حتى يلبي هذه الاحتياجات فيحصل رد فعل هجومية على المحيط الأسري وعلى الآباء تتخذ صورًا انتقامية فإما إن الطفل الذي لم تشبع احتياجاته الأساسية إما أنه يتعامل بالطريقة السلبية بالانطواء والانكماش والإحباط وإما بالعكس العدوانية وممارسة العنف بصور انتقامية التي منها مثلاً التبول اللاإرادي هو يعرف ما الذي يغيظ الأب أو الأم ما الذي يجعله يشتعل غضبًا فيعمله من أجل أن صورة من صور الانتقام أحيانًا يكون هذا هو السبب وراء التبول اللاإرادي أو الألفاظ البذيئة التي تستعملها تشيط الأم غضبًا فمممكن يستعملها لما عرف إن هذه حاجة تغضبها كسلاح ليواجه به هذا النوع من القهر العناد والعدوانية هذه بتكون صورة من صور التعامل مع الحرمان من الاحتياجات النفسية.

الاحتياجات النفسية بالنسبة للإنسان عمومًا أي إنسان إما أنها الحاجات المادية الاحتياجات الفسيولوجية التي يحتاجها الإنسان للبقاء الحاجة إلى الطعام والمأوى إلى آخره الحاجة إلى الأمن حتى يحمي نفسه من المخاطر والخاوف الحاجة الاجتماعية الانتماء والشعور بأنه داخل جماعة أيضًا هذا شيء مهم فاحترام الذات أو تقدير الذات حيث يشعر الإنسان أنه يؤدي عملاً ذا قيمة أو ذا فائدة وأنه قادر على

تحمل المسؤوليات وإنجاز المهام أيضاً له علاقة بالشعور بالاستقلال والنمو الحاجة إلى تحقيق الذات تحقيق الذات أن يحقق طموحاته من خلال الإنجاز واستغلال الطاقات والقدرات.

هناك احتياجات كثيرة لكن ينبغي أن يأتي الإيمان ويهذب هذه الحاجيات ويوجهها التوجيه السليم عن طريق الحراف والإقناع والتزام مكارم الأخلاق والقيم.

ورغم إن سلوك الطفل يتأثر بالبيت أو بالمحيط الذي يتضمن نموه لكن كثير من سلوكيات الطفل تحبب من داخله بسبب الاحتياجات التي في داخله هو فهناك عوامل داخلية لإشباع الحاجات بجانب عوامل البيئية من حوله.

الطريقة الناجحة في التربية:

كلما زادت معرفة الوالدين بخصائص نمو الطفل زاد نجاحهما في توجيهه توجيهاً سليماً ضروري أن نعرف مراحل النمو بالنسبة للطفل وخصائص كل مرحلة فلأن خصائص كل مرحلة تجعلنا نفهم اللغة التي يتكلم بها الطفل فالطفل يتواصل مع المحيطين به لكن ساعات اللغة بتكون لفظية وساعات لغة بالجسد التواصل ليس فقط بالكلام لكن فيه تواصل غير لفظي غير كلامي بحركات الجسم ونحوه وذلك بشرط اللغة التي يتواصل بها الإنسان مع من حوله تكون لغة راقية اللغة الفصحى وكذا وكذا ممكن تكون اللغة بدائية يعني الهنود الحمر لما كانوا يتفاهموا مع بعض من خلال الجبال البعيدة يعملوا إليه بالدخان ويولعوا نار ويكون في انطلاقات وانبعاثات من الدخان يكون لها دلالة لما عملوا اللاسلكي مثلاً الإشارات الكهربائية في السيارة هذه لغة بتحصيل عن طريق الضوء تتكلم مع كل الذي في الشارع بتعرفه أنت رايح يمين أو شمال أو هتعمل فرامل إلى آخره فهذه لغة بدائية فتواصل تتكلم مع كل الذي من حوله لكن بلغة غير لفظة كذلك حتى البدن البكاء لغة ولغة يعبر بها الطفل عن كثير من الاحتياجات أو النواقص لذلك الأم أو المربية الخبيرة تدهش الأمهات حينما تقوم بتأثير البكاء البكاء ممكن يكون نتيجة مغص جوع استيحاش من الوحدة محتاج حد يأتي معه أو يريد حد يحمله وهكذا يعني البكاء في الطفل ممكن يكون له ٢٠ سبباً تقريباً فمع الخبرة يستطيع الإنسان أن يتواصل معه من خلال هذه الأشياء.

من لوازم الطمأنينة:

إذا تكلمنا عن الحاجة إلى الطمأنينة نتكلم الآن عن الحاجة إلى الاعتبار فمن احتياجات الطفل أيضاً عملية الاعتبار وهو يجتاز مراحل نموه النفسي والجسمي أو هي أول نتيجة لنزوع الطفل نحو الاستقلالية والاعتماد على نفسه والشعور بقدراته الذاتية فيلجأ الطفل سلوكيات عديدة تكون أحياناً مزعجة للأسرة ولسان حاله ودافعه الأساس أن يلاحظه المحيطون به وأن يعترفوا به بكونه شخصاً مستقلاً له كيانه وقيمه الخاصين به فالشعور بالقيمة تقدير للذات أو الثقة أمران أساسيان حتى تكتمل أو

يكتمل النمو النفسي لا يمكن أن يحصل الشعور بالقيمة الذاتية إذا كان يتتابه شعور بالقلّة قلّة القيمة أو الضالّة أو أنه نكرة لا ينجز شيئاً يذكر أو أيضاً مركب النقص وانعدام الثقة بالنفس قد يصيبان الطفل مبكراً إذا لم يجد من يشبع حاجته إلى الاعتبار ومن يقدره ويحبه ويعترف بإنجازاته وقدرته فهو يريد حد يعترف به ككيان مستقل إحنا من أجل أن لا نفهم هذه الحاجات فلا تساعد على تنمية هذا الجانب الإيجابي مثلاً الطفل الذي يأتي يأكل فيه مرحلة معينة يوصل لها الطفل يبقى يريد هو الذي يأكل بنفسه هو الذي يلبس نفسه تأتي الأم الجاهلة لأنها ليست متفهمة لاحتياج الطفل، أو احتياجه إلى الاستقلالية هذه المفروض علامة صحية لما يبدأ يريد هو مستقل بالأكل فالأم حريصة جداً من أجل أن ملابسه تكون نظيفة والأرض ستتقذر وهكذا فيه تصر على أن تقمعه وهي التي تطعمه بطريق أو أخرى بالعكس لو الأم هذه بتفهم الاحتياجات؛ لأن هذه علامة نمو تنمي فيه الاستقلالية وتنمي فيه النزوع الإنجاز وفي نفس الوقت تنمي فيه إنه قادر على أن يثبت نفسه إن احنا نعتبره ككيان ونحترمه ككيان فبالتالي المفروض إن يكون الطفل وصل لهذه المرحلة تلاحظ إن موضوع الملابس هذا يعمل مشاكل كثيرة ليس هناك داعي لها أصلاً النظافة والتأنق ويحافظ على نظافته لأية المشكلة إن يبهدل الهدوم ويبهدل الأرض ليست هناك مشكلة أبداً لأن فيه إنجاز كبير لما يأكل بنفسه هكذا تنمي فيتركه ينمو حتى لو قدر ملابسه والأرض ليس هناك مشكلة.

هناك وسائل كثيرة جداً قد يلجأ إليها الطفل ليتنزع الاعتراف من الوالدين يحاول أن يتنزع الاعتراف به ككيان وإنه إنسان جدير بالاعتبار وبالتالي إذا لم تشبع هذه الحاجة يحصل إنه يسلك مسالك مزعجة فمن أجل هذا لا بد أن نفهم هذه السلوكيات ونعرف الدوافع النفسية من ورائها عايزين نتعامل مع المرض ليس مع العرض ننظر ما هو السبب العميق وراء أصول هذه السلوكيات مثلاً العناد هو وسيلة هو يقول لك نحن هنا أنا بني آدم مستقل لازم تحترموني أو تعتبروني أو تعترفوا بي ككيان فعملية العناد هو وسيلة من وسائل إثبات الذات لأن أنت قصرت في توفير الاحتياج للاعتبار فالعناد طبعاً له نوعان فيه عناد إيجابي وعناد سلبي فتجد الطفل يحصل معارضة دائماً مع رغبات الوالدين أو معارضة بصورة متخفية إنه مثلاً ظهر إن هو نسي أو لا يسمع الكلام أو يظهر عملية التمرد.

المشاكل النفسية الخاصة بالأطفال وكيفية علاجها:

ومن ضمن الأساليب التخريبية إنه يخرب في الأشياء المحيطة به وهدفه إثارة الانتباه إليه يعني لا يوجد من يحس به ولا مهتم به فبالتالي هدفه إنه يصرف الانتباه عن طريق التخريب لأنه يلاحظ أن هذه الحاجات هي التي تجعلهم يهتموا به ويلتفتوا إليه ولا ينشغلوا عنه ممكن لما يلاقي إن الوالدين يغتاظوا جداً لما يمتنع عن الأكل سيبدأ يقلل الأكل ويترك الطعام لأنه يلاقي إن هذا يثير اهتمامهم ويقلقهم فأيضاً يريد يسرق الاهتمام بأن يفعل الأشياء التي يتنزع بها هذا الاهتمام ممكن الصراخ والبكاء أيضاً لأن الهدف

يكون مثل أن يقول لهم اعتبروني كيان موجود فاهتموا بي أو يمكن يتم عن طريق إزعاج الضيوف أو الناس الأجانب في البيت لأنه يرى هذه أعظم حاجة تزعج الأسرة أن يلجأ إلى أساليب مزعجة أمام الضيوف أو في الأماكن العامة أمام الناس أحياناً حتى يشع الحاجة إلى الاعتراف والاعتراف به ككيان يبدأ يكذب لكن كذب خيالي فيدعي بأنه حقق أشياء كثيرة ليحصل على هذا الاعتبار أو التقدير ممن حوله.

فهذه السلوكيات ينبغي أن تتعاون معها على ظاهرها لأن ممكن مشاكل نفسية كثير جداً تكون لأنه يلفت الانتباه إليه تأتأة في الكلام تبول لا إرادي حاجات كثير يعملها لأنه يريد الاهتمام يلاقي أن هذه الأشياء تجعله محط الاهتمام وهم مقصرين أساساً في الاهتمام به واعتباره فبالتالي يعمل أساليب دفاعية من أجل أن يسرق هذا الاهتمام وهو محور الاهتمام حتى ولو بالأشياء المزعجة للمربين فهذه الأشياء لا ينبغي أن تواجه بالتجاهل ولا بالضرب ولا بالعقاب لأن بهذه الأساليب تستفحل وتتطور أكثر لكن في نفس الوقت الاعتدال مطلوب في كل شيء صحيح مطلوب إن يكون فيه اهتمام ولا بد إشباع الحاجات إلى الاعتبار التقدير والاحترام به ككيان لكن الخطأ أن نبالغ في هذا حتى يصبح الطفل محور الاهتمام داخل الأسرة إذا زدنا في عملية الاعتبار بطريقة مبالغ فيها فهذا يجعله ينشأ على الدلال الزائد وينمي فيه الأنانية وهذا أيضاً يؤثر على الآباء.

أيضاً بعض الآباء من أجل إشباع الرغبة في الاعتبار التي يحتاجها الطفل يطلبون منه أداء أدوار الذين هم أكبر منه سنّاً من أجل أن يمدحوه ويحس إنه أنجز حاجة كبيرة جداً فمممكن يكلفوه بأشياء أو وظائف هي وظيفة من هو أكبر منه سنّاً أو ألعاب لا تناسب قدرته فطبعاً هذه الأشياء التي تكون فوق طاقته فلا يقدر أن ينجزها لأنها فوق طاقته وبالتالي يصاب بخيبة الأمل والإحباط وقلة الثقة بالنفس فلن يقدر أن ينجز أشياء فلا بد أن تراعى قدراته العقلية لا أن تحفظه كلام فوق قدراته العقلية يبقى مجرد ببغاء أو جهاز تسجيل يتكلم لكن هو كلام كبير جداً عليه وأنا عاقل وأتكلم أنا بالتفصيل في حاجة ولكن لن ينفع أن أتكلم فيها بصورة جزئية أكيد لما تأتي الفرصة بعد هكذا من أجل أن تفهموني صح لما يجيوا الطفل ويحفظوه خطبة تُقال في ساعة، هذا تكليف له بما فوق طاقته.

خطأ أن تمدح الطفل الرزين بعض الشيء ويظلوا يمدحوه أمام الزاهب والآتي أنه عاقل وأنه راجل وكذا بمعنى أنه يحاولوا يحملوه فوق طاقته ويمدحوه بأنه عاقل، هو عاقل هل المهم بالنسبة لسنه فبالنسبة لسنه دعه يعيش سنه طفولته لا تفرض عليه أسلوب الكبار.

أكثر ناس تدفع الثمن في هذه الحكاية هم أولاد الشيوخ؛ لأنه نتيجة عدم احترام حدود الطفل كطفل يحرم من طفولته.

يقولون: أنت ابن الشيخ فلان وتعمل كذا أنت ابن الشيخ فلان وتلعب فطبعاً عبء شديد جداً ولا يوجد رحمة عند الإخوة الذين يعملوا هكذا.

مثال: كانت ابنتي كانت عندها خمس سنوات تقريباً في رمضان كانت تصر تريد أن تأتي تصلي القيام معنا قبل الفجر فكنت أشفق عليها طبعاً الصلاة طويلة إما أني أقصر الصلاة وإما هي تتكلف فوق طاقتها، وفي النهاية بعد إلحاح شديد قلت لها إني موافق تصلي في المسجد بس بشرط لما تتعبني تجلسي فاتفقنا هذا الاتفاق إن أول ما تتعب تجلس في الصلاة فذهبت إلى المسجد وما شاء الله أخوات كبار جداً الأخوات من بداية الصلاة جلسن من أول الصلاة ولم يستفتحوا حتى بركعتين من بداية الصلاة وهي ظلت قائمة فمرت الصلاة فبدأت تتعب فجلست احتراماً للاتفاق الذي أبرمناه فجلست في الصلاة طفلة صغيرة مجرد ما سلمت من الصلاة ثارت عليها الأخوات تقريباً كلهن أنت بنت فلان وتجلسين في الصلاة؟

فما أريد أن أقوله: هذا مثال حي أن ما أقصده ما لا تفرحوا بالطفل الذي تكلفه فوق طاقته لازم يأخذ حقه في الطفولة ويعيشها كطفولة لأنك تقول له هذا عاقل هذا عاقل فيريد أن يعيش دور العاقل وهو في قرارة نفسه ليس بعاقل ما زال بداخله طفل ينمو.

فبالتالي سيقمع نفسه في أشياء كثيرة جداً يفعلها ويرى أنها سيقولون أنها تتعارض مع العقل سيتكلف دوراً ليس متوائماً أو متناسقاً مع طبيعته كطفل وبالتالي يحرم من حقه في أن يعيش طفولة عادية يلعب ويمرح ويلهو هذه كلها حقوق للطفل أن يعيش فلا تفرح أنك تقعد تكتم نفسه وتقنعه وتقول له أنت عاقل عاقل فيخاف أنه يخالف هذا الأمر ويسلك سلوكه الطفولي الطبيعي فلا يقولون عليه عاقل. الذي حصل حقيقة من بعض الشيوخ أنه يفرح جداً من الطفل يكبس عليه مثلاً مثل ما قلت لكم الخطبة المشهورة للأخ مسلم بن سعيد هو بالنسبة لنا ككبار شيء جميل ومسلّي ومفرح، لكن بالنسبة له فهذا عبء شديد جداً عليه.

المقارنة بين الطفل وغيره:

من الأخطاء الكبيرة جداً في هذا المجال أيضاً المقارنة بين الطفل وغيره والمقارنة دائماً. لم أنت لست مثل أخوك؟ هذا أخوك هادئ لم أنت لست مثل أخوك هذا أخوك يحصل على درجات كذا في الامتحان وهكذا فلا تمتدح طفلاً آخر أمام ابنك حتى لو كان أخاه بطريقة فيها مبالغة في الشئ وتقعد تقارنه بالآخرين طبعاً هذا يعمل أحقاد بين الأطفال ويزرع في نفسية الطفل إحساس بعدم الكفاءة وأنه فاشل لا يستطيع أن ينجز شيئاً لكن الصحيح أن تمتدح كل طفل بالصفة التي ميز بها على غيره فواحد من الأولاد مثلاً يكون صوته في القرآن جميلاً ندياً فتمدحه لصوته والثاني تمتدحه بأنه بارع في كذا والثالث تمتدحه بأنه بارع في شيء آخر فكل واحد من المؤكد أن الله ﷻ يميز كل إنسان في جانب

معين يتميز فيه فامدحه بما هو متميز فيه ليس الذي أنت تقرره دائماً بغيره حتى تشبع هذه الحاجة النفسية وهي الشعور بالاعتبار إن أنت مقدره ومعتبره أول شيء لا بد أن تمنح ابنك وقتاً يعني تخصص وقتاً للطفل حتى تشبع حاجته بلا الاعتبار.

الاعتبار يتحقق إنه لما يكلمك مثلاً تصغي إليه إصغاء جيداً تعطيه كل اهتمامك تنظر إليه التواصل عن طريق النظر عينيك بأن تمسك يده تقترب منه تسمعه وهو يتكلم وتظهر له التقدير والاعتبار إذا كان في يدك شيء ممكن تسيبه تسيب الشيء هذا وتقبل على الطفل فلا بد من وجود نوع من التواصل عن طريق مجالسته وسماحه والتحاور معه إذا تأملنا هذه القصة حد بعت لنا رسالة مهمة جداً في هذا الأمر إن الطفل يبقى طفل لكن واعي جداً ويدرك إذا كانت أنت تقدره أو تهمله طفل رأى مرة أباه يلعب سيارته ويهتم جداً ببريق السيارة فالطفل قال لأبيه يا أبتى لا بد أن سيارتك هذه تساوي الكثير لا بد أن هذه السيارة ثمينة جداً قال له بلى إنها تساوي الكثير لكنها يا بني تساوي أكثر إذا اعتنينا بها فإذا احتجنا أن نبيعها في وقت من الأوقات فإذا كنا نعتني بها فسوف نحرز ثمناً أعلى فأطرق الصغير لحظة ثم قال أبي أعتقد أني لا أساوي كثيراً شوف ترجم الطفل بذكائه الفطري ترجم الموقف بماذا؟ شايفه مهتم قوي بالسيارة في حين هو مهمله فأب غير متاح أو غير موجود بالخدمة مع طفله لكن مع السيارة الجهاد يلعبها بنفسه فقال له أكيد السيارة هذه غالية قوي عندك قال له طبعاً أكيد بس لو اعتنينا بها ستساوي أكثر فشوف الطفل رد عليه رداً بليغاً قال له أعتقد أنني ليس لي قيمة لأنك لا تهتم بي على الإطلاق كما تهتم بهذا الحديد أو الجهاد.

فهذه رسالة أيضاً إن أنت تهتم بالشيء الذي له قيمة فمجالسة الطفل والاهتمام به تعطي له إحياء أن له قيمة مهم جداً موضوع الاعتبار يعني الرسول ﷺ وهو خير من وطئ الحصى خير البشر على الإطلاق سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ «كان إذا مر بالصبيان سلم عليهم» هذه تعطيه الإحساس بالاعتبار إن له قيمة مثل الكبار الذين يسلم بعضهم على بعض فالسلام على الأطفال أو على الصبيان فيه نوع من الاحترام له إشعاره بأن له قيمة أيضاً لا بد المربي نفسه أن يكون شاعراً بقيمته الذاتية لأن الذي يستعملوه دائماً كلمة الثقة بالنفس ونحن عندنا إشكال لأن كلمة الثقة هي التوكل وكذا وهذا لا يكون إلا على الله ﷻ لكن هو الحقيقة كواقع استعمال شائع يمكن ترجمته هي التي عملت مشكلة تقدير الذات يعبروا عنها Self steem وتقدير الذات هذا شيء مهم جداً الإنسان يبقى عارف قدر نفسه يدي نفسه حجمها بالضبط فينظر لنفسه ويتعامل مع الآخرين بناء على معرفته قدر نفسه بعض الناس تحسب إن هذه حاجة فيها غرور أو كبر لا هذه عادة صحية مهمة جداً أن تعلم قدر نفسك لكن بدقة بغير إفراط أو تفريط الإفراط يبقى شيء مرضي النرجسية وتضخم الذات و«التطوس» على الفاضي لأن الطاووس نفسه المفتخر بريشه اللامع الألوان الجميلة في ريش الطاووس ناشئة عن فقاعات هوائية ليس حقيقية

قوي فالشاهد إن تضخم الذات حالة مرضية من حالات الزهو الناس الذي النجم بتاعها يبقى عالي خالص في الحالة المرضية هذه يبقى شايف نفسه ليس أحد فهذا انحراف في تقدير الذات الذي هو النفخ الذاتي.

في الجهة الأخرى الذي يبقى المكتئب يبجي له ضعف تقدير لكن الثاني السوي يقدر نفسه ويضعها في موضعها اللائق وأيضا في تعامله مع الآخرين لا بد... نجيب مثال الإمام مالك لما دخل على الخليفة حضر المجلس متأخرا فمكانه الخاص به بجانب الخليفة شغل فأتى متأخرا فوقف عند باب المكان هل الإمام مالك جلس على الباب فهو يعرف قدر نفسه فرفع صوته مخاطبا الخليفة قال يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك؟ قال هنا يا أبا عبد الله وأفتح له وأجلسه بجانبه هنا هذه دخلة تقدير الذات السوي تقدير الذات من طريقة سوية.

على أي الأحوال لا بد المربي نفسه يكون عنده شعور بتقدير ذاته لأن هذا سيتنقل بالعدوى إلى ابنه فاحترام الإنسان لنفسه وإشعار الطفل بقيمة الأب أو المربي ينقل الاعتبار ينقل نفس هذا الشعور إلى ابنه لأن الوسائل التي تبني وتغذي الشعور بالاعتبار عند الطفل أن تمنحه الحرية لأن هذا في التربية كما ذكرنا في المرة السابقة إن الطفل ليس ملكا لك الذي حكيما عليها بالتفصيل الأسبوع الذي فات وفيه ناس لم تتحمل الكلام وهذا شيء عادي لو قلت لكم إن لو واحد في الشارع رأيته يضرب ابنه ضربا عنيفا وتدخلت أنت رحمة بهذا الطفل وقلت له حرام عليك ما تكون التربية هكذا وارفق بهذا الطفل في الثقافة الخاصة بالمصريين الرد الطبيعي سيكون ابني وأنا حر فيه أو مالك دعوة ابني وأنا حر فيه يترجم عبارة ملكي هذا شيء أنا أملكه وأنا حر فيه في الحقيقة هذه النظرة خطيرة جدا ابنك ليس ملكا لك ليس عبدا تشتريه بالفلوس ليس كرسيًا أو سيارة لكن الابن أمانة ائتمنتك الله عليها لتقوم بتربيته تربية سوية وتهيئه لأن يواجه الحياة بطريقة ناضجة عملية ابني وأنا حر فيه؟ لاو ابنك لكن ليس حرا فيه هذه أمانة وضعها الله في يدك «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ»^(١٢) بالضبط هكذا من أجل أن نفهم الموضوع صح نلخصه في كلمتين:

دور الأب مع الابن بالضبط مثل دور السهم مع القوس مهمة الأب أن يمهد الطفل بأن القوس المستقبل الطويل الأب في الغالب عمره ينحسر من أجل أن هكذا فيه نوع من الثبات مثل القوس ثابت في المكان لكن دائما الحياة تنحاز لتي قدامه مستقبل فالطفل أو الشاب ما زال قدامه هاينطلق في فضاء الحياة فدور الأب إنه يعده أن يتحرر منه وهو الذي يعطي له الطاقة حتى يستطيع أن ينطلق بأسرع ما يكون في

(١٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

خضم الحياة ويتحمل مسؤوليتها بنضج ليس كل شيء يعتمد فيه على الأب وهذا النمو الطبيعي في سنن الحياة كل كائن لو درسنا نبضات الحياة نجد بيوصل لمرحلة لازم يستقل.

فنفس الشيء الهدف من التربية أن تعينه على الاستقلال إنه لما يستقل يستطيع أن يواجه الحياة بدون اعتمادية على الأبوين فهذا هو التطور الصحيح إن أنت تهيئه كي يستقل عنك ليس بتربيته من أجل أن يفضل تابع لك ونسخة مكررة منك تقيده وتقهره بما تهوى لكن لازم تنمية العملية الاستقلالية فالطفل المبدع هو الطفل الحر ليس معنى حر أن نتركه ونترك الحبل على الغارب لأننا قلنا أن الطفل من ضمن احتياجاته الحاجة إلى سلطة ضابطة احتياج أساسي لا بد فيه سلطة تحكمه وتوجهه طبعاً، لكن ما معنى إننا نريد الطفل الحر يعني المعنى إنك لا تتصرف عوضاً عن ابنك واحد يسأله اسمك إيه؟ لا تقول أنت اسمه كذا اتركه هو يرد يقول أنا اسمي فلان لا تتصرف عوضاً عنه.

لا تقم بالأعمال بدلاً عنه بحجة انك تريد تريجه أو بحجة أنه ليس كفاً لأن يفعلها ما دام يستطيع أن يفعل الأعمال التي تخصه كالطعام أو الملابس دعه يفعلها لا تتكلم عن لسانه دعه يتكلم ويعبر عما عنده يتصرف في أموره بكامل حريته لكن ضمن رقابة ورعاية والديه حينما تتصرف بدلاً عن الطفل تقول له نحن مستعجلون البس ملابسك وهو يلبس النعل الخاص به فقد يتأخر في ذلك فيذهب الأب أو الأم إليه وتقول له تعالى لأنك ستأخرنا وهذا معناه أن هذا قدح فيه أو حرمان له من إشباع الاعتبار أو الكيان المستقل بالتالي كأنك تقول إنك قليل القدر قليل القدرة ونحن لا ندع لقدرتك أي اعتبار فمعناه انك فاشل لا تستطيع أن تفعل شيء رغم أنه تصرف بسيط وسازج لكن ورائه المعاني السابقة وأنت لا تستطيع أن تعتمد على نفسك في شيء لا تقدر أنت أكل أو تلبس ملابسك لكن المفروض متى ما نزع إلى الاستقلالية يجب أن نعطي هذه الاستقلالية حتى أن نحتمل بعض الأضرار كاتساخ الملابس والأهات تبالغ جداً في موضوع الملابس وكثير جداً الاهتمام بهذا الأمر يخنق الأطفال فتركه حر يهدل هدومه يلعب براحتة وليس هناك داعي للخنق حتى يتأق في الظاهر وتكبتة أنت.

ضرورة إتاحة الاختيار:

أعطه دائماً فرصة للاختيار لأنك حينما تعطيه فرصة الاختيار تشعره بأنه مهم وتشبع الحاجة إلى الاعتبار وإلى التقدير وتحسسه بالمسؤولية فمثلاً مجموعة ملابس يختار منها شيء معين يلبسه الأكل مثلاً دعه يأكل ما يشتهي لا تجبره على طعام معين أخ عزيز جداً عليا كان بيتكلم معي قريباً في مشكلة معينة تخصه فالمهم في وسط الكلام وجدته بيكره اللحم جداً لماذا؟ لأنه كان هناك سبب مفرط به منذ طفولته المبكرة بأنه لازم يأكل لحماً لقولهم اللحم مهمة علشان البروتين وعلشان كذا وكذا بالعافية كانوا يفرضوا عليه أكل اللحم الاختيار فنشأ يبغض اللحم فعملية احترام الاختيار كذلك الألعاب اتركه يختار الألعاب التي يحتاج إليها.

ضرورة الاستماع إليه:

أحياناً الطفل يدلي برأيه في موضوع معين ويتدخل حتى ولو كان رأيه في ضرر لا بد أن تنصت إليه يعني باختصار شديد يعني تحترموه يعني لا ترفع له تعظيم سلام ولكن أشعره بالأهمية أشعره بأنه كيان وإنك تعطيه هذا الاهتمام لأنه يحتاج هذا الأمر وهو فطري وسوى له فاشبع فيه هذا ألا يحتاج يتكلم حتى لو لم تأخذ رأيه استمع إليه يعني أعطيه فرصة أن يعبر عن رأيه بحرية ناقشه أقنعه ومهما كان نوع الكلام الذي يقوله لا تسفه الكلام ولا تحقره ولا تستهزئ به ولا تسخر من آرائه حتى لا تصيبه بالخيبة والإحباط والطفل يجب أن تغذي فيه الحاجة إلى الاعتبار أن تكلفة أحياناً ببعض المسؤوليات إذا كلفته ببعض المسؤوليات خاصة إذا كانت محبة إليه وفيها مراعاة لقدرته يشعر بأهميته ويشعر أن الأسرة محتاجة إليها أن يأتي ليلم الأوراق ويضعها في سلة المهملات كلفه بمهام في مقدوره وفي نفس الوقت يحس فيها بالإنجاز ويمكن بعد كده تشكره أو أمام الأسرة تعبر أنك سعيد لما فعله من عمل طيب وساعدني وعمل أعمال طيبة فالطفل يكون سعيد إذا كلفته ولكن بما يلائم طاقته وهذه تغذي فيه أنه إنسان مهم فأنتم في هذه الحالة تشبع الحاجة إلى الاعتبار والتقدير.

وانظر حينما تهمل واحد يقول عنك أنك لا تعيره اهتمام ونحن نريدك أن تهتم به، وهذا هو الاعتبار أنك تحسسه أنه إنسان له قيمة وأنك تحترمه وأنك تصغي إليه باهتمام وتهتم به فهذا ينقل له أنه إنسان مهم أنه إنسان عنده قدرات وعنده إمكانيات وأنه يستطيع أن ينجز أشياء مهمة يُعجب بها من حوله.

تكليف الطفل ببعض المسؤوليات للتقدير والإعجاب:

أيضاً ممكن من أساليب الاعتبار أنك تمدحه كلما قام بإنجاز لأن هذا يثبت عنده حب الإنجاز والخير وأيضاً يغذي فيه الإحساس بالأهمية.

وطبعاً الطفل قد يكون مكار جداً بعض الناس تكذب في المدح ليكون بلا زمام ولا خطاب لكن عليك أن تمدح وأنت صادق لأنه بيكتشف أنك متى تمدحه وأنت كذاب المجاذفة المدح المبالغ فيه هو يحسها بسهولة جداً لأنه أذكى مما تتخيل لأنه يعرف متى تمدحه بصدق ومتى تمدحه بكذب ومجازفة وغلو فينبغي الصدق في عملية المدح حتى يكون لها تأثير ولا يظن أنك جاهل من الأشياء الجميلة التي تشبع فيه الحاجة إلى الاعتبار أنك تفتخر به أمام الناس سواء الضيوف أو التجمع من الناس فتحدث عنه أمامهم بالخير تعرفهم عليه وعلى إنجازاته فكلما شجعت أكثر هذا يثبت عنده شعوراً قوياً بالاعتبار فهذه بعض الوسائل التي تغذي إشباع الحاجة من احتياجات الطفل تكلمنا عن الطمأنينة ثم أيضاً عن الاعتبار وأنا لخصتها في الكلمة التي نقولها بالعافية ما عبرتهوش فلا معبرنيش هذا هو المقصود بالحاجة إلى الاعتبار إنك تقدره وتهتم به بهذه الوسائل التي ذكرناها فيه شيء مهم جداً جداً من الاحتياجات التي يحتاجها

الطفل الحاجة إلى المحبة فهذا شعور أساسي جدًا عند المحبة المتبادلة يعني لست فقط أنت تحبه لا بد أن يحب أيضًا من حوله هذه الحاجة حاجة نفسية أساسية تحقق الأمن والطمأنينة للطفل وتشبع غرائزه الذاتية التي فطره الله ﷻ عليها.

الحاجة إلى الاعتبار:

ينبغي أن يدرك الأب المربي تمامًا أن الطفل محتاج للمحبة تمامًا كما يحتاج إلى الطعام والشراب ولذلك الإنسان عبر مراحل عمره يبحث عن بناء علاقات إنسانية توفر له هذه الحاجة كاحتياج طبيعة الإنسان أن يحب وأن يحب فالشعور بالانتماء لدى الطفل منذ بداية إدراكه لا يتحقق إلا بإبداء المحبة له وتوفير الإحساس بالأمن والطمأنينة داخل الأسرة باعتبار الأسرة هي أول خلية إنسانية تعطي الطفل وتشبع عنده حق الانتماء الحاجة إلى الانتماء فإذا أظهرت له الحب فإنك تغذي أيضًا إلى الاحتياج إلى الانتماء إلى هذه الأسرة لأنه جزء من الأسرة لأنه ينتمي إليها لن نسأل سؤال هل نحن نحب أبنائنا الجواب الطبيعي نعم.

ولكن السؤال الأهم هو هل تعبر لأبنائك عن هذه المحبة أم لا؟

كثير من الآباء عندهم عاطفة لكن بعضهم يشعرون أنه ضعف منه أن يظهر العاطفة تجاه أولاده ينظر أن هذا ضعف وأنه من المفروض أن يكون مكشور وجد ولا يحاول يظهر هذا الضعف وطبعًا غصب عنه يظهر في مواقف والأزمات كابن مريض أو حادثة أو كذا أو كذا يظهر الحقيقة لكن في الحقيقة هذا تصرف حينما يتكرر غير سديد.

والسؤال الذي سألناه:

- ١ - هل تحب أبنائك أم لا؟
- ٢ - هل تعبر عن هذا الحب أم لا؟
- ٣ - كيف تعبر عن هذا الحب؟
- ٤ - هل ابنك يعلم أنك تحبه أم لا؟

هذه هي الأسئلة المهمة فالطفل يكتسب المحبة من خلال العاطفة والدفء الأسري من حوله فأنت حينما تحبه تعلمه أيضًا كيف يجب وأنت تغذي نموه العاطفي السليم.

إعطاء الطفل احتياج العاطفة منذ الولادة إلى السنوات الخمس الأولى:

خطر حرمان الطفل من العاطفة وخاصة عند الرضاعة:

حرمان الطفل من عاطفة المحبة منذ صغره يؤدي إلى انعكاسات خطيرة على شخصيته فتحدث فيه انحرافات أو يحدث تقوقع وانطواء على الذات وقد تنتهي إلى موت هذا الطفل فلذلك نجد الشريعة الشريفة لما تنأمل النصوص القرآنية التي تهتم بموضوع الرضاعة الطبيعية سواء من أم أو مرضعة إنسانة

فالحرص على موضوع الرضاعة الطبيعية من القصور أن ننظر إليه فقط من جانب أن هذا الحرص هو من أجل المزايا التي يتمتع بها لبن الأم لأنه ليس له مثل فينظرون فقط إلى الجانب المادي في عملية الرضاعة هناك جانب لا يقل أهمية عن الرضاعة أن الرضاع يقترب بجرعة محبة وعطف وحنان لا بد أن الرضاع يتم بطريقة معينة شاء الله ﷻ حتى تغذي الاحتياج إلى الحب عند هذا الطفل من المناحي الحديثة الآن في موضوع الرضاع كانوا زمان الطفل أول ما يولد ينقلوه في غرفة معينة حفاظاً على الأم في المجال الحديث لمجرد الولادة لا بد أن الأم تحتضنه، ويمس الجلد الجلد بطريقة مباشرة؛ لأن الطفل تعود على سماع صوت دقات القلب فهي تضمه بعد الولادة مباشرة إلى صدرها لتقلل عند الإحساس بالوحشة، وأيضاً لإعطاء جرعة الحب لأقصى لحظة حينما يخرج من عالم الرحم إلى العالم الخارجي طبعاً هذه صدمة كبيرة جداً بالنسبة للجنين فهذا هو المنحى العلمي الأدق.

الآن نفس الشيء في عملية الرضاعة لا بد أن تقترب بعاطفة قوية تنقلها الأم إلى الطفل وتعتبر بها عن محبة من خلال ضمه واحتضانه والتريط عليه لذلك الأم الجاهلة حينما يكون الطفل يبكي تنظر فقط أنه يبكي من أجل الحاجة إلى الطعام فقط فبالتالي تأخذه بشدة وعنف وتقول له تعالى بعنف وتبدأ تسممه بالرضاعة فهذا جهل لأنه ليس محتاج فقط للوجبة بل يحتاج لما يقترب بها من جرعة الحب والحنان التي تُعطى للطفل من أجل ذلك الرضاع لا يجب أن ننظر إليه على أنه عملية ميكانيكية بحته لأنه لا يرضع من جاموسة وبقرة بل يرضع من إنسان فيه عواطف لا بد أن ينقلها في هذا الحال فكلما أشبع الشعور بالحب عند الطفل كلما تعلم هو أيضاً كيف يجب من حوله وتظل استجابته تتناقص مع نموه بقوة المربي ليست في قساوته وإنما قوة المربي في عواطفه نحو ابنه ليست القوة أو الرجولة أو الشجاعة يكون قاسي أو صارماً من أجل أن يخرج رجلاً لكن بقوة العاطفة لأن بعض الآباء حتى لو عنده عاطفة يحرص على أن لا يظهرها ويعمل مشاكل كثيرة جداً للأبناء فيجب أن يظهر العاطفة ولا يكتبها ولا يجمعها لأن الطفل محتاج إلى أن تظهر له أنك تحبه فأول خطوة لإشباع الحاجة إلى الحب عند الأبناء أول خطوة أن تعبر لابنك عن هذه المحبة.

أول خطوة لإشباع العاطفة هي التعبير عنها:

المحبة إحساس وشعور وهذا الإحساس حقيقة ينبع من القدرة على أن تنقلها لمن تحبه هذه هي البراعة لكن لا ترضي ضميرك وتقول أنا أحب أولادي وفي نفس الوقت لا يعبر عن ذلك يرى أحياناً مع الأسف الشديد بعض الآباء يرى أنها ضعف تتنافى مع الرجولة مع الأب المربي الصارم فبالتالي يرى أن المحبة ضعف والتربية تطير بجناحين جناح الحب وجناح الحزم لازم الاثنين مع بعض لا يكفي أن يحب الوالد أبنائه.

١ - لا بد أن يفصح لهم عن هذه المحبة.

٢- ينقلها لهم عملية من خلال التصريح أن يصرح بذلك.

٣- يكلم ابنه ونجده أنه يحبه أو من خلال اللغة الغير اللفظية وهي التعبير الغير مباشر بأن يعانقه ويلاعبه ويمسك يده وأن يربت على كتفه ويلمسه بحنان ويتسم ابتسامة هادئة وينظر إليه نظرًا مباشرًا في عينه.

وهو مهم جدًا لأنه يغذي أيضًا عملية الاعتبار والتقدير من أجل ذلك هناك بعض الشعوب التي عندها نوع من الجلالة لما تأتي للتعامل مع الناس فيها لا أحد ينظر إليك في عينيك أبدًا على طول كده بإعراض وأهمال ومن يتعامل معه.

بعض المحلات في أمريكا لما يحب الموظفين أن يعاقبوا ويحدثوا إضراب من أجل أن يطالبوا ببعض المزايا يعملوا إضراب عن الابتسام في وجوه العملاء ويحققوا لصاحب المصنع أو المحل خسارات فادحة إضراب عن الابتسام فالابتسامة تنقل رسالة غير لفظية مهمة جدًا وتنعكس على نفسية من تتعامل معه ويسموها الإستروبس يعني التريط على الكتف والطفل إذا حرم منها وهو صغير يظل يبحث طول عمره عنها لأنه حرم منها وهو طفل فأشبع حاجة الطفل من الصغر وعبر عن المحبة قد يحصل جهل من الآباء لأنه قد يعبر عنها بالعكس مثلاً يقول له أنه مريض فيرد عليه يعني لا نجد مكان ندفنك فيه ومثال هذه العبارات الغريبة المحبطة وممكن يفلسفوها أنه يريد أن يطلع كذا وكذا حتى لو كان الطفل بيتظاهر بالمرض لا بد أن ننظر إلى هذا السلوك على أنه وراءه دافع هناك حرمان حتى المتمارض ينظر أنه مريض وليس متمارض لأنه ما الذي جعله يسلك سلوك التحايل؟

لأن هناك احتياج لم يشبع. إذا المحبة تصل رسالة الحب إلى الأبناء من خلال قناة التلفظ وقناة الحركة أو التواصل غير اللفظي ممكن تأخذ صورة عادات عادات تكرر من خلالها ترسل هذه الرسالة العاطفية إلى الأبناء مثلاً أن نقبله أول الصباح أو قبل أن ينام أو عند العودة من المدرسة فقبله ويمسح على رأسه أو كتفه ويدعو له بالتوفيق والدعاء شيء جميع أيضًا بخلاف الذي يدعو على الأولاد وهذه الأشياء وهذا نوع من أنواع العدوان بل من أقصى أنواع العدوان على الأولاد. لذلك الإسلام حرص على موضوع التعبير عن هذه المحبة حتى في العلاقات بين الناس ولذلك علمنا النبي ﷺ أن الإنسان إذا أحب أخًا له في الله فيخبره بذلك؛ فالتعبير عن العواطف ينتج عواطف متبادلة.

من أهم وسائل التعبير عن حب الطفل أن تبدي اهتمامك به أن تصغي باهتمام إلى كلامه فلا بد: أولاً: أن تعطيه فرصة للكلام.

ثانيًا: أن تحسن الإصغاء إليه الاستماع فن أن تسمع للشخص الذي يكلمك هذا فن وبالنسبة للأطفال الاستماع والإنصات قناة تنقل شعور المحبة بين الوالد وبين ابنه وتعبر للطفل عن أن أباه مهتم به ومتنبه إليه كما أن الإصغاء يجعلك قادرًا على أن تفهم طبيعة ابنك في كل مرحلة من مراحل نموه وتصل

الأمر إلى أقصى درجات الأهمية والحساسية عند سن المراهقة ولو الطفل متعود أنك تعمل معه حوار باستمرار وتصغي إليه فأحوج سن الذي تصغي إليه وتشعر بمشاعره وتشاركه في حلها هو سن المراهقة وهي مرحلة من مراحل الحرجة وهي حالة طوارئ في نمو الإنسان، والجزء من جنس العمل إذا أنت استمعت إلى الأولاد وهم في سن الصغر فإنه يستمع إليك في سن الكبر.

لا بد أن ندرك أن الطفل حاجته إلى المحبة والحنان أكثر بكثير جداً من الهدايا والمشتريات التي يمكن أن تهديها إليه؛ فالمحبة تزرع الطمأنينة وتوطد العلاقة وتزيل عنه هواجس الشعور بالكراهية. المحبة هي أئمن وأعظم وأهم قيمة من الهدايا، وتشبع احتياج الطفل هي أن تخصص له وقتك هناك وقت خاص به هو أن تتحدث معه أن ترافقه خارج البيت، أن تشاركه اللعب أحياناً أن تشاركه أحياناً في بعض القضايا الأسرية ممكن أن تسأله مثلاً نريد أن نتنزه في حديقة فتسأله أين نذهب غداً فهذه تشعره بالمحبة والانتباه.

وحاجة الطفل إلى أن يحب لا توجد هدية يمكن أن تعوضها:

وبعض الآباء خاصة في حالات الانفصال بين الأبوين يتعامل مثلما قلنا من قبل money giver يعطي أموال فقط وهو يحس أنه عمل الذي عليه.

تخيل أنه يهمل الأطفال ويعتقد أنه يقوم بواجبه، وأنه لا يوجد أي احتياجات نفسية لا بد أن تؤدي، وكلما زادت ثقتك في ابنك وفي قدراته وأخلاقه، كلما استشعر حقيقة محبتك له.

حينما يشعر الطفل أنك تثق به وتحترمه يجتهد ليصل لمستوى هذه الثقة بالفعل ويحافظ على ذلك لكن الأب الذي يتعامل بالشك مع الأولاد وعدم الثقة هذا يغزي عنده إتقان الحيل والخداع حتى يظهر عنده بصورتين فيتظاهر أمام الوالد بالسلوك الذي يرضيه لكن هذا السلوك غير نابع من داخله فعملية الثقة المحبة فهي الثقة بين الأب وأبيه روى الإمام أحمد والنسائي عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ ومعه ابن له فقال له النبي ﷺ « أَتُحِبُّهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ فَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِي مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَهُ حَاصَةٌ أَمْ لِكُلِّكُمْ^(١٣) ».

ما هي العلامات التي تدل على أن ابنك الآن يحبك لو نجحت في إشباع الحاجة إلى الحب؟

هناك علامات معينة تدل على أنه الآن يحبك:

١ - إذا كان يتخذك مثله الأعلى هذا لأنه يحبك علامة على الحب.

(١٣) مسند أحمد من حديث معاوية بن قرة عن أبيه ﷺ (صححه الألباني).

- ٢- إذا كان يعتبرك صديقه الحميم.
- ٣- إذا كان يهيم رأيك في أعماله وسلوكه.
- ٤- إذا كان يفرح لقدومك ويتلهف لغيابك.
- ٥- إذا ساء ما يسيئك. الشيء الذي يحزنك يحزنه.
- ٦- حرصه على أن يكون بجانبك دومًا.
- ٧- إذا وصلت له رسالة أنك أكثر شخص يحبه وهو طبعًا الأب والأم.
- ٨- إذا كان يسعد باللعب معك ومداعبتك.
- ٩- إذا كان يحرص على أن يكلمك ويعطيك رأيه إذا كان يفرح يعانقك كل هذه علامات تدل على أنه يحبك وأنه يعرف أنك تحبه.

الحاجة إلى الطمأنينة:

يأتي بعد ذلك الحاجة إلى الطمأنينة والحاجة إلى الطمأنينة لها ارتباط بموضوع الأمان الذي تكلمنا عن في بداية الكلام.

الطمأنينة حاجة نفسية أساسية لا تستقيم حياة الإنسان بدونها؛ فإذا افتقدها الإنسان ظهرت عليه العلامات السلبية؛ مثل: السرقة، المخاوف، والالتصاق الشديد بأحد الأبوين، وظهرت سلبيته أكبر كلما افتقد المؤلف من حياته ضعفًا وانطواءً على الذات، وتهربًا من مواجهة الواقع. ويحصل فيها حاجة أسسها القلق الانفصامي لا بد أن ندرك أن الطمأنينة حاجة من الاحتياجات الأساسية للطفل.

أعداء الطمأنينة في حياة الطفل:

لا بد أن نعرف ما هي أعداء الطمأنينة في حياة الطفل فانعدام الطمأنينة له أسباب:

أولاً: وهو أول شيء يهدد الشعور بالأمان والطمأنينة الخلافات والنزاعات بين الأب والأم. فالجو المشحون بالخصام وكثرة النزاعات والتوتر الدائم يحول بين الطفل وتحقيق الطمأنينة في حياته فأهم أسباب الانحراف لدى الكبار وهو أنه لم يكن يشعر بالطمأنينة في طفولته بسبب الخصام الدائم بين الأم والأب؛ فالطفل حتى يحقق الطمأنينة يعتمد أساسًا على الوئام بين الأب والأم، فكلما أحس أنها غير مطمأنين افتقد الثقة بنفسه وابتعد عن إشباع حاجات الطمأنينة.

النزاعات الزوجية جزءٌ من طبيعة البشر وليس العيبُ فيها، إنما العيبُ ألا يعرف الزوجان كيف يختلفان اختلافًا صحيحًا يعني يتعاركان مع بعضهما بطريقة صحيحة، وأهم شيء حتى يكون صحيحًا أن الأولاد يشعرون بهذه الخلافات بقدر ما استطاعوا، فضلاً عن استعمال الأطفال كسلاح في هذا الصراع بين الطرفين، وهذا يدمر الأطفال المقصود أن يتعلم الزوجان فن إدارة الخلاف، ويمكن في هذه الحالة في فن

إدارة الخلاف، حتى لو اطلع الأطفال على هذا الخلاف ما دام بأصول فنية وعلمية هذا سوف يفيدهم في التعامل ومواجهة النزاعات.

ويقول بعض علماء النفس: أن الانفصال يكون في بعض الأحيان أسلم للطفل من الحياة بين والدين متنازعين ومتشاجرين، والأم التي دائماً تطلب الطلاق، والطفل يحس بعدم الاستقرار وعدم الأمان، أو الأب الذي يهدد بالطلاق، وكل المشاكل ما تكثر فهذا يحرم الطفل بالأمان وحق الطمأنينة. ثانياً: من أسباب عدم وجود الطمأنينة وقلة الحدود، وعدم وجود ضوابط وقواعد وحدود فيحصل التفاهم بين الوالدين مع أبناءهما، وليس هناك حدود بين الشيء اللائق والغير اللائق في السلوكيات تجد الطفل في عالم لا يعرف الحدود ولا المعايير وفي ضياع ينتج عنه فقدان للأمن والطمأنينة. وكما قلنا من قبل من ضمن احتياجات الطفل أنه محتاج إلى سلطة ضابطة تضبط سلوكه.

الالتزام بالقوانين والقواعد المتفق عليها دينياً واجتماعياً وأسريراً يشبع عنده الشعور بالطمأنينة، وأكثر الشباب قلقاً هم الذين ترعرعوا في بيوت لا تعرف الحدود ولا الضوابط والقواعد؛ لأن الحدود والضوابط كيف تعطي الإحساس بالطمأنينة؛ لأنها تعطي أنه هناك اهتمام من الأب بأبنائه لأنه يضع هذه الحدود لحمايتهم ومصلحتهم أيضاً الاستقالة الوالدية، مثلاً يفعل الموظف الذي يقدم استقالته من العمل نفس الشيء الأب يستقيل من وظيفته الوالدية مثلاً قلنا من قبل غير موجود بالخدمة غير متاح استقالة استقال من العملية التربوية فينشغل عن الأبناء بطروف الحياة؛ فهذا طبعاً يعطي الأبناء الشعور بقلة الأمن والطمأنينة.

والاستقالة تأخذ صوراً مقنعة لأنه لا يقدمه استقالة ليستقيل لكنها تأخذ صورة مقنعة ويوهم نفسه أنه قائم بالواجب، فلما يقوم بعمل عملية التفويض مثلاً تحلّى هو عن عملية التربية، يفوض المسؤولية أي الخادمة تقوم هي برعاية الأبناء، أو إما يفوض التلفزيون أنه يعلم الأولاد، أو الكمبيوتر لكي يلهمهم باللعب وكذا وكذا، وكذلك الواجبات السريعة موجود حتى دور الأم لكي تقوم بالاعتناء بالطعام وكذا وكذا ليس متوفر كأن دور الآباء ينحسر في دفع المصاريف، وتوفير الأموال فقط. أما الاحتياجات الأخرى فلا تراعى.

يمكن الاستقالة تكون بطريقة خطيرة أن الأب يتنازل للأبن الأكبر الأب يفوض في التربية الابن الأكبر، فالابن الأكبر يتعامل معاهم أنه يمارس دور الأب وتحدث مشاكل لا تنتهي بالذات بعد وفاة الأب.

ثالثاً: من أسباب انعدام الطمأنينة غياب المشاعر الإنسانية؛ فالطفل يحتاج للشعور بالطمأنينة، والدفع الأسري، وشحنات العاطفة من الأب والأم، وتبادل المشاعر والمشاركة الوجدانية في الفرح والحزن من ضمن الأشياء التي تؤثر في إحساس الطفل بالطمأنينة أو إشباع الطمأنينة، فيحصل برمجة

الطفل من الوالدين؛ لأن الشعور الداخلي عن الآباء ينتقل إلى الأبناء سبب الاحتكار المستمر، لما يسمعون الأولاد من الأب والأم دائماً أنهما خائفين من المستقبل، خائفين من الفقر خائفين من الميزانية لا تكفي، كثرة الكلام عن هذه الأشياء يحصل أنه ينتقل إليهم ويؤثر في شعورهم بالطمأنينة، الكلام الكثير على الفقر، الكلام الكثير على الخوف، الخوف على المستقبل، والخوف على الحياة والكوارث وغيرها والزلازل والفيضانات.

وطبعاً الإعلام يؤدي دور خطير جداً في زلزلة الشعور بالطمأنينة وبالذات لما الأطفال يروا الحوادث التي حدثت في بعض البلدان وفي غزة وما يحدث بالذات للأطفال فيظلوا دائماً خائفين، وفي طفل في مرة وهو ساكن قريب من البحر فيقول في مرة لأنه دائماً لم يكن يعرف ينام بالليل كان يعاني معاناة شديدة جداً لأنه خائف ليأتي اليهود بمركب ويضربوا صواريخ من البحر وتأتي على السرير الخاص به مثلاً فالأسف في بعض الأحيان بنعرضهم لمساحة من الإرهاب أو التخويف هو لا يحتملها ولا يستطيع أن يتكيف معها فهذا يؤثر على عدم إشباع الحاجة إلى الطمأنينة.

رابعاً: من الأشياء التي تؤثر على الإحساس بالطمأنينة التغيير المستمر في الأساليب الوالدية والتعامل معها، فهم لا يستطيعون أن يعبروا سلوك الأبناء كيف يكون فليس هناك سياسة تربوية بينهما موحدة وصارمة ومحددة؛ فالولد عبارة عن فأر تجارب كل واحدًا وتعطي الأم نصيحة تذهب لتطبيقها معها بغض النظر هل النصيحة علمية أو غير علمية أو خرافة وغير ذلك؛ فيجعلوه فأر تجارب فيتعلم فيه كل ما يجمعه أو يرصده من الأساليب التربوية فأى أسلوب تربوي حتى يؤتى ثماره يحتاج إلى وقت ليس بالقصير وكل فترة الأساليب تتغير هذا يؤدي لإرباك الطفل، والتأثير على شعوره بالطمأنينة.

ونختم الكلام بالوسائل التي تحقق الطمأنينة.

١ - الرفق والليونة:

أول الوسائل التي تشبع الطمأنينة الرفق والليونة في التعامل مع الأبناء.

٢ - اجتناب الشدة والقسوة وكثرة المحاسبة:

الذي يجلس ليرصد كل تصرف ويتتقد كل كلمة ولا يريد أن يتركه في حاله ليس هناك أي حرية فبالتالي هذا أيضاً يفقد من الطفل الشعور بالحرية والطمأنينة لأن كل شيء متوقع رد فعله على الفور وبعض الآباء يظن أن هذه الوسوسة اهتمام وتربية وهذا خطأ فليس كل شيء تتقده وتضغط عليه فيه.

٣ - البحث المستمر عن وسائل إدخال البهجة والسرور على الطفل:

سواء كانت وسائل معنوية كالمداعبة والملاطفة والابتسام والسلام والضم أو وسائل مادية كالهدايا واللعب وما يشتهونه دون إسراف هذا كله تعبير عن الحب أيضاً.

٤ - الاهتمام المستمر بالطفل وتفقدته دائماً:

عن طريق متابعة أخباره والاهتمام بشئونه ومشاركة أفراحه وأحزانه.

٥ - إزالة الهواجس لدى الطفل تجاه الوالدين:

بالذات موضوع العدل لدى الأولاد لأنه يعمل شكوك أنه يفضلوا شخصًا على آخر طبعًا العدالة ليس فقط النواحي المادية لكن أيضًا في المعاملة والمحبة والعطف.

٦ - العناية الخاصة بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة:

فهم يحتاجون إلى نوع خاص من المعاملة بسبب ظروفهم كالطفل اليتيم أو المعاق أو نحو ذلك.

خطوات لبناء الطمأنينة لدى الطفل:

أولاً: لا بد أن تسود الطمأنينة بين الأب والأم:

لأن هذا:

١ - يترك المشاعر لدى الطفل وتنتقل المشاعر إلى الطفل يقول بعضهم سوف يتسم طفلكم لكما ثم للعالم من بعد إن كنتم لا تكفان عن الابتسام أحدكم للآخر فهذا يشع في كل حياته بعد ذلك.

٢ - لا بد أن يشعر الطفل بمحبة الوالدين: كل أب يحب أولاده لكن المهم أن يعبروا عن هذه المحبة وكيف يعبر عن هذه المحبة سواء بطريقة صريحة أو بطريقة غير لفظية ولد صغير استقبل مديحاً شديداً من المحيطين به لأنه احتمل الآلام في المستشفى بل شجاعة آلام المرض فرد الطفل على الإعجاب به وشجاعته قال عندما تعرف أن أهلك يجنونك تستطيع أن تتحمل كل شيء فالسبب في تحمله الآلام أنه شاعر بالمشاركة والمحبة من والديه.

٣ - من هذه الوسائل من اللقاءات العائلية المستمرة: فليس فقط على مائدة الطعام الأب من شغل خارج البيت في العمل والأم منشغلة أمام وسال الإعلام أو بالثرثرة الهاتفية والأطفال يتركون للخدم أو للأجهزة الترفيهية فلا بد من وجود لقاءات عائلية تجمع الآباء مع الأبناء بعض الأطفال في سن روضة الأطفال حضانة يسألوهم لماذا تعتبر أمك أعظم أم في العالم؟

بعضهم قال أمي تلعب معي كثيراً هذا هو الدليل لأنها تلعب معي كثيراً.

والثاني قال: أمي تغسل ثيابي وتقبلني مودعة عند ذهابي للمدرسة.

والثالث قال: لأنها تقبلني بذراعيها وتعانقني.

الرابع قال: أنها تقبلني وتعانقني وتعني بي.

الخامس قال: أنها أمهر طاهية وتعد لنا الشوربة.

السادس قال: لأنها تعطيني الدواء الذي أحتاج إليه وتعني بي.

السابع قال: لأنني أحبها وأبي يحبها كثيراً.

الثامن قال: لأنها تنظف البيت وترتب الأسرة وتحلي الصحون لناكل دائماً.



يعني عقلياً الطفل يكون فاهم أشياء كثيرة انتهينا إلى الكلام عن أساليب أخرى عن القواعد والضوابط والوضوح في معالم التربية وثباتها والاحتكاك واللمس.

نكتفي بهذا القدر أستغفر الله لنا ولكم

المدرس الثالث

«حاجة الطفل إلى

الطمأنينة والمصحح والقبول»

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين اللهم صلي على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذرياته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد كنا شرعنا في مدارس الوالدية الإيجابية أو التربية الإيجابية من خلال إشباع الحاجات النفسية للطفل وهي الاعتبار والمحبة والطمأنينة والمدح والقبول والتأديب والإيمان كنا انتهينا إلى كلام حول حاجة الطفل إلى الطمأنينة وطبعاً هذا من كتاب الوالدية الإيجابية د/ مصطفى أبو سعد بدأ يذكر إعداد الطمأنينة في حياة الطفل.

ومن أهم الأسباب التي تسبب انعدام الطمأنينة:

- ١ - الخلافات والنزاعات بين الأب والأم.
- ٢ - قلة الحدود والقواعد والضوابط.
- ٣ - غياب واستقالة الوالدين، أحياناً الأب يقدم استقالة والديه ليس شرط يكون شيء ملفوظ لكن واقعه أنه غير متاح أو غير موجود بالخدمة كما ذكرنا من قبل، الأب الحاضر الغائب حاضراً فقط بجسده يأتي في البيت مثل الفندق أو المطعم فقط، أما الأولاد فهو يظن أنه مادام يوفر لهم الطعام، وهكذا والملابس والمصروفات هكذا هو أب مقاتل ومناضل في حين أنه يقصر فيما هو أهم من ذلك من أعداء الطمأنينة.
- ٤ - غياب المشاعر الإنسانية.
- ٥ - منها أيضاً خلق الوالدين وشرحنا ذلك من قبل قلق الوالدين يعبر الأطفال ويذبح في قضية الطمأنينة لأن الوالدين لما يشتكي باستمرار خايفين من الفقر من الغلاء من الأسعار الكوارث كل هذه الأشياء تنتقل للأطفال وتؤثر في الشعور بالطمأنينة.
- ٦ - هناك أشياء كثيرة تعتبر أعداء الطمأنينة مثل مثلاً الإحساس بالأمان الاطمئنان الأب الذي يطرد الطفل من البيت فهذه كارثة لأنها تقدر في احتياجي للانتماء لأنه يصبح شخص لا ينتمي في هذه الأسرة لا شك هذا يزعزع شعوره بالأمان والطمأنينة.
- ٧ - ومن ذلك أيضاً تغيير أساليب الوالدية ليس هناك ثبات في الأساليب التربوية كل ما حد يقول لهم نصيحة أو ينقلوا كلمة من هنا وكلمة من هناك ويقلد بطريقة عمياء وبالتالي يصبح الطفل كأنه فأر تجارب ويظهر أيضاً ينزع منه الشعور بالطمأنينة التناقض والاختلاف وعدم الاستقرار في أساليب الوالدين.

الوسائل التربوية التي تحقق الطمأنينة:

أولها: أسلوب الرفق واللين.

ثانيًا: اجتناب الشدة والقسوة وكثرة المحاسبة.

ثالثًا: البحث عن وسائل إدخال البهجة والسرور على الطفل.

رابعًا: الاهتمام المستمر بالطفل وتفقدته الدائم.

خامسًا: إزالة كل الهواجس لدى الطفل تجاه الوالدين مثل عدم شعور الأب أو الوالدين بسويان بين إخوته أو يجبان هذا أكثر من هذا الخ أيضًا العناية الخاصة لذوي الاحتياجات وذكرنا أنه سئلت امرأة أي أولادك أحب إليك قالت صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يشفى وغائبهم حتى يعود يدخل في هذا أيضًا إعلام الطفل اليتيم المعوق بإعاقته دائمة.

ثم ذكر بعد ذلك سبع خطوات لبناء الطمأنينة لدى الطفل:

أولها: الطمأنينة السائدة بين الأب والأم لا بد أن يكون هناك استقرار وطمأنينة بين الأب والأم فأكدت الدراسات التربوية والنفسية أن أكبر مصدر لبرحة المشاعر لدى الطفل هي الأجواء السائدة في العلاقة بين الأب والأم العلاقة هي العلاقة الوالدية وأن نفس المشاعر تنتقل للطفل فكلما سادت الطمأنينة بين الزوجين كلما ترسخت في نفوس أبناءهما يقول بعضهم سوف يبتسم طفلكما لكما ثم للعالم من بعد إن كتما لا تكفان عن الابتسام أحدهما للآخر.

ثانيًا: محبة الوالدين لابنهما فكلما شعر الطفل بمحبة والديه كلما زادت طمأنينته، والمهم ليس أن تحب أبنائك. لكن المهم أن تعبر عن هذا الحب لا بد من التعبير اللفظي وغير اللفظي عن أنك تحبه ولا بد أن تشعره بأنك تحبه؛ ولذلك تتحقق الطمأنينة لدى الطفل حينما يشعر أنه مرغوب فيه وحين يحمل ويضم ويقال له أنه محبوب.

وذكرنا قصة الطفل الصغير الذي تلقى مدحا كثيرا؛ لأنه احتمل الآلام في المستشفى بكل شجاعة، فكان جواب هذا الطفل عندما تعرف أن أهلك يجونك تستطيع أن تحتمل أي شيء؛ ولذلك تجي تدرس أي حالة نفسية مرضية للأسباب (تاريخ الطفولة).

أهم سؤال نسأله هل كان هذا الطفل مرغوبا فيه أم غير مرغوبا فيه؟

لأن لو الآباء تعاملوا مع الطفل على أنه محبوب ومرغوب فيه هذا ينشأ نشأة سوية وإن كان شعر إنه غير مرغوب فيه وأتى بالغلط وانه كانوا يطمنون انه هذا الولد لم يولد أو هذه البنت ينعكس في تربيته لا شك أن الرغبة فيه والحرص عليه وحبه تختلف عن عكس ذلك؛ ولذلك أي حالة نفسية مرضية ندرسها من الجذور نستتبع في الطفولة نسأل إذا كان مرغوب فيه أم أنه ليس مرغوب فيه، بمعنى أنه من الممكن ألا يكون السؤال صريحا ولكن نسأل أنهم لما وُلِد عملوا له سبوع ولا لأ. الملتزمين طبعاً يقولوا عقيقة لكن أنت تكلم الناس بلغتهم.

فوجود الاحتفال بالمولود يعكس الرغبة فيه وحب الإهمال وعدم الرغبة فيه بينعكس ويمكن ما يعملوش حاجة مثل هكذا وترى الظروف الاقتصادية للأسرة في ذلك الوقت لأنهم ربما لو كانوا فقراء وظروفهم ضيقة والمسكن كذا وكذا فمن الممكن أن يريدوا أن يُرزقوا بأولاد ثاني لكن هذا جاء وأصبح غصب عنهم فممكن يبقى غير مرغوب فيه ممكن النوع الأولاني ممكن مثلاً شخص رزق بينات كثيرات وبت بنت هذه الخامسة أو السادسة مثلاً كمان بنت فيقبى في في الأسف في الثقافة الجاهلية التي لا تزال عند بعض الناس عدم الرغبة فيها كان يودون أن يكون ولدًا مثلاً؛ فينعكس هذا في تربية الطفل.

وهكذا فمسألة أن الطفل يكون مرغوباً فيه مهمة جداً لأن لو رغبت فيه سترحب به ستستبشر به ستعامله معاملة غير ما يكون مهماً أو غير مرغوب فيه وتجلي عدم الرغبة في الطفل في أسوء صورها لما الأم الجاهلة تحكي أمام الناس انها حاولت إجهاض هذا الطفل وهو جنين بكل الوسائل ولكنه تشبث بالحياة وأتى إلى الدنيا رغماً عنها تخيل لما إنسان يشعر أنه أتى في الحياة غلط

لا أحد يأتي خطأ ولكن أقصد أن هذه هي الرسالة التي توصلها الأم الجاهلة، وطبعاً الإسلام في هذا المجال نظرتة للذرية نظرة رحمة ونظرة عظيمة جداً على أنها نعمة من نعم الله ﷻ وليست عبأ كما يتصرف بعض الناس

من أسباب الطمأنينة اللقاءات العائلية جلسات عائلية تجمع الأسرة بالتفاهم أو بمناقشة بعض الأمور ولا يقتصرون على الاستماع فقط مثلاً لأجل يعني الطعام في عصرنا انشغل الآباء وأعمالهم خارج البيت وانشغلت الأمهات بوسائل الإعلام المختلفة أو الثثرة عبر المكالمات الهاتفية والمحمول في يد الجميع فطبعاً أصبح كمان ثثرة التليفونات عند النساء الآن موضوع التليفون رغبته لا تقاوم عند النساء مثل وقفة السلم مثل ما يكونوا بيودعوا بعض على السلم فتجد الكلام الكثير والمكالمات وفي قضايا ممكن تكون في غاية التفاهة شائع جداً التليفون المحمول هذا يعني هو معمول من أجل أن الحاجة لكن أصبح بقى أيه إعلان بالصورة المعروف فغابت الاهتمامات بالأبناء الذين تُركوا للخدم أو للصحبة السيئة بقى في الشارع والألعاب الإلكترونية وغيرها فالجلسات العائلية تشعر الطفل باستمرار في أنه في جو متحد ومتربط تغشاه الطمأنينة والمحبة والتألف ذكرنا استفاء حصل مع معرض الأطفال في الروضة أو الحضانة وسألوا الأطفال لماذا تعتبر أمك أعظم أم في العالم فكانت الإجابة كما ذكرنا الأسبوع الماضي.

الأول: طفل قال أمي تلعب معي كثيراً.

ثاني: أمي تغسل ثيابي وتقبلني مودعة عند ذهابي للمدرسة.

الثالث: لأنها تقبلني بذراعيها وتعانقني.

رابع: أنها تقبلني وتعانقني وتعني بي.

الخامس: أنها أمهر طاهية وتعد لنا الشوربة.

السادس: لأنها تعطيني الدواء الذي احتاج إليه وتعطني بي.

السابع: لأنني أحبها وأبي يحبها كثيرًا.

الثامن: تنظف البيت وترتب الأسرة وتحلي الصحون لنأكل دائمًا.

وهذه النقطة التي توقفنا عليها في آخر درس أيضًا من خطوات بناء الطمأنينة لدى الطفل وجود قواعد وضوابط فوجود ضوابط وقواعد داخل الأسرة تمنح الجميع نظامًا وبرنامجًا يوميًا ومعايير للسلوكيات وتحدد ما ينبغي فعله وما يلزم اجتنابه وما هو حق وما هو باطل فكلما كان هناك نظام سائدًا وضوابط محددة كلما شعر الطفل بالطمأنينة أكثر.

أهمية وجود ضوابط وحدود:

يبدأ نظام الأسرة القائم على قواعد وضوابط وبرنامج محدد من التربية الإيجابية وتنتهي ببرنامج معتاد تكون في أوقات الطعام، الشراب، النوم، الجلسة العائلية، المطالعة، الوقت الحر.

هذه تكون أوقات ثابتة محددة هذا النظام يوطد علاقات الأسرة ويزرع الطمأنينة الداخلية لدى الجميع ولا يعني هذا أن نكون صارمين حرفيين في تطبيق البرنامج اليومي بل المرونة مطلوبة هنا يضرب مثالًا ليتأكد الإنسان من أهمية وجود ضوابط وحدود للتعاملات (قواعد).

يعني مثل أي مؤسسة فيه قواعد وروابط وسلوكيات للموظفين في ساعة الحضور ساعة الانصراف لا تعرف الراحة متى وهناك قواعد تحكم السلوك في أي مؤسسة.

فلو نشأ الطفل على احترام هذه القواعد هذا يوفر الطمأنينة وله أثر كبير بالذات في مرحلة المراهقة لأن المراهق يبقى يريد دائمًا يخرج من الإيه يتمرد على النظام دائمًا ليحقق ذاته فيحتاج ألا يسأله أحد أين كنت أو أين تذهب أو لما أتيت متأخر ليه بالليل أو كذا فهذه أشياء متوقعة في سن المراهقة لكن يكون دائمًا العلاج في هذه الحالات أنك تفهمه أن هذا البيت مثل مؤسسة كل مؤسسة لها مدير مسئول عنها وأنا كأب أنا المسئول عن كذا..

فالنظام مثل أي مؤسسة مثلاً الابن لا يتأخر عن العاشرة مساء خارج البيت وهكذا يعني كل الضوابط في وقت الطعام وقت للنوم وقت لكذا فكل أما ربي على هذه الضوابط والقواعد كلما كان يشيع أشع هذا الطمأنينة في داخل إيه يعني أفراد الأسرة وبيتكلم هنا عن مثل الضوابط يعني ضع سمكا في حوض زجاجي حوض زجاجي ضع فيه السمك بدون أرضية ولا رمال يعني مجرد زجاج وماء فقط وأكسجين طبعاً فيقول لك لاحظ الحركة في حركة السمك ثم ضع حدوداً بالرمال والحجارة ولاحظ الفرق في حركة السمك متى يكون أكثر حرية واطمئناناً وحركة؟ في أي الحالتين؛ الحالة الثانية لأن فيه حدود فيه ضوابط تجد بيداً يتحرك ويكون نشيطاً وكذا وكذا في حالة الوضع السائب خالص هذا يحيره لكن وجود الحواجز والأعشاب وهذه الأشياء بيدي نوع من السرعة أو الكثرة في الحركة والاطمئنان،

الخطوة الخامسة: وضوح معالم التربية وثباتها إما يطمأن الطفل وضوح التوجيهات التربوية وثبات المعايير بمعنى أوضح أن التذبذب في التوجيهات والتناقضات والاختلافات الجوهرية بين ما يريده الأب وما تريده الأم يحرمان الطفل الناشئ المتعلم من الطمأنينة فلا بد من الثبات على مبدأ والحفاظ على مواطن الاقتداء في سلوك الوالدين واتفق عام بين الوالد والوالدة فلا يبقى تحدي بين اثنين تناقض في وسائل التربية فالطفل يدفع هو يعني الثمن أيضاً لا بد من الابتعاد عن الأوامر والنواهي الكيفية التي لا تبرر ولا تقنع الطفل مما يزيد الطفل اطمئنان أسلوب الإقناع والتبرير لأوامرنا ونواهيها حتى تصل رسائلنا واضحة للطفل وتبعد عنه وساوس هو في غنى عنها مثل أن الأب لا يحبني أو يجب أخى الأصغر أكثر التربية المعيارية المبنية على أسلوب الإقناع:

١ - تطمئن الطفل.

٢ - وتبني لديه المعايير الواضحة.

٣ - وتنمي مداركه وقدراته العقلية.

٤ - وتعلمه التفكير والربط والعلل وغيرها من أنماط التفكير الإنساني.

وهي مهارات ينبغي أن ينشأ الطفل عليها منذ نعومة أظفاره مثلاً:

١ - تأمره أن يأكل التفاحة مثلاً فتقول له كل التفاحة لأنها تحتوي على فيتامين (دال) وهذا

الفيتامين يقوي عظامك.

٢ - مثلاً لا تلعب بعود الكبريت وبس ولكن لا تلعب بعود الكبريت، حتى لا تحترق؛ فيبقى فيه

الأمر أو النهي ولكن معه التعليل أحياناً قليلة جداً ويكون المطلوب ان يكون الجواب ساعات أن يه لأن أنا قلت هذا. أحياناً قليلة لكن القاعدة: لا يوجد اسمع كلامي لأن أنا بأمرك تسمع هكذا القاعدة انك دائماً تجيب له الأمر أو النهي مرتبطاً بالعلة.

أساليب غرس الطمأنينة لدى الطفل:

من أساليب غرس الطمأنينة لدى الطفل التلامس الجسدي يحتاج الطفل لمسه باليد والمداعبة والضم؛ لأن هذا يعطيه شعوراً بالطمأنينة ويستشعر من خلالها دفء الحنان والمودة والروابط التي تجمعهم بالوالدين وتكون لديه شعوراً بالقبول؛ فالطفل في مراحل طفولته الأولى تشتد حاجته إلى اللمس والتربت والملاعبة والمداعبة فمهم جداً التربيت على الكتف مسح رأسه ونحو ذلك هذا وكلها وسائل ممتعة تجسد الأمن والطمأنينة في النفس، ممكن نذكر حديث ابن عباس لما صلى خلف النبي ﷺ ووقف عن يساره فحوله إلى يمين وأخذ وهو في الصلاة يلمس أذنه هذا نوع من التواصل الجسدي الذي يعطيه اطمئناناً وفيه نوع من التودد لهذا الطفل وفي الحديث أيضاً «إِنْ أَرَدْتَ تَلِيْنَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمَسْكِيْنَ

وَأَمْسَحَ رَأْسَ الْيَتِيمِ»^(١٤) فمسح رأس اليتيم هذا أيضاً من التواصل يعني الجاذبية إن ميزة الرضاعة الطبيعية لا تكمن فقط في مميزات حليب الأم ولكن الأهم فيه ملامسة جسد الأم للابن والضم التي تتم خلال عملية الرضاعة كما أن لمس الطفل أثناء الحديث معه يفتح لتقبل الكلام والتوجيهات، وتعلم النطق والكلمات الجديدة، كما أن لمس الطفل يقوي لديه الخصائص الاجتماعية، الذي يجعله أكثر انسجاماً، وقدرة على التعامل مع الناس في المستقبل، وفي الوقت نفسه إن حرمان الطفل من لمسات الحنان في طفولته يجعله أكثر انطوائية وانعزلاً عن المجتمع، وأقل قدرة على التفاعل مع الناس مستقبلاً ينشأ منظوياً منعزلاً خجولاً.

من مظاهر الاحتكاك الإيجابية أو التواصل الجسدي التي تشجع الطمأنينة في نفس الطفل عناق الطفل وضع اليد على كتفه أو الترييت على كتفه تقبيل الطفل ضم الطفل إلى جانبك الأيمن وضع اليد في يد الطفل أثناء السير أو الحديث حمل الطفل والمشي به دون مبالغة ضم الطفل إلى صدرك تنويم الطفل بين الفينة والأخرى على صدر والده؛ فهذه كله عبارة عن تواصل غير لفظي التواصل يتم ليس فقط بالكلام فيه تواصل لفظي بالكلام وفيه تواصل جسدي أو تواصل غير لفظي وهذه يعني نماذج لبعض وسائل التواصل فأنت ترسل له رسالة مثل هذه الأشياء.

من الوسائل تربية الشعور بالطمأنينة عند الطفل تنمية الانتفاء فالحاجة إلى الانتفاء حاجة إنسانية منذ السنوات الأولى من حياة الطفل، وهو بحاجة إلى استشعار عضويته في العائلة طبعاً هذه ستكون أسوء ما تكون من الحرمان من الانتفاء في الأطفال الذين يتربون في الملاجئ، مثلاً كالأيتام أو اللقطاء أو نحو ذلك طبعاً يحرم من مسألة الانتفاء هذه طبعاً هذه مؤسسة وموظفين معروف الأشياء التي تحصل معهم فعشان تقارن بين أهمية الانتفاء.

قارن بين طفل ينشأ في أسرة ينتمي إليها وتنتمي إليه وبين هذا الذي يتربى في هذه الأماكن وتشوف الفرق بين الاثنين؛ ولذلك يخرج منه أحياناً شخصيات معادية للمجتمع وترتكب جرائم وإدمان وكذا وكذا نتيجة عدم وجود هذه الطمأنينة التي تنشأ من الشعور بالانتفاء لأسرة أنه منتم إلى أسرة؛ ذلك ابتعاد هؤلاء الأولاد أو إيوائهم إلى أسر بالوضع الشرعي الصريح طبعاً ليس بنظام التبني المخالف للشريعة هذا من أعظم الأعمال الصالحة إنقاذ نفس بعض الناس بتفهم ان من أجل أن التبني حرام في الإسلام يبقى لأمحدث يجب حد من هؤلاء الأطفال ويربيها لأمكن تتعمل ضوابط معينة

(١٤) مسند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (حسنه الألباني).

ميحصلش مخالفة شرعية كأن مثلاً زوجته ترضع مثلاً هذا الطفل فبالتالي تصبح هي أمه والزوج يصبح أباه ويصبح أولاده أخوات في الرضاعة وما تحصلش مشاكل بعد هكذا في كبر السن.

حتى لو ربه لحد ما خرج العاشرة أو الثانية عشر مثلاً قبل البلوغ ثم فصل عن أولاده أحسن من ما حدش يرعاه خالص، لكن للأسف الشديد قوانين التبنّي قوانين معاندة للقواعد الإسلامية الشريفة وذلك يوقعون الناس في حرج لأنهم يجبرونه على تسجيله بإسمه فمن ثم هذا الموضوع محتاج لإعادة نظر لفتح باب الرحمة لهؤلاء الأطفال وضمان مستقبل أفضل لهم كلما شعر الطفل بالانتماء كلما زادت طمأنينته وتشكلت أوصل الولاء لديه، الولاء من عقيدته الولاء لوطنه الولاء للقيم التي يتلقاها من العائلة من ضمن احتياجات الطفل انه يتلقى منظومة القيم، كل أسرة لها منظومة قيم فهو يبتشرها من وجوده من خلال وجوده في هذه الأسرة بالطريقة التلقائية تتولد مشاعر انتماء الإنسان للأشياء من حوله مع لحظة ميلاده، كما تنمو هذه المشاعر وتتعزز وتتسع لنمو مدارك هذا الإنسان؛ ولذلك كان الشعور بالانتماء راسخاً في التكوين الإنساني.

مرحلة الانتماء تعد نتاجاً طبيعياً لإشباع يتلقاه الطفل من الوالدين فيتسع هذا الانتماء بعد ذلك ليشمل الأصدقاء وزملاء الدراسة أو الجيران أو الأندية ونحو هذا، ويتوسع أكثر فيشمل الانتماء لمجتمع ويبدأ الحس بضرورة التعاطف والتعاون مع الآخرين، الأطفال الذين لا يتلقون الرعاية العائلية الكافية والإحساس بالانتماء تنزعزع علاقاتهم الاجتماعية، والعلاقات التي تنشر بينهم وبين غيرهم مستقبلاً، ستكون مغلفة بالشك وعدم الثقة والحذر الزائد، وإشباع هذه الحاجة من شأنه أن يجذر علاقات الطفل الاجتماعية مستقبلاً، يعد الوجود المستمر لحياة الأبناء أحد أساليب بناء الطمأنينة ومستمر دائماً مرتبط بالأسرة عن طريق الحوار الودود المستمر بين كل أفراد الأسرة عن طريق اجتماع يومي لمناقشة أحداث اليوم، إن دور الأسرة لا يقتصر على توفير المأوى ولا على نظافة الطفل وتوفير احتياجاته المادية ولكن أنشأت الأبناء تحتاج قبل كل شيء إلى الحب والانتماء، وليس مجرد ظروف جيدة مناسبة للمعيشة كما أن قيمة الطفل وتقديره لذاته تنشأ بشكل كبير من خلال إشباع حاجته إلى الانتماء وشعوره بالاعتبار.

ما هي الأشياء أو الوسائل التي تقوي الشعور بالانتماء وتغذي الحاجة النفسية إلى الانتماء مما يساهم في طمأنينة الطفل وتمتين روابط الأبوة والأمومة؟

- ١ - الحوار الدائم.
- ٢ - استشارة الطفل في بعض القضايا الأسرية.
- ٣ - فتح المجال لديه للاختيار.
- ٤ - تكليفه بعض المسؤوليات التي تراعي قدرته.
- ٥ - اللعب الجماعي والألعاب العائلية.

٦ - تشجيعه على الاختلاط بالأطفال؛ فالطفل مهما توفرت لديه الأمور المادية قد يكون أكثر جوعاً إذا حرم الأمان النفسي والطمأنينة.

حاجة الطفل إلى المدح:

نتقل بعد ذلك إلى نوع آخر من الاحتياجات النفسية وهي الحاجة إلى المدح طبعاً الكلام ليس يتم في احتياجات الطفل كثيرة في احتياجات مادية كثيرة جداً مثل الحاجة إلى الطعام والشراب والملابس وكذا وكذا من الأمور المادية لكن في أغلب الناس لا يقصرون في النواحي المادية لكن الخطر هو أن اعتقادهم أن المطلوب فقط هو إشباع الاحتياجات المادية أن حد ينظف له حد يأكله ويهتم به لكن كثير من الناس يغفلون عن فهم ما الذي يحتاجه الطفل.

ليس هذا فقط هناك أناس تظل تقول هذا لما يكبر شوية نبقي نهتم بالتربية وبالتالي تفوت أخطر مرحلة في وضع حجر الأساس أو أساس بناء شخصية الطفل وهي الخمس سنوات الأولى وهي أخطر حاجة ويتم فيها على بعض الآراء ٩٥٪ من تربية الطفل أو صناعة نموذج شخصيته ٩٥٪. الخمسة في المائة هذه تتعامل لحد سنة ١٨ بس طبعاً سيكون صعب التغيير فيها فخسارة أن نضيع الفرصة الذهبية لافتراض صحة هذه النظرية أن الـ ٩٥٪ يتم في الخمس سنين الأولى عندنا احنا أكبر فترة تحظى بأكثر قدر من الإهمال هي هذه الفترة انظر إليه إنه قطعة لحم أو لعبة نتلهى بها نتسلى بيه بدون أن نفهم كيف يفكر أو ما الذي يحتاجه خاصة الاحتياجات النفسية وهي لا تقل أهميتها عن الاحتياجات المادية التي لا يقصر فيها غالباً أحد من الآباء.

هناك نوع آخر من الاحتياج عند الطفل الحاجة إلى المدح هي قريبة أيضاً إلى الحاجة إلى التقدير فالمدح يعتبر داخل تحت عنوان كبير عملية التأديب تشمل مبدأ الثواب والعقاب الثواب.

الثواب نوعان:

ثواب مادي وثواب معنوي أو نفسي فمن الثواب المعنوي مدح الطفل (مدح) الثناء عليه لكن بضوابط طبعاً فالمدح طبعاً هذا أسلوب إسلامي وثبت كثير من الأدلة في الشريعة الشريفة تدل على أهمية حتى بالنسبة للكبار - المدح الذي يراد به التشجيع.

لما مرَّ ﷺ على بعض الصحابة يحفرون بثر زمزم ويعملون فيه قال: «اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ»^(١٥) ومناسبة أخرى قال: «هَكَذَا فَاصْنَعُوا» قال لحسان «اهْجُئْهُمْ أَوْ هَاجِئْهُمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكَ»^(١٦)

(١٥) صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١٦) متفق عليه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

فهذا كله تشجيع ففيه مدح غير مذموم فيه مدح تربوي بس فيه ضوابط لأن احنا أيضاً إذا تماردنا في المدح بدون ضوابط هنرتكب أخطاء مضرّة.

فالمدح رفع للمعنويات وتثبيت للإيجابيات وترسيخ للقيم المحمودّة والمحبوبة ولذلك كان مدح الطفل وسيلة تربوية تشع حاجة كاملة بداخل الإنسان عموماً والطفل خصوصاً وهو منهج تربوي اتبعه الرسول ﷺ مع صحابته رضي الله عنهم صغاراً كانوا أم كباراً ومن كمال مدحه لصحابته ﷺ إطلاق أفضل الألقاب عليهم يعني فيه ألقاب في الإسلام لكن لا بلفظ باشا وغيره والكلام الذي لا يعطي ثمنه لألقاب في الإسلام حسب خدمة الدين الألقاب في الإسلام ليست عنصرية ولا قبلية وإنما هي خدمة الدين فجد الرسول عليه الصلاة والسلام سمى خالداً رضي الله عنه سيف الله المسلول قال إن خالداً سيف الله سله الله على المشركين رضي الله عنه لقب خالد بسيف الله حمزة أسد الله أو سيد الشهداء رضي الله عنه أمين الأمة الفاروق عمر الصديق أبو بكر رضي الله عنه أكثر أمتي حياءً عثمان رضي الله عنه جعفر الطيار فهذه ألقاب يعني من أعلى درجات المدح إنه يلصق به لقباً فيه ثناء على إنجازاته أو خدمته للإسلام.

كيفية المدح:

المدح لا يكون فقط فيما يراه الطفل بل كذلك فيما يجب أن يتصف به من صفات وخلق ومدح الطفل بما يمكنه أن يفعل أو يكون هو دفع وتشجيع له نحو الخير فالمدح له علاقة بقضية التقدير احنا هنا نتكلم عن المدح التربوي لأن المدح له فقه مفصل شوية ليس هذا وقته لأن حتى في حق الكبار لكن نتكلم على نوع معين من المدح وهو المدح التربوي الذي يشع في الإنسان الحاجة المتجزرة في أعماقه إلى التقدير ورغبته في إشباعها يعني من أسدى لكم معروفًا فاكفئوا فإن لم تكافئوه فقولوا له جزاك الله خيراً فـ هذا نوع من المدح والاعتراف بالجميل ومقابلة الإحسان بالإحسان لأن الله تعالى قال: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنُهُمْ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فإذا الإنسان يحتاج إلى التقدير بل وصل الأمر إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»^(١٧) فجعل الاعتراف بالجميل أو الثناء على الإحسان الذي يحسنه الإنسان إليك هذا من حق المسلم أن يسدي إليك معروفًا أن تكافئه على الأقل بالدعاء فإذا كل إنسان يحتاج إلى التقدير وعنده رغبة في إشباع الحاجة إلى التقدير.

المدح يشع الرغبة إلى التقدير:

(١٧) سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال «حسن صحيح» وحسنه الألباني رحمه الله.

مما يشبع هذه الرغبة إلى التقدير تأتي مثلاً مدرسة طفلة رسمت لها شجر وحاجات طبعاً طفلة ترسم والرسم هذا شيء مهم جداً بالنسبة للأطفال فتذهب وهي تعبت في اللوحة لذلك لا يصلح أبداً إن المدرس يعيب أبداً على الرسم أبداً لأنه نوع من التنفيس هو ييسقظها على الورق يلون لك السما بلون اسود لا تنتفضه هذه عبارة عن انطباعات داخلية هو ينفسها ويطلعها فهي صورة من صور التنفيس والتعبير عما بداخله.

تأتي المدرسة مثلاً وهذا حصل يعني طفلة مثلاً جايه للمدرسة والبنيت فعلاً بترسم كويس جداً، لكن المدرسة قاعدة شغالة في التريكو والحاجات التي يعملونها هذه فقالت لها إيه القرف هذا وراحت رمت لها الكراسة مثلاً فها هذا أسلوب ما تنفعلش تكون مربية إطلاقاً فالشاهد إن لا بد أن لكل حاجة لين في التعامل مع الأطفال وإن نشبع الاحتياج إلى المدح لكن بصدق ليس مبالغة فإنك لو قلت لابنك أحسنت يتشجع وصار يبحث عن الأحسن هايترقى أيضاً أحسنت لهذه التصرف وهذا الإنجاز طبيعي إنه يبقى سعيد جداً وعازي بقى الحاجة التي تأتي له بالثناء هذا تاني وأكثر فيبدأ بأنه يجتهد لفعل الأحسن فيما بعد.

سليات الآباء في السخرية والتحقير بدلاً من المدح:

كثير من الآباء والأمهات يخلون على أبنائهم بالمدح لكن في حالة التوبيخ ما شاء الله في التوبيخ واللوم والعتاب والتعزيء والسخرية والتهكم والتحقير لا حد يبقصر يعني قارن بين كمية المدح وبين كمية التوبيخ والعتاب والإهانة والاحتقار للأسف الشديد تجد الفرق شاسعاً بينهم فتجد السابقين إلى التوبيخ واللوم لو رأوا ما لا يرضيهم من أبنائهم وترى تركيزهم على أخطاء الأبناء وسوء تصرفاتهم ما يشوفش غير الأخطاء بس بدل التركيز على الإيجابيات والأعمال الحسنة التي تصدر منهم وبالتالي تكفل الانتقاضات وتغيب كلمات التشجيع من قاموس كلمات الأبوين، والعائلة النقادة هذه تعمل مشاكل نفسية من ضمنها فيما بعد ممكن بترشح الطفل وتعمل له انفصام العائلة النقادة التي كل حاجة ينتفضها نقض في كل شيء في كل تصرف ينتفضه يقولوا وقد لا نكون مغالين لو أكدنا أن درهماً من المدح أفضل من قنطار من الدم.

علاج المشاكل بكلمة مدح:

يحكي هنا ويقول اعتادت بنت صغيرة أن تذهب إلى المدرسة كل صباح ويدها متسختان، وخيل لمدرستها أن نوع الوسخ القذارة هو كل يوم، ولم ترد المدرسة اللطيفة أن تجرح شعور البنت وقد أحست أنها في بيتها لا تحظى في بيتها بالعناية اللازمة فأبواها لا يهتمان بها وهذا ما حاولت المدرسة أن تتداركه ويومها قالت لها ما أجمل يديك لماذا لا تذهبين وتغسلينهما لكي يرى الجميع جمالهما فذهبت الصغيرة مبتهجة وغسلت يديها وعادت مشرقة الوجه ثم مدت يديها أمام المدرسة مفاخرة بتفتخر إن

لأنها قالت لها إيديكي جميلة فينبغي تبين بقى من أجل أن تفتخر بهذا ضمتها المعلمة بذراعيها وقالت صحيح ما أجملها رأيي الفرق الذي نتج باستعمال قليل من الماء والصابون، وبعد ذلك صارت الفتاة تأتي إلى المدرسة كل يوم أنظف مما قبله حتى أصبحت من أكثر التلميذات نظافة وترتيباً.

أيضاً في هذه الحالة الذي عالج المشكلة عند البنت كلمة مدح ولباقة في استعمال العبارة فتغيرت الفتاة تغييراً إيجابياً بكلمة مدح وتحسنت حالته.

يعني أحياناً ممكن الدواء كلمة لن تكلف شيئاً؛ لذلك فالإسلام يرفع جداً شأن الكلمة الطيبة ويجعلها عبادة الكلمة صدقة.

إن الطفل كلما سمع المدح والثناء، لفت انتباهه هذا المديح، وبعث في نفسه الفخر والاعتزاز والدافعية للعمل والإنجاز، والقوة لبذل مزيد في كل ما يحقق له مدحاً ورضاً من الآخرين، والمدح قد يتخذ شكل التلميح والتصريح بشكل مباشر وغير مباشر، كأن تمدحه مباشرة تصريحاً أو تمدحه في معرض حديثك مع صديق سواء بالهاتف أو مباشرة وكلها واسئل ناجحة في تحقيق السلوك الإيجابي لديه طب ماذا عن الخطوات أو المعايير التي تجعلنا نمدح الطفل مدحاً إيجابياً قد يستحق الطفل المدح لشخصه وبنوته وقد يستحقه لإنجازاته وحسن ما يصدر منه، في الحالتين هو محتاج إلى إشباع هذه الحالة النفسية، وهي فطرة إنسانية، وحاجة بشرية، تبدأ مع الإنسان منذ طفولته، وترافقه إلى مهده، وإذا كان الطفل في أحيان كثيرة يسعى للتفوق والإنجاز، والانقياد بدافع إرضاء الوالدين؛ فلأنه محتاج إلى المدح لتعزيز هذه السلوكيات الإيجابية لديه، وبناء الثقة في قدراته وسلوكياته.

وهذا الطريق لتقوية الصفات الإيجابية لديه من شجاعة وكرم وحب للعمل وطاعة وللوالدين كذلك وسيلة لبناء الصفات الذاتية الإيجابية:

١ - الطموح.

٢ - الشجاعة.

٣ - التفاني في العمل.

٤ - الحرص على النجاح بصفة عامة.

خطوات عملية في قضية المدح الإيجابي:

ثم يذكر ست خطوات عملية في قضية المدح الإيجابي البناء أول هذه الخطوات يقول:

١ - ركز أكثر على الإنجاز لا على الشخص ذاته يعني ممكن هو نفسه يمدح وممكن إنجازاته تمدح أول قاعدة للمدح الإيجابي البناء إنك تركز على الإنجاز نفسه ليس على الشخص لا أن تقول له أنت أحسن طفل في الدنيا وانتي أجمل بنت في العالم يعني الكلام منصب على ذاته امدح السلوك هذا هو المدح الإيجابي امدح السلوك فركز أكثر على الإنجاز شيء كويس الذي هو عمله لا على الشخص لذاته فينبغي

الحرص أكثر على مدح كل ما يصدر عن الطفل من إنجازات مهما كانت ضئيلة في نظرنا فهي فيما يتعلق بطفل كبيرة قياساً مع قدراته الذاتية والإنجاز هو كل سلوك يصدر عنه أو خلق يتصف به.
أمثلة:

مثلاً هذه أمثلة مثلاً ما أروعك لأنك:

- ١ - هادئ فهنا المدح جاء معللاً بالسلوك فهو يعرف ان الهدوء لما يكون مثلاً في ضيافة ناس أو نحو ذلك يتحلى بالهدوء ما أروعك لأنك هادئ.
 - ٢ - مثلاً كم أحبك لكلامك الطيب فهنا أيضاً مدح للسلوك.
 - ٣ - كم تستحق الامتياز لأنك مجد مدح للجدية.
 - ٤ - ابني رائع لأنه يحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها مدح للإنجاز وليس للشخص.
- ملاحظة:

ينبغي الابتعاد قدر المستطاع عن التعميم لأن التعميم لن يقدم الطفل خطوة نحو الإنجاز لازم تحدد له حاجة محددة من أجل أن تلفت نظره لأهمية هذه الصفة أو لأهمية هذا الخلق أو لأهمية هذا الإنجاز لكن أنت أجمل طفل في العالم أنت أشطر طفل في العالم انتي أجمل بنت إلى آخره كلام عام أو أحسن طفل إلى آخره كلام عام لن يفعل شيء في السلوك لكن أترك التعميم امتدح شيء خليك نوعي خصص المدح بصفة أو بخلق، هذا هو الذي يدفعه إلى الأمام مدح في الإنجاز وليس في الشخص ذاته.

الخطوة الثانية امتدح المحاولات ولم تكن إنجازات: وطبعاً احنا بنستحضر بنتكلم دائماً قاعدة مهمة جداً «طفلك ليس أنت» لا تحاسبه بعقليتك أنت لكن حاسبه بعقليتك حينما كنت طفلاً مثله لا خبرة في الحياة ولا معرفة وما زال بينضج وبينمو فإذا لازم التعامل نرى الطفل كيف يفكر كيف نحاول نقرب منه ونبت له هذه المفاهيم فهنا ما دام يبحاول امتدح المحاولات حتى ولو كانت المحاولات لا تأتي بنتيجة مطلوبة.

الفشل خطوة في طريق الإنجاز:

فالطفل في بدايات نموه يحاول فينجح أحياناً ولا ينجح أحياناً أخرى وهذه سنة الله في خلقه فينبغي أن نشجع كل المحاولات وأن نعد كل فشل خطوة نحو النجاح، والإنجاز والعكس الفشل يكون هو في الآخر أول خطوات النجاح.

كما يقول بعضهم لقد فشلت وفشلت وفشلت ولذلك نجحت أخيراً؛ الفشل هو خطوة في طريق الإنجاز.

مثلاً تخيلوا لما هأقول يمشي وهو يجبوا على الأرض ثم يحاول أن يستند لمقعد ويمشي خطوتين وبعدين يقع على الأرض إلى آخره؛ فهذه كلها محاولات للتقدم إلى الأمام فينبغي أن نشجع كل

المحاولات وأن نعد كل فشل خطوة نحو النجاح والإنجاز واللحظة من تحييط الطفل أثناء محاولته، لا لا هات أنا أعمل لك الموضوع فأنت لا تحبه، لأنك تبعت له رسالة انه عاجز وفاشل ولا يوجد فائدة انه يقدر يعمل حاجة لكن سيبه يحاول اليوم.

أنا رأيت طفلة صغيرة جالسة على مقعد ولا بسة سويتز وبعدين عاززة تخلع السويتز فقاعدة تشد الكم من هنا ومن هنا تحاول كل محاولات انها تخلعه فمن بعيد أنا قلت لها فكي الستة فبهه نزلت الستة لقيتها ماشية امسكي بإيد واعلمي بالإيد الثانية لحد ما فكيها خالص وراحت وخلعت الإيه بخلاف ما لو جيت أنت رحت قايل طب هات وانا اعمل لك المهمة هذه فلما يحاول شجعه على المحاولة لأن هذه علامة على النمو يحاول يأكل سيبه يأكل، هو يياكل نفسه لا هاهدل الهدوم إيه حكاية الهدوم إيه مشكلة الهدوم وان الأرض تتسخ هو ينمو كيف تعطل نموه سيبه ينمو هذه حاجه كويسة انه يحاول يستقل يعني معناه نمو نفسي وبدني كويس جدا احنا بنشجعه على هذا فالمحاولات لا بد أن نمتدحها أنه يعني شيء كويس يحاول يرسم يحاول يمشي يحاول يركب دراجة يحاول يعمل أي شيء جديد فالمفروض ان احنا نمتدح المحاولة حتى ينجح في الإنجاز.

الحذر من تحييط الطفل أثناء محاولاته لكي لا يصاب بخيبة الأمل:

فلنحذر من تحييط الطفل أثناء محاولاته لكي لا يصاب بخيبة الأمل وتضعف ثقافته في قدراته النبي عليه الصلاة والسلام وهو في أحلك الظروف وهو في حصار الأحزاب يعد أصحابه في النصر والتمكين ويزرع إليهم الثقة في نصر الله ثم في قدرتهم على الصبر والثبات والنجاح وطبعا عندنا أمثلة كثيرة جدا في السنة يعني خباب ابن الأرت رضي الله عنه يقول أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة المرحلة المكية حيث كان التعذيب والاضطهاد ملأ المشركين فقلن يا رسول الله ألا تدعونا لنا ألا تستنصر لنا فقال الرسول ﷺ «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ»^(١٨) ففي أشد اللحظات اضطهادا كان يفتح أمامهم باب الأمل في إن فيه فرج بعد هذا الكرب» هناك فرج ﴿مُحَمَّدٌ الْقَبِيضُ الْمَخْرُجُ مِنَ اللَّائِلَاتِ﴾ [الشرح: ٦].

من الفشل يتعلم الإنسان:

(١٨) صحيح البخاري من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

فدائماً نزرع الأمل حتى لو يبحاول يفشل لأهيجي وقت ويكون أحسن من هكذا جايب نتيجة مثلاً الامتحانات كعك بقى وحاجات مثل هكذا فيقولوا لأن شاء الله أنا واثق المرة الجاية سيكون أحسن لا يقعد يضربه ويكتفه فدائماً تفتح له أمل انه دائماً هابتصلح لأنه ينمو فإذا الفشل خطوة نحو النجاح ومن الفشل يتعلم الإنسان يشوف أخطاؤه إيه ويبدأ يستدركها.

التركيز على خطوات الإنجاز والنجاح فقط:

١ - الخطوة الأولى: ركز أكثر على الإنجاز لا على الشخص ذاته.

٢ - الخطوة الثانية: امتدح المحاولات ولو لم تكن إنجازات.

٣ - الخطوة الثالثة: مدح ابنك يدل على رغبتك، فيه فمدحك لابنك يزرع لديه الشعور بأنه مرغوب فيه ويوهمه مدح الوالدين بالدرجة الأولى لتحقيق الطمأنينة لديه إنه مصدر فخر لهم وهم فرحان به كما أن غياب مدحك لأبنائك يوحي إليهم أنك لا تحبهم أو لا يهتمك أمرهم، أو أنك لا تعترف بقدراتهم واستقلاليتهم، ومن هنا تنشأ الشخصيات الضعيفة المنطوية غير القادرة على تحقيق النجاح والتفوق، ومواجهة الظروف الاجتماعية والنفسية.

٤ - الخطوة الرابعة: امدح وأنت مقتنع ولا تجامل وهذه مهمة جداً يعني أنت لا تمدح وتقول كلام رياء لكن امدح وأنت مقتنع أن هو فعلاً فعل إنجاز يستحق المدح ولا تجامل لأن الطفل يكون عنده وعي كبير جداً فوق ما نتصور فالطفل لو مدح بالكذب يعرف انه ممدوح بالكذب فعشان هكذا لا نبالغ في المدح ونمدح شيء حقيقي هو فعله فالطفل يعرف بإحساسه وذكائه متى تكون صادقاً في مدحك ومتى تكون مبالغاً ومجامللاً لذلك إحرص على مدح كل ما تراه صالحاً فيه ولو صغر وكل محاولة صالحة لديه ولو لم تتم وابتعد عن أسلوب المدح للمدح أو التفاخر أو المبالغة المضرة هو يكتشف بسهولة جداً أنت بتكذب عليه لو بتبالغ في المدح فامدح فقط ما أنجزه أو ما يحاول إنجازها وبالمبالغة هيفقد الثقة فيك ان أنت بتقول أي كلام.

٥ - الخطوة الخامسة: اتبع أسلوب التشجيع في مواقف التشجيع فمن حاول ولم ينجح يحتاج إلى تشجيع وبناء طموح نحو النجاح لازم يتعلم الطفل أن هذه فرص الفشل هذه فرص يتعلم فيها السقوط ليس نهاية المطاف وأن من يسقط إما أن يقوم ليتدارك وإما أن تدوسه الأقدام يعني هكذا فقط ينهض من جديد ويحاول ويستمر وإن مكث في الحفرة واستوطنها ستطأه الأقدام وأن حالات العسر الطبيعية وتحتاج إلى مواجهة يعني ضروري جداً الإحباط مهم جداً الطفل يتعرض أحياناً لإحباط بس إحباط محكوم يعني الطفل لازم بيستأذن عليك السلام عليكم أدخل تقول له أدخل لأنه بدء يطبق أحكام الاستئذان وآدابه لكن لازم مرة بعد أربع خمس مرات يقولك السلام عليكم أدخل لازم مرة بعد هكذا مرة تقول له ارجعوا حتى لو كان ممكن يدخل لأن المقصود هنا تعمل له إحباط من أجل أن يتحمل الإحباط، يتدرب

على أن الحياة دائماً ليس أخذ فقط هذا أخذ وعطاء وإن ممن يفشل أحياناً هذا شيء عادي فلما بتقول له ارجعوا وهو يبحط أول مرة بيتصدم جداً لا بد من إحباط محكوم بين وقت لآخر ليتعود ويعرف أن كل حاجة في الحياة لا ينالها بسهولة وأحياناً ممكن يتدرب على مواجهة الإحباط لأنه ليس كل شيء سيقدر على أن يحصل عليه في الحياة الدنيا ففي حالات العسر التي تأتي بما لا تشتهي السفن لازم يفهم أن هذا شيء طبيعي ووارد في الحياة أنه أحياناً ممكن يحاول وما يقدرش يوصل لما يريد مستقبلاً حاول خلاص يكفي شرف المحاولة كما يقولون:

وأبلغ نفس عذرها مثل أنجح

ويقول الآخر:

علي أن أسعى وليس علي إدراك النجاح.

الخطوة السادسة: كن جاهزاً للمدح ولا تتأخر وهذه قاعدة مهمة جداً في قاعدة الثواب والعقاب كما سنفصلها إن شاء الله فيما بعد، إن الثواب والعقاب لا بد أن يأتيهما شركاً بعد الفعل الذي يستحق يعني الولد عمل تصرف كويس بالنهار ما ينفعش الأم تقول له هذا لما يجي والدك بالليل هاخلية يجيب لك مكافئة أو لعبة أو حلوى بالليل.

لا ينبغي يكون دائماً الواحد جاهز ولذلك تجد ناس كثير من الذين يفهمون في التربية دائماً يكون في جيبه شيكولاته يعني حاجات من الحلويات التي يحبها الأطفال لازم تكون جاهز معاك الأسلحة بتاعتك من أجل أن لو حصل تصرف جيد تكافأه في الحالة.

فينبغي من أجل أن يحصل ربط شرطي بين الفعل وبين الثواب أو العقاب على طول من أجل أن يربط يعرف أن السلوك هذا هو الذي أتى يلهدية أو الذي أتى لي بالثناء أو خلاه هايمسح رأس أو يثنى علياً أو يمدحني لأن المدح كما قلنا نوع من أنواع الثواب غير المادي علشان تغرس فيه أن الفعل هذا صح الذي عمله لا بد أن يكون الثواب مباشرة بعد الفعل كذلك العقاب إذا أخطأ في شيء معين ويستحق العقاب.

فلا بد أن يعاقب مباشرة بعد الفعل فالإنجاز يتعزز لو أسرع بالمدح ساعة تحقيقه وهو أحسن المدح وأكثره نجاعة وإيجابية.

كما أن لحظة الإنجاز عادة ما ترافقها مشاعر السعادة والفرح، وهي لحظات مهمة لربط الطفل بكلمات إيجابية تصبح جزءاً من دوافعه الإيجابية على مر الزمان، أحد العلماء المحدثين الكبار كان إيه الذي وجهه إلى الحديث وهو صغير واحد من الأمة رأى خطك قال خطك يشبه خط المحدثين بس قال الكلمة هذه ورأى شاف خطه قال خطك يشبه خط المحدثين فوقع في قلبه حب علم الحديث وصار إماماً في الحديث لأن المدح جاء في وقته.

لو سمع ابنك منك ما شاء الله ما أروعك في لحظة سعادته بإنجاز ما ارتبطت هذه الكلمات وترسخت في ذهنه بكل المشاعر الإيجابية وشكلت حافزاً نحو العمل والإنجاز.

ويمكنك استعمالها كوسائل ربط لتوجيهه وتعليمه إن المسلمين ارتبطت مشاعر القوة والاطمئنان لديهم بعبارة الله أكبر، أصبح فيه ربط لكلمة الله أكبر وبين مشاعر القوة والاطمئنان وهم يكررونها في الصلاة باستمرار، وبالتالي تحولت هذه الكلمة إلى ربط إيجابي يرفع المعنويات ويزرع الحماس والجرأة بها، وبها يتغلبون على مشاعر الخوف وهم يرددونها في الجهاد ومواجهة الصعاب والمحن.

طبعاً الله أكبر هذه في الجهاد فتحت بلاداً والقسطنطينية وفي آخر الزمان ستفتح بالتكبير، بالتكبير يعني هذا الرسوخ، في الحرائق أيضاً تواجه الحريق بكلمة الله أكبر فهي لها تأثير عجيب جداً في قلوب المسلمين ونحن صغار الحقيقة تربينا على نشيد في طابور المدرسة اسمه: الله أكبر إلى آخره الله أكبر فوق كيد المعتدي... شعر كان راقي جداً الآن أخذته ليبياً عملته هو ظل النشيد الوطني ونحن بقى عملنا حاجات ثانية.

انظر كلمة الله أكبر التي تربينا عليها من صغرنا بمشاعر العزة والقوة وتحدي الباطل والصبر والثبات خاصة في الجهاد، وهي في الصلاة وفي خارج الصلاة كلمة مرتبطة حينها يقوها المسلم لها ارتباط عميق جداً بهذه المشاعر هذا يتعلق بالحاجة إلى المديح والثناء.

الخطوات العملية التي تشبع هذه الحاجة وتحققها:

- ١- ركز أكثر على الإنجاز لا على الشخص لذاته.
- ٢- امتدح المحاولات ولو لم تكن إنجازاً.
- ٣- مدح ابنك يدل على رغبتك فيه.
- ٤- امدح وأنت مقتنع ولا تجامل.
- ٥- اتبع أسلوب التشجيع في مواقف التشجيع.
- ٦- كن جاهزاً للمدح ولا تتأخر لأن ممكن لا يصير معاك حلويات في جيبك لكن معاك لسانك معاك كلمة طيبة فهذه طبعاً هذا تشجيع.

بعد ذلك ينتقل إلى الكلام على الحاجة إلى القبول والحاجة إلى القبول يقول أن يستشعر الطفل أنه مقبول لدى والديه فتلك حالة نفسية توفر للطفل نمواً متوازناً وتربية صالحة لبناء الثقة بالنفس والقبول، يصدر حقيقة في صورة طبيعية من الوالدين السويين الأب والأم السويين بيقبل ابنه لأنه جزء منه أو بته حتى لو كان فيه من العيوب ما فيه، لو كان مثلاً معوقاً لو كان دميماً لو كان كذا أو كذا هو الأب السوي يبقى فيه قبول لأن هذا ابنه وامتداده.

فمن ثم مهم جدا ان الطفل يحس ان من حوله يقبلونه ويحبونه ويفخرون به هذه حاجة نفسية توفر للطفل نموا متوازنا وتربية صالحة لبناء الثقة بالنفس وتمنحه طمأنينة وتدفعه إلى الأمام لبناء معالم شخصيته، وتشكل في الوقت نفسه حصانة ضد الاضطرابات النفسية، والسلوكيات لديه بنديله مناعة من الاضطرابات النفسية بعد ذلك لو حس انه مرفوض فاطبعا ييؤثر عليه تأثيرا سيئا قبول الابن ينبغي أن يكون مرتبطا بإنجازات معينة وفي الوقت نفسه نظهر للولد عدم قبوله لو أخطأ أو فشل فنحن نقبله لأنه ابننا ولأنه ولد صغير. ومن ثم ينبغي أن يحترم وتصان كرامته بعيد عن أي ظروف أخرى، سواءً أكانت إنجازات أم إخفاقات.

لو علمنا الولد أننا نقبله إذا أحسن ونرفضه إذا أخطأ فإننا نشكل لديه حيرة وتذبذبا بين احترام واحتقار وقبول ورفض، ونتيجة هذا التذبذب ضعف في مكونات شخصياته وسرعة استجابته للمؤثرات الخارجية وانقياده للآخرين بلا حدود ولا مقاييس، وينتج عنه ذلك انهيار حاجات الطفل الأخرى لحاجته إلى المحبة فيرسخ في ذهنه أن رفضه يعني كراهيته وبغضه ولا يتعلم الفصل بين السلوك والذات، إن الإنسان الذي يحترم نفسه هو الذي يحسن السلوك والتصرف، والذي يفتقد احترام ذاته لا يمكن إلا أن يفسد مع نفسه ومع غيره، ولذلك كان من أهداف الإسلام في بداية انتشاره بدء معاني العزة والعلو لدى المسلمين العزة الإيمانية يقول تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

إن قبول الولد يعني تهيئته للانخراط في حياة إنسانية واجتماعية يتعلم منذ نعومة أظافره، كيف يقبل هو نفسه التعامل مع غيره، والبيت مرآة حقيقية تنعكس على الطفل سلوكا وشعورا ومفاهيم يبنى عليها معالم شخصيته، حين يسود الاطمئنان والقبول ينتشر الاحترام والتقدير والسكن والمودة والحب والمحبة، وكل ما انعدم القبول بين أفراد الأسرة الواحدة كلما زاد التباعد والتوتر والشحناء فيما بينهم وانتشرت سلوكيات الأنانية وحب الذات مقابل سلوكيات التعاون والإخاء.

ولذلك كان لزاما على الآباء والأمهات والمربين:

١ - الحرص على ما يلي الابتعاد عن السلوكيات الأبوية التي تشعر الولد بالافتقار إلى القبول.

٢ - الحرص على ما يشجع إشباع حاجة القبول لديهم.

٣ - سلوكيات الوالدين تعكس بشكل كبير تصور الطفل عن ذاته وموقعه لدى الآخرين، ليس المهم أن يكون ابني مقبولا لي ولكن الأهم أن يشعر ابني أنه مقبول غير مرفوض، ثم يذكر أربع سلوكيات تربوية غير صحيحة تحرم الطفل من القبول تحرمه الشعور بأنه مقبول:

سلوكيات تربوية غير صحيحة:

أولاً: النقد المستمر لذلك يذكر في أول هذه النصائح لا تنتقد الطفل باستمرار انتقاد الطفل بصورة دائمة ومستمرة، والتربص له أثناء كل حركة تصدر منه أو كلمة يتفوه بها تولد لديه إحساساً بأنه مرفوض وتصيبه بالإحباط وخيبة الأمل وتنزع منه الثقة بقدراته وإمكاناته وقد ينتج عن هذا الوضع خوف دائم من القيام بأي عمل أمام الآخرين وقتل لروح المبادرة التلقائية ولذلك ليكن حوارنا إيجابياً مع الأبناء، ولتتخذ الانتقاد طابع التوجيه الطيب بالتي هي أحسن، وليكن في حالة الضرورة، ومتى وما رأينا تكراراً وإصراراً من الطفل النقد المستمر والتربص يعني طبعاً له تأثير سيء جداً على نفسية هذا الطفل ويشعره في الآخر أن كل حاجة يعملها وحشة كل حاجة فيه سيئة هذا يتنافى مع حقه في إشباع حاجاته للقبول.

إذاً هذه النصيحة نقول لا تنتقد الطفل باستمرار، يعني فيه آباء بقى قاعد بالواحدة لا يترك الطفل يتنفس بحجة انه يريد يربيه لدرجة مثلاً أن الطفل مثلاً معه جهاز تسجيل في غاية الدقة يسمع لفظة مثلاً من الشارع جهاز التسجيل يسجلها في الذاكرة ويحي في البيت يروح يقول لها تصرخ الأم وهذا قلة أدب والولد جاب الكلام هذا من أين وتضربه طبعاً الطفل هايعمل إيه لأن شيء عابر لو هي تجاهلت خلاص سيعتذر الكلمة لكن هذه الوقفة الجامدة مع عبارة أو لفظة سيئة مثلاً سمعها من الشارع وهو ماشي أو حتى الصوت جاله وهو قاعد في البيت.

فالانتباه الشديد لها هاخليه يسلط الضوء أكثر وبالتالي ممكن نفس الطفل يستخدمها كسلاح عرف أن هذه تغضب الأم وساعات يبقى يريد ينتقم منها فيقول الحاجة التي يعرف أنها بتضايقها فتتحفر في ذاكرته أكثر فينبغي الإنسان يفوت يعني ليس كل حاجة في الآباء عندهم وسوسة في التربية ويتصور أن هذه إتقان لعملية التربية إن هو واضع الطفل أمام على طول في موضع الاتهام النقد التوبيخ يحصي عليه أنفاسه وحركاته وسكناته وكلامه وتصرفاته الإنسان يفوت قدر المستطاع ليس كل حاجة إلا الشيء الذي يتكرر ويستحق أنك تنتقده بطريقة إيجابية بناءة ليست طريقة تبعث على الإحباط.

من ضمن هذه النصائح أيضاً يقول لا تلزم الطفل أكثر مما يستطيع فجميل أن يكون الآباء طموحين، ويعملوا على بث الطموح لدى أبنائهم ويشجعوا الخطوات المؤدية لتحقيق ما لم يحققه الآباء، ولكن لا ينبغي أن يمارس you must please others يعني متلازمة أو مجموعة أعراض أو مرض يعني يجب عليك أن تسر الآخرين فهو يعيش من أجل أن يكف شر من حوله ويسكتوا يسكتهم بيسموه الطفل المتكيف ووالدي محتاجة أكون هكذا فهو جالس هادئ أحافظ على هدومي من القذارة خلاص احافظ على هدومي المدرس يريد اكون عامل له الواجب هاعمل الواجب يعني هدفه إرضاء الآخرين التكيف بيمشي حاله بيسكت من حوله من أجل أن يسلم من النقد والتوبيخ لأنهم لا

يقبلونه، إلا إذا كنت أنجز هذه الأشياء، فأنا سأسكتهم فيبقى كل همه انه يرضي هذا ويرضي هذا وينسى نفسه لا يستطيع أن يحيا حياته كطفل.

وبالتالي المطلوب ليس الطفل المتكيف لأ الطفل حتى يكون مبدعا لا بد أن يكون طفلا حرا وحر معناه ان يكون له مساحة من الأخطاء، لا نمسك عليه كل حاجة وننتقده فيها ونوجهه ونكتم على نفسه بحجة أننا نربيه فمن احتياجاته أنه يعيش المرحلة السنية الخاصة به بنوع من الحرية يقرر ملابسه ويتشاكس أحيانا مع زملائه الأطفال.

إذاً لا يوجد مشكلة؛ فلا تلزم بالطفل أكثر مما يستطيع لأنه بالتالي لن يقدر على أن ينجز فيحبط وتوبخه فيشعر بعدم القبول لأنه ليس هذا الشخص الذي يريداه، هذا غير بقى في الدراسة ساعات الطفل بيكلفوا الطفل فوق طاقاته كل إنسان له معدل ذكاء وله قدرات هناك واحد يحفظ حفظاً جيداً وهناك واحد يعني المواهب تختلف.

فدائماً يكون تكلفة الطفل فوق طاقته في موضوع التعليم وهذا سنفصل الكلام فيه فيما بعد إن شاء الله تعالى أيضاً من ضمن هذه التوجيهات لا تقارن الطفل بغيره؛ فالمقارنة بين شخصين علميا ومنطقيا سلوك غير صحيح وغير مقبول لأنهما عالمان مختلفان ولذلك المقارنة تتم عادة بين سلوكين وليس بين شخصين في المجال التربوي المقارنة بين طفلين لها من السلبيات أكثر من الإيجابيات حيث تصيب المقارن الضعيف بالإحباط وتولد لديه شعورا بالمرفوضة أنه إنسان مرفوض وهذا يتنافى مع إشباع حاجته إلى القبول بالعكس بدل ما تقابل الطفل بغيره ممكن تقارن السلوك أو ممكن تمتدحه بما اختصه الله به دون أخيه لأن كل طفل يبقى له شيء يتميز به فتمتدحه بالمجال الذي انجز فيه لا تمتدحه يعني لم انت لست مثل أخوك؟ ليه أخوك ما عملش هكذا أو زميلك؟ لماذا هو حصل على هذه الدرجات في الامتحان ونحو هذا؟.

رابعا: لا تفرط في الحماية والدلال:

الحماية الزائدة فإحاطة الطفل بحماية الزائدة تشل قدرته ولا تسمح له بتنميتها ولا باكتساب مهارات جديدة في الحياة؛ ولذلك لا نبالغ في موافقتنا على أن الإقلال من حماية الولد أقل خطرا من الإفراط فيها؛ يعني الحماية الزائدة أخطر من الحماية الناقصة فالإقلال من الحماية أقل خطرا من الإفراط فيها هايطلعه اعتمادي على الآخرين؛ يعني فالإفراط في الحماية بتقضي على روح المبادرة، وعلى حب المغامرة لدى الطفل، وقد تصيبه بالاتكالية القصوى والاعتماد الدائم على الغير.

والطفل يفهم الحماية الزائدة بأنها انعدام ثقة الوالدين في إمكانياته وقدراته.

وبالمقابل يرى أنه مرفوض من والدين يمنعانه من تحقيق استقلاليتهم وذاته والتعبير عن نجاحه في

مراحل نموه المتعددة.

اختصار التربية الناجحة:

قبل أن نختصر التربية الناجحة نختصرها في كلمتين بدون إفراط ولا تفريط الحب مع الحزم كالطائر يطير بجناحية حب من جهة وحزم من جهة أخرى يقول كيف تنمي حاجة القبول لدى ابنك، يقول القبول حاجة نفسية لدى الطفل وإشباعها ينمي الصفات الإيجابية لديه، ويبعده عن الكثير من السلوكيات السلبية التي يمكن أن تتولد من افتقار الطفل من الشعور بالقبول، وإذا كانت الوقاية من هذه السلوكيات السلبية تقتضي ابتعاد الآباء والأمهات عن مجموعة من التصرفات سبق بيانها، فإن بناء القبول لدى الطفل وإشباع هذه الحاجة بنفسه تتطلب من الوالدين مواقف تربوية معينة، يبقى الأشياء التي فاتت هي حاجات مطلوب عدم وجودها التي هي:

١ - النقص المستمر إلزامه بأكثر ما يستطيع مقارنة بغيره.

٢ - الإفراط في الحماية.

٣ - التدليل.

طيب هذه السواكب يعني لا تفعل الأمور الإيجابية يعني ماذا يفعل كي ينمي عنده الشعور

بالقبول:

كيف نحقق الإيجابيات؟

بالنسبة لقبول الطفل:

أولاً: امنح الطفل استقلالته فبعد تجاوز ستين يبدأ الطفل بالنمو نحو الاستقلالية والاعتماد على الذات ويسلك في سبيل ذلك طرقاً متعددة يثبت ذاته.

ومنها مثلاً أشهر شيء:

١ - العناد: انه يبقى عنيد فالعناد بكل أشكاله هو أيضاً نمو يحاول انه يثبت ان له رأي

واستقلالية أيضاً.

٢ - الإيجابية والسلبية طبعاً أشكال العناد الإيجابية والسلبية وكلما شعر الطفل باستقلالته ورأى

تشجيع محيطه كلما شعر بالقبول.

ثانياً: اعترف بالطفل بوصفه فرداً مستقلاً وهذه ناقشتها في أول محاضرة حينما نختار للطفل اسماً فإننا نقوم بعملية التمييز لأن اختيار اسم يتضمن اعتراف بأنه كيان مستقل واعطيناه الاسم من أجل أن يميز عن غيره فالاسم يدل على التمييز والاعتراف به كياناً مستقلاً وليس رقماً داخل الأسرة بإعطاءه رقم لكن بإعطاءه اسم، اسم معناه من أجل أن يبقى كيان مستقل و متميز عن غيره ولذلك ينبغي تحديد المخاطب دائماً بين الأطفال والتمييز بينهم اعترافاً باستقلاليتهم؛ فليس هنالك طفلان متطابقان أو متماثلان شخصية وكيانا.

ومن الخطأ معاملة الأطفال جميعاً بالأسلوب نفسه ومخاطبتهم بالكلام نفسه وإخضاعهم للتربية نفسها فلكل كيانه الخاص طبعاً من عنده أطفال يشعر بالتميز كل واحد عنده الكود به له شفرة هكذا أو له تكوين فلكل كيانه الخاص ولكل شعوره وموقعه الذي يختلف عن غيره ولذلك ينبغي أن ينشأ الأطفال على هذا الشعور وهذا النمط التربوي لكل كيانه المستقل ولكل ظروفه وخصائصه المختلفة فلو أنجز أحد الأبناء إنجازاً هائلاً احتاج منا إلى تقدير واحتفال وتخصيص هدية له على ذلك؛ فهل ينبغي أن نهدي الجميع ونقدر الجميع وكأنهم كيان واحد، لا.. طبعاً تخص الذي أنجز إنجازاً كبيراً.

ثالثاً: امدح إنجازاته قدرات الطفل مهما صغرت تجعله يحقق إنجازات تتناسب وإمكاناته الذاتية، ومراحل نموه فما نراه نحن الكبار صغيراً هو في عرف الطفل إنجاز. وكلما اعترفنا للطفل بإنجازاته كلما شعر بالرضا عن نفسه، واكتسب ثقة في قدراته، واستشعر فعلاً أنه مقبول، فامنح ابنك فرصاً لينجز، ولا تحطه بسياج من الحماية الزائدة، والتدليل الإنجازات تقوي الطفل، وتهيئه لمواجهة صعاب الحياة وتحديات المستقبل.

رابعاً: عبر له عن المحبة ليس المهم أن نحب أبنائنا ولكن المهم أن نعبر لهم عن هذه المحبة بالكلمة والسلوك وشعور الطفل بأنه محبوب يشبع لديه الحاجة إلى القبول.

خامساً: استمتع بتربية ابنك التربية متعة، وتعامل مع زينة الحياة الدنيا فاجعلها متعة، وبرمج نفسك على الاستمتاع للتعامل مع أبنائك. وكلما استشعرت هذا الشعور كلما أبدت امتعاضاً منه، وكلما عبرت عن عبء التربية كلما شعر الطفل بعدم قبوله.

سادساً: تقبل اقتراحات الولد فالابن يحاول الإدلاء برأيه اختباراً لقدرته ودفاعاً عن استقلالته فاسمع رأيه واهتم باقتراحاته مهما كانت في نظرك تافهة؛ فإن الإنصاف والاهتمام بما يقوله يشعره بقبولك له، وينمي لديه مهارات كثيرة، ويقوي اعتزازه بنفسه.

سابعاً: تقبل صداقات الولد بناء علاقات مع أقرانه حاجة اجتماعية، وهي الحاجة إلى الانتماء لا يمكن الاستغناء عنه؛ فابحث له عن الصحبة الصالحة، وأبدي ارتياحك وقبولك بأصدقائه، وافتح بيتك لزيارتهم.

إن في هذا السلوك الأبوي تشجيعاً للطفل على بناء علاقات سليمة تحت متابعة الأسرة، وفي الوقت نفسه تقوية لقدرته على توطيد العلاقات واكتساب مهارات التعامل مع الآخرين.

إن انتقاد الوالد أو الوالدة لأصدقاء الطفل باستمرار دون مبررات مقنعة لديه تسبب للطفل أذى نفسياً وإحباطاً، والتعبير عن تقدير أصدقائه يعزز لديه شعوراً ذاتياً بالقبول.

ثامناً: شجعه ولا تحبطه، الطفل يتعثر أحياناً وهذه سنة الله في خلقه، حين يسقط الطفل يحتاج لمن يساعده على النهوض، لا لمن يعنفه ويحبطه بالتعليق السلبي والتعنيف والتنقيص، لا تظهر نفسك وكأنك

كامل؛ فإن كان الطفل يجد صعوبة في مادة ما، فلا تحبطه بأنك لما كنت في سني كنت متفوقا، بل قل له أنا أيضاً أجد صعوبة، لكنني تقاويت وتجاوزتها بالثابرة والجد، أو كان ولدك يخاف من حيوان أو من الظلام فهدئ من روعه وأخبره أنك أنت أيضاً كنت كذلك، وقد بددت الخوف وتغلبت على المخاوف بدلاً من أن تنعته بصفات سلبية تحبطه، ولا تقدمه خطوة واحدة إلى الأمام.

تاسعاً: تعلم فن الإصغاء للولد يقول الإصغاء والإنصات للولد تعبير منك على قبولك له واهتمامك به والتواصل الذي يتم عبر الحوار والإنصات يحقق شعوراً لدى الطفل بقدرته على إثارة انتباهك وشعوره بأنه مقبول لديك؛ ولذلك خصص وقتاً يومياً للإنصات للطفل ولو لبعض دقائق، وسوف يتعلم الابن الكثير ويبنى الكثير من المهارات لديه وسوف يتعلم الآباء الكثير كذلك من الطفل، ويفهمانه أكثر ويكونان أقدر الناس على توجيهه وتعميم سلوكه.

عاشرًا: عامل ولدك كما تحب أن تعامل، كم يرتاح الكبار لو سمعوا كلمات الشكر والاعتذار ومجاملات الحديث من مثل عفوا لو سمحت شكرا لو تكرمت وما أجمل أن يتعلم الآباء أن يحاوروا أبنائهم بمثل هذه العبارات الودية الجميلة سوف تجعل منهم بحق آباء إيجابيين، وسوف ينشئون بإذن الله أبناء أكثر إيجابية.

إن الأطفال أكثر حاجة من الكبار إلى معاملة الود ولطف الخطاب، وهي من أفضل الطرق للتعبير لهم عن القبول، وتعني كذلك كيف يحترمون غيرهم.

يختتم الحقيقة هذا الفصل بوقفه عبارة عن رسالة من طفل إلى أبيه الحاضر الغائب الذي هو خارج نطاق الخدمة أو غير متاح طبعاً هي رسالة تربوية تتضمن توبيخ لنا نحن الكبار يقول فيها «إن الذي يعاتبك عليه يا أبي هو بعض نسيانك لي في زحمة أشغالك واهتماماتك، وإغفالك لإدراج اسمي في مواعيد مذكراتك، لست أذكر كم من مرة رأيت أُمِّي وقد أرخى الليل سدوله وغارت نزوله وهدئت حركة الناس فيه رأيتها بعد أن رميتها يا أبي بسهم غيابك، وحرمتها أنثى مواصلتك، حاولت أن تروم الصبر فلم تدركه، وبحثت عن السلو؛ فلم تملكه طاردت الزفات فلم تقلع، وكفكفت دمعا حارا فلم يرجع أبي العزيز الغائب.

إني اشتقت إليك، قد تتعجب من مراسلتي إياك وأنت أبي، ومكاتبتك وأنت معي، فلا أنت بالأب الغائب المهاجر إلى ديار الغربة بعيدا عن العين والأهل والأقارب والأحبة، ولا أنت بالأب المقيم في أسرته وبين أبنائه، يهثون بصحبته ويسعدون بوجوده، فحسبك بيننا صباح مساء، وطيف حاضر المعنى متى نشاء.

لكن يا أبي كثرت أشغالك، وطال غيابك، وكدنا نفتقد أثرك، انتظرت طويلا رجوعك إلى ما عهدت فيه، وطال انتظاري حتى فقدت الأمل في عودتك.

شملتني بعطفك ورعايتك وأنا صغير، وكلما كبر السن إلا وكبرت معها رقعة بعدك وغيابك عني، وكل ما اشتد عودي وأحسست بالحاجة إليك، إلا واشتدت مشاغلك وتخطفتك برامح أنشطتك. فلما عرفت السبب غيبتك، تأسفت على ما عدمته من مرافقتك ومصاحبتك، وما أبديت شوقا إلا بعد ما أبديت بعدا وهجرا؛ فأنا يا أبي لم أحظى بالكثير منك فيمتعني، ولا أرضى بالقليل منك فيقتنعني، فشوقي إليك غالب لصبري، وشغفي بك غامر لصدري، وودي إليك مشتمل على قلبي، وإحساسي بك نابع من طفولتي.

وكيف لا أكون كذلك وقد أريتني منك ما أقر عيني وطيب خاطري فأنت مثلي، وقدوتي وأنت نفسي التي يحويها جانبي، ويدي المحامية عني وقوتي التي تنهض بها همتي؛ فلا تعجب يا أبي إن كان شوقي إليك زائدا على قدرتي؛ فصبري عن غيابك قاعد عن نصرتي، وصباتي نحوك غالبية على نفسي. ألسنت أنت يا أبي من علمني كيف ارتبط نبي الله نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بابنه الذي

امتنع عن الاستجابة بدعوته، فلما أنزل الله غضبه نادى نوح ربه فقال الله تعالى ﴿رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٥]؛ فتحركت عاطفته الأبوية عليها تكون شافعة لابنه من العقاب ومنجية فلم ينسى الأب ابنه في أحلك الأوقات رغم اختلاف المعتقدات، ولم يغفل عنه رغم تمسكه بالمعصية وتعرضه للبور والاثام. ألسنت أنت يا أبي من علمني كيف تأثر نبي الله يعقوب لغياب ابنه نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وتأسف على ذلك كثيرا حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم؛ فلم تغن عنه كثرة أبنائه على أن يتولى عنهم جميعا، ويبث حزنه وشكواه لخالقه ومولاه، فهو الوحيد جلت قدرته العالم بالفاجعة التي ألمت به في فقدان قرّة عينه ونور بصره، وإذا كان هذا حال الآباء مع أبنائهم في العصور الخوالي؛ فإن عصرنا هذا شاهد على حال الأبناء مع آبائهم في الشهور والأيام والليالي ولقد اعتصمت يا أبي بالصبر فلم يمنع، ولجأت إليه فلم ينفع.

غير أننا نحفظ لكم أيها الآباء في صدورنا وهذا حفيا، وعهدا وفيا، وحبا خفيا، فهل أنتم لما نحس به مدركون؟ وهل أنتم لما نشعر به تجاهكم عارفون؟ أبي العزيز الغائب! إني أعاتبك.

قد تتعجب مرة أخرى وتتساءل هل الابن يعاتب أباه؟

أقول لك نعم إذا كان الأب غير الأب والابن غير الابن، وكيف لا يعاتب الابن أباه وهو لا ينظر إلى العلاقة التي بينهما على أنها علاقة دم وقرابة ونفقة وحالة مدنية فقط.

بل ينظر إلى هذه العلاقة نظرة أبعد من هذا بكثير؛ فهما صديقان وحييان وأخوان ورفيقان، وهما أب وابن حاصل الجمع بينهما اثنان لا يعرف نوعية العلاقة بينهما إلا الله، والراسخون في معرفتهما إني

أعاتبك يا أبي لأنك في نظري أب متميز فأنا أعلم أن غيابك عني في كثير من الأحيان أمراً فوق إرادتك، وأعلم أن خروجك من بيتك لا يكون إلا في معروف أمرك به دينك، وهذا لن يقلل أبداً من شأنك في نظري، بل زانك رفعة وسموا وقدرا وعلوا، وضربت بذلك أروع الأمثلة لبعض الآباء الحيارى التائهين العاجزين الذين أخلدوا إلى الأرض كسالى نائمين، وفرطوا فيما أمر به رب العالمين.

بيد أن الذي يعاتبك عليه يا أبي هو بعض نسيانك لي في زحمة أشغالك واهتماماتك، وإغفالك لإدراك اسمي بإدراج اسمي في مواعيد مذكرتك، ولولا حسن ظني بك وما لك في نفسي من أثر حسن خفي وجلي ولي فيك من أمل وفي، لما عانيت فيك ما أعاني ولما قاسيت فيك ما أقاسي ولا قيت في الصبر عليك ما ألاقى؛ فإنك حرمتني عطفك وحنانك، ومنعتني أبوتك وصادقتك، وبخلت عليا ببرك ووقتك، كم من ليلة انتظرتك فيها يا أبي على فراش نومك حتى تقر عيني بك، وأظفر بصحبتك، لكن تأخرت في الحضور حرمي من معانقتك والسلام عليك؛ حتى إذا صحوت من كابوس مزعج رأيت بصيصاً من النور في غرفة نومك؛ فطرت فرحاً للقياك وشوقاً لتقبيلك فارتدت إلي بصري خائبا ولم يكن إحساسي صائبا إذ لم أجد سوى أمي الحبيبة التي تهدهد أخي الصغير فلما أحست بمقدمي رفعت رأسها ونظرت إلي مرة عرفت من خلالها أنها تعاني ما أعانيه، وتكابد ما أكابده، وتغالب ما أغالبه.

فلمسكينة وإن كانت تلجم لسانها عن الشكوى، فإني قرأت في عينيها وتقاسيم وجهها حزنا دفيناً وألماً كبيراً، كأن أمر غيابك عنها يا أبي ليس لها فيه حيلة نافذة ولا غلبة يد ناصرة ولا لها منه منعة عاصمة، ولست أذكر كم من مرة رأيته وقد أرخى الليل سدوله، وغابت نجومه وهدئت حركة الناس فيه.

أبي العزيز! إننا في انتظارك إذا كنت قد عجبت مني في المرتين السابقتين فقد جاء دوري لأعجب منك ومن تصرفات كثير من الآباء أمثالك أعجب العجب انتباهكم إلى أن الأمر الذي كتتم إليه وأبعدكم عن أسرکم وأبنائكم، ليس أفضل مما قمتم عنه في بيوتكم ومنازلكم، أتعجب من أمركم أيها الآباء؛ فطالما دعوتم الله سبحانه أن يهب لكم من أزواجكم وذرياتكم ما تقر به أعينكم، ويبهج نفوسكم، ويروي بالفرحة صدوركم، فلما استجيب دعوتكم حبستموها بعد حين من الدهر في بيوتاتكم، وتركتم مهجة أفئدتكم لعواج الزمن تنخرها نخرا، ولوسائل الإعلام تهدمها هدماً، ولآداب رخيصة في شوارعنا وحاراتنا تعصف بها، عصفاً ولوسواس الجنة والناس والأنفس تكيد لها كيذا.

حتى إذا انقضت السنون والأعوام وألقت بكم الأيام للأيام، جنيت ثمار غفلتكم وغيابكم مرة كالعلقم، وعضتم أناملكم من الأسف والندم، وتمنيت لو أنكم استقبلتم من أيامكم ولياليكم ما استدبرتم، ولشكرتم ربكم على ما أنعم به عليكم، ولرعيتم حق الرعاية نعمته التي أسبغها عليكم.

لكن هيهات هيهات هل يعيد الندم والأسف ما عفى عنه الدهر والزمن، ومرت عليه الآفات والمحن، لقد آن الأوان يا أبي كي أعلن الحقيقة أمامك وأصارك بها، إنني أحتاجك اليوم قبل الغد، إنني أحتاجك قبل فوات الأوان، أحتاج عطفك وبرك، أحتاج حنانتك وأبوتك، أحتاج مساعدتك ومشورتك، أحتاج آرائك ونصائحك، أحتاج ضحكك وابتسامتك، أحتاج جدك ولعبك، أحتاج أكلة خاصة من صنع يديك، أحتاج أن أتقاسم معك فراشك ومكان نومك، أحتاج أن أسابقك وألاعبك، أحتاج قصصك وحكايتك، أحتاج أمنك وحمايتك، أحتاج مثلك وسيرتك وقدوتك، أحتاج أن أتقاسم معك أفراحك وأحزانك، أحتاج طيفك وخيالك.

أحتاج وأحتاج وسأظل أحتاج ما دمت أنت أبي وأنا ابنك وهذا قدرتي وقدرتك فهلا منحتني بعضاً من وقتك يا أبي، وهلا وهبتني جزءاً من اهتمامك يا أبي، وهلا أولتني بعض عطفك يا أبي، وهلا جعلتني من أولوياتك يا أبي، وهلا أحسستني بك يا أبي، وهلا شعرت بأحاسيسي الطفولية تجاهك يا أبي، وهلا تذكرت أن لك أسرة تحبك يا أبي، وهلا خففت من خروجك وغيابك يا أبي، وهلا عدت باكراً حتى تفر عيني بك يا أبي، يا أبي العزيز إنا اشتقنا إليك فعдна إلينا كما كنت قبل أن تغيب عنا، عد إلينا قبل أن نفتقدنا فلا تجدنا؛ إنا جميعاً في انتظارك فعدا يا أبي وصدق الشاعر:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه دليلاً

إن اليتيم لمن تلقى له أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وسبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

المدرس الرابع

«حاجة الطفل إلى التأديب»

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى لا سيما عبده المصطفى وآله المستكملين الشرف أما بعد،،،

الحب وحده لا يكفي:

فقد انتهينا في الكلام حول الحاجات النفسية للأطفال إلى الكلام على الحاجة إلى التأديب تناولنا فيما سبق الحاجات النفسية التي يحتاجها الطفل، والتي ينبغي أن ندركها ونتفهمها، كي نشبع هذه الاحتياجات عند الطفل بالشكل السليم يضمن له تنشئة سوية متكاملة، وحينما تكلمنا من قبل حول الحاجة إلى المحبة، فالحاجة إلى المحبة أيضا من الاحتياجات الأساسية لدى الطفل، لكن من الخطأ أن نفهم أن كلامنا عن المحبة أو تربية الطفل عن طريق الحب هو الطريق الأوحـد لتنشئة هؤلاء الأبناء، إذا ما أضيفت له باقي الحاجات، لأن المحبة تدور في فلك التعامل الهادئ اللين مع الطفل، وكل التوجيهات التربوية يمكن إجمالها في كلمتين فقط كالطائر الذي يطير بجناحيه.

الحب والحزم ضرورة قصوى:

الحب والحزم الحب من جهة والحزم من جهة أخرى، لا يصلح واحد منهما لا يصلح الحب وحده والعاطفة وحدها والتبديل ولا يصلح أيضا الحزم وحده بل لا بد من التوازن بين الأمرين، ووضع كل منهما في موضع بصورة معتدلة بلا إفراط ولا تفريط، فكما تكلمنا على أنه محتاج إلى المحبة هو محتاج أيضا إلى الحزم أو بصورة أخرى محتاج إلى التأديب، والتأديب حينما يذكر لا ينبغي أيضا أن يقفز إلى أذهاننا أن التأديب هو بالضرب من أكثر الانحرافات الفكرية في مفاهيم بعض الناس شيوعا انه إذا سمع التأديب فليس للتأديب عنده صورة سوى الضرب، بل هناك حقيقة مبدأ أوسع من الضرب، هو مبدأ الثواب والعقاب التربية بالثواب والتربية أيضا بالعقاب، ولكل منهما ضوابط في غاية الدقة سوف إن شاء الله نتناولها فيما بعد بالتفصيل.

احتياج الطفل إلى العوامل النفسية والتربوية:

الطفل بقدر ما هو محتاج إلى المحبة وإلى الاعتبار والتقدير وإلى المدح والقبول والطمأنينة وهذا كله ناقشناه فيما مضى، فهو أيضا بحاجة إلى من يؤدبه هذا احتياج أيضا لأنه لا يستطيع أن يستقل بنفسه في تقويم سلوكه، فلا بد من التأديب لأن التأديب احتياج، ولا بد من وضع الضوابط والقواعد عبر مراحل نموه العمرية، يخطأ من يظن وهو يمارس أبوته أن الحب وحده قادر على تنشئة الأطفال خير تنشئة، كما أن سياسة دع ابنك يفعل ما يشاء أو لا تقل أبدا كلمة لا لابنك تنشأ غالبا أبناء لا ينضبطون بضابط ولا يحترمون أحدا، ولا يلتزمون بدين، ولا خلق ولا عرف ولا أي شيء، لا يضبطهم ضابط لماذا لأنه يترك له

الحبل على الغارب، ويتجنبون أن يقولوا له لا، فيصبح الطفل سلطانا متوجًا، ويصبح الأب أو المربي عبارة عن منفذ لرغبات الأطفال، هذا كل دوره في هذا النمط الناقص من التربية.

نتائج سوء تربية الطفل لدى أسرته :

الطفل الذي لا يؤدب بالضوابط والقوانين والقواعد وحضور توجيهات الوالد قد ينشأ معتقدا أنه غير محبوب، وغير مقبول لدى أسرته، لأن الإنسان لا يمكن أن ينعم بالحرية إلا إذا عرف حدود حريته، يعني الناس في تعاملهم دائما هناك خطوط حمراء، خط أحمر ينبغي لكل إنسان يعرف حدوده تجاوز هذا الخط، هو الذي يأتي بالمشاكل في كل العلاقات تقريبًا، فالحاجة إلى الحرية أو التمتع بالحرية لا يمكن أن يتم إلا إذا عرف الإنسان أين تنتهي حدود حريته، وقد قال أحد المختصين التربويين إن المشكلات النفسية بين الناشئ لا يسببها التشدد في التأديب، بل انعدامه صحيح أن التشدد له سلبيات ويسوء أحيانا نفسية الطفل، لكن أعظم منه خطرًا انعدام التأديب، يبقى التشدد في التأديب قد يأتي بسلبيات لكن انعدام التأديب يأتي بسلبيات أكثر وأشد، ولذلك قال هارون الرشيد لمؤدب ولده الأمين ولا تمنع في مسامحته لا تتبادى في التسبب معه والتسامح وترك الحبل على الغارب، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ، ويألف وقومَه ما استطعت في القرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة، يقول أيضًا مؤلف كتاب التربية الإيجابية من خلال الحاجات النفسية للطفل، إن ابنك إنسان وأنت تبتغي سعادته، وسعادته لن تأتي بحصاره في نمط معين من الحياة تفرضه، وإلى هذا فإن سعادة الابن لن تأتي بإطلاق العنان ليفعل كل ما يريد فالسعادة لن تأتيه لا بالحصار ولا بالتسيب المطلق بحيث يفعل ما يريده كله، إن إحساسك الداخلي يقول لك إنك أيضا تحتاج إلى رعاية ابنك، كما يحتاج ابنك لرعايتك، وإنك ستؤدب ابنك التأديب اللازم عندما تراه خرج عن الحدود، وإنك لن تعاقب نفسك بالإحساس بالذنب، لأنك فعلت ذلك لا بد من التوازن والحزم، بجانب الحب بعض الآباء ينهزم أمام الدموع إذا عاقب ابنه وبدأ الابن يبكي فينهار ويعود لنفس الموقف، يحتضنه ويربط عليه لأنه انهار أمام دموعا طبعًا هذا الأب هو من يحتاج إلى لا أقول تربية، لأن التربية هذه للصغار لكن محتاج تقويم لأنه يهدم ما بناه وهكذا بنخلط الطفل الصبح فين والغلط فين، إذا كان أنا بأثيب وأعاقب في نفس الوقت على نفس الفعل لما لأن هو لما رأى بكائه أيقظ فيه الإحساس بالذنب إنه أساء إلى هذا الطفل الذي ينبغي أنه يعني أن يرحمه وبعض الأحيان الأطفال يحصل نوع من الابتزاز بطريقة فنية ويكون عنده خبرة يتلاعب بالكبار بهذه الطريقة، وبعض الأحيان يكون الأب حازم ويأخذ موقف الشدة وتأتي الأم محتاجة تتقرب إلى الطفل فتذهب إليه إيه تعالى يا حبيبي وتحضنه وتربط عليه فهكذا التعارض هذا أيضا هيلخبط الأمر عند الطفل ولا يفيد إطلاقا يضره من الناحية التربوية لأنه هكذا ها يتلخبط إيه في التصرفين الصبح واحد بيعاقبني والثاني

يشيني فإذا الإنسان يؤدب ابنه التأديب اللازم هنا نراه خرج عن الحدود تجاوز الحدود والضوابط والقواعد في نفس الوقت إذا أدبه أو عاقبه بصورة من صور العقاب التي سنناقشها في التفصيل فيما بعد ينبغي أن يكون حذرًا من ضعفه وعليه أن يتجنب الإحساس بالذنب لأنه فعل ذلك إذا أدبت فأدب وأنت مقتنع أن هذا مصلحة الطفل والعقاب هنا هو الذي يصلحه ويربيه وبالتالي إذا ألغيت العقاب انهماكًا أمام دموع الطفل وبكائه وندمت على ذلك وشعرت بالذنب معناه ان أنت نفسك متناقض أنت لا تعرف ما تعمل، وعندما تنظر إلى غيرك من الآباء عليك أن تتعلم من تجاربهم إذا نظرت إلى أب يكثر من الصراخ في وجه ابنه عند أدنى بادرة للخروج عن السلوك المفروض يعني أول تجاوز للحدود أو الأشياء المطلوبة فالأب يصرخ ويصيح ويثور ويفعل هذا فإذا سيكون موقف الابن ستجد أن هذا الابن يكرر للمرة المئة الخروج عن ذاك السلوك المطلوب لماذا؟ هنا يمكنك أن تسأل نفسك لماذا لم يمثل الابن لطاعة أبيه الجواب: هو أن كثرة التوبيخ وكثرة الإهانة للطفل وكثرة الصراخ في وجهه تجعله يسيء الظن بنفسه وبقدراته ولذلك فإن الطفل يكرر الخطأ قد تتنقل

أهمية رعاية أسئلة الأطفال لخطورة الأمر:

رؤية آخر تزوره في منزله وهو يرى ابنه الصغير يحاول أن يضع الشريط في الجهاز مثلاً، شريط كاسيت بطريقة غير صحيحة فيقوم الأب بهدوء لابنه ويقول أنت تريد أن تشاهد هذا الشريط وأنت تتعجل في وضع الشريط، لذلك فإنك تضعه بطريقة غير صحيحة، دعني أضع لك الشريط في الجهاز وراقبني، يعمل له نمذجة أو نموذج يحتذيه وبعد ذلك أخرج أنا هذا الشريط من مكانه لتضعه أنت. هو ارتكب خطأ سواء بيدخل السي دي هذه في الكمبيوتر أو جهاز تسجيل أو نحو ذلك، فمممكن الأب يصيح أو يعاقبه ويمكن بمتتهى الهدوء أن يعرض له الأمر بهذه الطريقة، أنت تريد أن تشاهد هذا الشريط وأنت متعجل في وضع هذا الشريط، وذلك بسبب التعجل تضعه بطريقة غير صحيحة، دعني أضع لك الشريط في الجهاز وراقبني وبعد ذلك، وأخرج أنا هذا الشريط من مكانه لتضعه أنت، إن الابن في هذه الحالة يراقب ما يحدث وهو يؤدي عملية إدخال الشريط بشكل صحيح في الجهاز وبعد ذلك يقلد الابن أباه في كل حركة من الحركات الصحيحة، وهنا يثني الأب على ابنه، إذاً هنا حصل عملية نقل للخبرة عن طريق التفاهم والنمذجة حصل إن الأب عنده خبرة في هذا الموضوع فهو نقل الخبرة إلى الابن بمتتهى الهدوء وراقب ابنه أيضًا، وهو يكرر هذه الخبرة أيضًا بمتتهى التشجيع، وقد تنتقل إلى رؤية أب ثالث يأتي ابنه ليسأله عن كيفية خلق الله لهذا العالم في الحقيقة إن موضوع أسئلة الأطفال فكيف ينبغي الإجابة عليها هذا موضوع دسم، لأن هذا علم أصبح علم الإجابة على أسئلة الأطفال، علم مستقل فرع مستقل في التربية إليك عندي في حوالي ما يقارب عشر كتب فقط في أسئلة

الأطفال، وكيف تجيب عليها ولو فتشنا أكثر أكيد سنجد أكثر لماذا؟، لأن هذا أصبح علما فالموضوع بلا بد إن الإنسان يفهمه، ويعيه لذلك إن شاء الله سناقشه بالتفصيل فيما بعد، يقول هنا وهو يعرض صورة أب ثالث، يأتي ابنه ليسأله عن كيفية خلق الله لهذا العالم والأب مشغول بمشاهدة مثلاً برنامج في الكمبيوتر، إن هذا الأب قد يقول لابنه بعصية ليس هذا هو الوقت المناسب للرد على هذا السؤال، وقد يتصرف الأب بلون آخر من السلوك يعني فيه واحد لا يبالي بسؤال الطفل مع إن أسئلة الطفل هذه علامة على حدوث نمو في عقله وإدراكه لأنه يبدأ يفتح على العالم، ويتفاعل معه، ويفكر من أين جاء كذا ومن أين ولد هو ومن أين جاءت السموات والأرض إلى آخره، فهذه مرحلة جديدة من النمو فالمفروض ان يحصل ترحاب بأسئلة الطفل، لأن عنده قدرة مذهشة على الاستيعاب، وسناقش ذلك فيما بعد حينما يأتي الوقت إن شاء الله تعالى بالتفصيل، فواحد يقول له هذا وقت غير مناسب لأنه منشغل بشيء آخر هناك أب يتصرف أمام نفس الموقف بصورة أخرى حينما يقوم من أمام الجهاز ويفتح دائرة معارف مبسطة ويبدأ في الإجابة رابطاً بذكاء بين تفاصيل العلم المبسطة وبين آيات القرآن الكريم حول خلق هذا العالم. نتقل بعد ذلك إلى نقطة مهمة جداً وهي أن مفهوم التأديب لا يناقض الاحترام بعض الناس قد تستغرب أن المفروض إن الأب يحترم ابنه نعم احنا خدنا فيها كلام كثير لأن الاحترام هنا مقصود بيه الاعتبار الاعتبار تقرير والاهتمام به فاحترام الآباء للأبناء أمر أساس ومهم هذه هي الحقيقة النهائية التي يمكن أن نستخرجها من كل القواعد والنظريات الحديثة في التربية.

نعم للتأديب لا للقسوة:

أنه لا بد أن تتعامل معه باحترام ولكن الاحترام لا يجوز له أن يتحول إلى ستار نخفي وراءه ضعفنا، أو نهرب خلفه من ممارسة مسئوليتنا نحو الأبناء، وليس جائزاً لنا أن نكتب رهبنا بدعوى أننا نخشى على الأبناء من الكد فنعيش في حالة غيظ، ويعيش الأبناء في حالة الاستهتار.

من سلبيات التأديب تحطيم نفسية الأطفال:

كما أنه ليس جائزاً لنا أن نحول غضبنا إلى قسوة مبالغ فيها لإهدار إنسانية الأبناء، إن هذا الإهدار يجعل الأبناء في حالة من الرعب المستمر من الحياة، ويزرع في نفوسهم التشاؤم، ويلقيهم في أحضان الإحساس بفقدان القيمة والاعتبار، يبقى مثل ما قلنا إن التأديب لا يناقض الاحترام، فيمكن أن تحترم وتقدره وفي نفس الوقت تأدبه لا يوجد تعارض كما سيأتي في التفاصيل إن شاء الله أيضاً، نفس المبدأ ما دمنا نقول نعم للتأديب لكن أيضاً لا للقسوة، القسوة التي تهدر كرامته وتهدر إنسانيته وهذا شيء مهم جداً، مثال يقفز إلى ذهننا وهو موجود في المجتمع ليس نادر الأب أو الأم الذي يضرب ابنه ضرب غرائب الإبل وبهذا بالحذاء يعني إهانة تحطم إحساسه بالكرامة الآدمية، إن كان يضرب بما فيه أشد

الإهانة لهذا الإنسان فهذا يؤثر تأثيراً سيئاً، لأن القواعد العقاب والتأديب ألا ترتبط بتحقيق الذات، فيجب أن نتجنب أي تعامل فيه احتقار للذات، لكن ممكن ندين التصرف لكن ما لا تعطية.

أخطاء الآباء في التربية:

أنت فاشل أنت لص أنت حرامي أنت كذاب، فمن القواعد إن لا يصبح إطلاقاً أن احنا نعلق لافتة على الطفل لأن هذا ظلم له، لأنه ينمو ما زال يتكون فبالتالي لا يصلح تصدر عليه حكم نهائي، هيفضل ينمو لغاية ١٨ سنة تقريباً واضح مينفعش أن تقول عليه كذاب، لأنه ممكن يكون بيكذب، لكن هو مفهومه للكذب ليس المفهوم الذي عندك أنت ساعات الطفل خياله بيكون واسع، بيقتعد يتخيل أشياء ويتعامل معها على إنها حقائق، هي كذب لكن هو لا يقصد الكذب يقول إنني لا أنسى على الإطلاق وجه ذاك الشاب الذي كان والده يجلده، كلما أخفق في سنته الدراسية يجلده جلدًا وبعض الأحيان يستعملوا الكابلات الكهربائية الآباء المفترين يأتي كابات كهربائية ويعقدها في بعضها ويضرب ابنه يرى أنه بذلك يؤدبه وكأن طريقة الجلد مستوردة من العصور الوسطى، إذ يرقد الابن على ظهره ويمسك الأب بساقي ابنه بين فخذه ويبدأ الضرب العنيف على بطن القدمين.

والغريب أن هذا الابن كان يحفظ الكتب الدراسية عن ظهر قلب ولكن ما إن يدخل الامتحان ويمسك بورقة الإجابة حتى ينسى كل شيء تمامًا plane memory يعني ذاكره ممسوحة، لا يوجد شيء مطلقاً، رغم أنه حافظ الكتب لكن أول ما يدخل اللجنة ينسى كل شيء.

وعندما صحبه والده مرة لاستشارة أحد الأخصائيين، سأله ألا تعلم أن الدين الإسلامي يوجب عليك أن تلاعب ابنك سبعاً وتؤدبه سبعاً وتصاحبه سبعاً، وتترك له الحبل على الغارب مع التوجيه من بعد ذلك نحن سنتجاوز عن نسبة هذا للدين الإسلامي لأن هذا ليس فيه حديث، لكن ممكن أجزاء من الكلام هذا تتوافق مع التربية الصحيحة، لكن ليس بهذه الدقة، وتسائل الرجل بدهشة كيف نسي ذلك رغم أنه يحاول أن يطبق كل فروضه الدينية، وحاول رجل أن يصاحب الابن وأن يتخلى عن عادة تحفيظ ابنه للكتب الدراسية، وهنا اجتاز الابن بالنجاح امتحاناته كلها حتى صار مدرساً.

إن القسوة الزائدة عن الحدود تظهر في أشكال التخلف الدراسي، أو في قسوة الأبناء على زملائهم، وإخوتهم أثناء اللعب لأنه يعمل إزاحة لأنه ليس قادراً على أن يتقم من أبيه ليس قادر يعامله بالمثل لأنه أقوى منه يضربه لكن يحاول يعمل إيه بقى بنفس الألم الذي عنده على الأضعف منه أحياناً يبقى على اللعب بيكسر اللعب ويخرها أي سلوك عدواني في البيت العند أو ممكن يستعمل العنف مع زملائه وأقرانه في المدرسة.

سلوك أبوي خاطئ في التربية:

هناك نوع آخر من السلوك الأبوي البالغ القسوة وهي أن يحاول الأب أن يترصد ابنه في أمور حياته كلها، ويحاول أن يسيطر على الابن في كل لحظة من لحظات حياته، وهذا معناه أن الأب يرتدي جلد ابنه، وفي هذا تفريض للابن من شخصيته الأمر الذي يجعله إنساناً غير مميز، فهذا نوع من السيطرة الزائدة عن الحد الأب أو المربي الذي يحصي أنفاس المربي، ويريد أن يسيطر عليه سيطرة كاملة بحيث واقف له بالمرصاد في كل لحظة وفي كل حركة وفي كل سكنة وفي كل كلمة، كأنه يلبس جلد ابنه كأن هو نفس هذا الكيان فطبعاً هذا فيه إلغاء لشخصية الابن إلغاءً له تماماً وسوف يعوق نموه على الاستقلالية، وقلنا من قبل أن هدف التربية أن الأب يربي ابنه كي يشب سوياً ليعينه على الاستقلال الكامل ومواجهة الحياة بنفسه بعد ذلك، كما قال أحد الآباء لابنه المراهق قال له كن رجلاً ولا تتبع خطواتي، كن رجلاً مستقلاً بنفسه ولا يكن دورك معي مجرد التقليد والتبعية، كأنك زيد تتبع أخك ولكن كن رجلاً ولا تتبع خطواتي، وشبهنا من قبل عملية التربية وأنها مثل الرامي الذي يرمي السهم، فدور الأب مع الابن أن يساعده على الاستقلال وليس على التبعية.

التربية الناجحة أنه يستطيع أن يواجه الحياة بنفسه لأن هذه سنة النمو الطبيعي في كل الكائنات، يبدأ بفترة حضانة وكذا وكذا ثم يفصل، ويتزوج مثلاً، أو يفصل بصورة أو بأخرى، فهذا الهدف ليس الهدف إن احنا نتعامل على أنهم ملكية شيء بنملكه، ونستحوذ عليه ونعيق نموه واستقلالته. الهدف في التربية مثل السهم الرامي يرميه بشدة لماذا؟ ليحرره من قبضته لكنه يعطيه طاقة، فهو الذي يشجعه على الانطلاق في المستقبل، ودائماً الآباء ييكونوا كبار في السن يكون في حياته نوع من الثبات كما هو حال الرامي.

أما السهم فيكون فيه أمامه مستقبل بعيد، وهو يهيئه لصناعة هذا المستقبل لانطلاق بحرية بدون تبعية، للأب مع إن الأب هو الذي يعطيه القوة والدفعه كي يستقل، كون الابن يكون خاضع للسيطرة أيضاً هذا أمر ضروري، لا جدال فيه، لأنه كما قلنا أنه محتاج إلى تأديب ومحتاج إلى ضوابط وإلى قواعد تحكم سلوكه.

لكن ليس شرط أن تترك للابن فرصة جيدة لتكون له شخصيته الخاصة به، لأن ناقشت من قبل في أول محاضرة موضوع التميز لا بد أن ننظر لكل طفل على أنه متفرد، فيه نوع من التفرد والتميز، ولا تطلب منه أن يكون نسخة كربونية منك، لأن الابن الذي سيعاني من سيطرة أبيه في الغالب يحصل له بعد هكذا أنه لما ما يبقى عنده أولاد مع إنه يشتكي يشوف مثلاً واحد مراهق ويبصرخ من تصرفات أبيه معه، وشدته عليه وضربه وكذا وكذا ثم تدور الأيام، وتجذ نفس هذا الابن إذا كبر المفروض يكون قد أخذ عبرة ويعدل يحصل حاجة اسمها التوحد مع المعتدي، identification with يعني المعتدي هذا الولد يهتمص شخصية أبيه يتوحد معه أو يتماهى وهو نفسه يعني قاعدة في الطب إن بعض المصطلحات

سنقولها باللغة الثانية the paused will be abuser الذي يبقى أسيء إليه في الصغر بعد هكذا لما يبقى في نفس الدور يمارس نفس الدور الذي مورس عليه من قبل حتى في الاعتداءات الجنسية، ونحو ذلك الذي يتعرض لهذا بعد ذلك يتحول إلى معتدي على الآخرين.

نفس الشيء العقاب الجسدي أو الشدة والقسوة بيدور الزمن ويكون هو توحيد مع المعتدي فيؤدي نفس دوره فيما بعد، فالتسلط هينشئه أيضًا متسلطًا مع أبنائه هو فيما بعد، يقول إن مساحة السيطرة الأبوية يجب أن تكون ضيقة، ومتميزة، فيه سيطرة لا بد إن هو محتاج كما قلنا إلى التأديب لكن السيطرة تكون حدودها ضيقة وفي نفس الوقت نوعية متميزة حتى تتيح للأبناء فرصة تكوين الشخصية الخاصة، وذوق راق، وإبداع فعال.

فالمربون سواء من المسلمين أو من غيرهم يتفقون على ضرورة الحسم الحازم الواضح والدقيق مع الأبناء، يعني فيه حب لكن كما أن فيه حزم من الناحية الثانية طائر يطير بجناحين، حب وحزم، الحزم يكون في حسم موضوع ودقة مع الأبناء، هذا ينتج أطفالاً أسوياء سعداء.

فلأب المحب الحازم الحاسم المتسامح من دون مبالغة، هو الأب الذي يعرف أن إحساسه يتجه إلى إنضاج ابنه بالتفاعل لا بالقهر، ولهذا فإن ينضج هذا الابن، لكن ينضج بالقهر ولا ينضج بالتفاعل وبالتفاهم، لا بالقصر وبالحنان لا بعدم المبالاة.

موضوع تأديب الطفل متشعب ودقيق ينبغي الوقوف على معالمه، لأن التأديب علم ومهارة، ومن لا يجمع بينهما يفسد من حيث يريد الإصلاح، ويخطئ من يظن أن التأديب يعني اللجوء إلى العقاب لتعديل السلوك لدى الطفل أو إلزامه بأمر ما، يعني التأديب كلمة واسعة جداً تشبه معنى الضيق الذي يتصور بعض الناس أن التأديب يساوي العقاب أو أن العقاب يساوي الضرب لأخطأ خطأ فادح، لكن التأديب يشمل الترغيب والترهيب، يشمل التعليم والتهذيب، يشمل التدريب يشمل التشجيع والتفسير، والتبرير، إلى آخره.

فالتأديب هو إدماج الطفل في مواصفات شخصية تتسم بالسلوك الحسن وتقوم سلوكه غير السوي، أما العقاب فيعد جزءاً هامشياً في عملية التأديب، وعابراً لدى الآباء والأمهات، ولا يلجأ إليه إلا في الحالات النادرة، وعند الحاجة، وفي سن محددة فقط، التأديب يشمل عنصرين هم التربية والإصلاح، المهمة الرئيسية للوالدين تربية أبنائهما تربية سليمة، وفق أسس علمية، ومتابعة نتائج هذه التربية بالرعاية والإصلاح، وتثبيت أصول الخير، ونواذعه، وإبعاد الشر وعواقبه، يعني مثل الزرع هو ليس الذي يزرع هذا يمشي في خطواته في متابعة وإصلاح، هذا نفس الشيء كما يفعل الزارع مع الأرض التي راعها ولا يتوقف عن رعايتها وتهذيبها وإصلاحها.

ورد في كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي في التأديب قول حكيم وشامل لمفهوم التأديب وماهيته حيث يقول رحمته - اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكتفى بالمرضي منها عن التهذيب، لأن لمحمودها أصدادا، مقابلة، يسعدها هوى مطاع وشهوة غالبة، فإن أغفل تأديبها تفويضا إلى العقل أو توكلأ على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع أعدمه التفويض، درك المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائين، فصار من الأدب عاطلا، وفي صورة الجهل داخلا، لأن الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة، ولكل قوم مواضعة، وكل ذلك لا ينال بتوقيف العقل، ولا بالانقياد بالطبع، حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة ويستفاد بالدربة والمعاونة ثم يكون العقل عليه قيما ولو كان العقل مستغنيا عن الأدب، لكان أنبياء الله تعالى عن أدابه مستغنين، وبعقولهم مكتفين، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ -أو- مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١٩).

وقيل لعيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من أدبك قال رأيت جهد الجاهل، فجالته.

وقال علي بن أبي طالب رحمته إن الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم فحسب الرجل أن يقتصر من الله تعالى بخلق منها، التأديب والتهذيب يلزم من وجهين أحدهما ما لزم الوالد لولده في صغره، والثاني ما لزم الإنسان في نفسه عند نشأته وكبره، يعني فيه تأديب يتلقاه في الصغر ممن يربيه، ثم بعد ذلك هو يؤدب نفسه إذا كبر بالتعلم والعبادة والمجاهدة ونحو ذلك، فأما التأديب اللازم للأب فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب، ليأنس بها وينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على الشيء، تجعله متطبعا به، ومن أغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا، وقد روي في بعض الآثار ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن يفيد إياه، أو جهل قبيح يكفه عنه، ويمنعه منه، وقال بعض الحكماء بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال وقال بعض الشعراء:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت .: ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر .: وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وقال آخر:

ينشأ الصغير على ما كان والده .: إن الأصول عليها ينبت الشجر

(١٩) السنن الكبرى للبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني رحمته.

إذاً التأديب شامل لكل الأساليب التربوية التي يفعلها ويمارسها المربون، التدريب الترغيب الترهيب، التحذير، التشجيع، تقويم، تعليم التربية، كل هذا داخل كلمة التأديب، وليس من الأدب وليس ما يقفد لذهن الناس إن التأديب هو الضرب، أو ان التأديب هو العقاب فقط، والعقاب هو الضرب.

أهداف التأديب:

ماذا عن أهداف التأديب؟ وهذا شيء مهم جداً جداً من أهم الأشياء في عملية التأديب إليه الهدف لماذا أنا أمارس هذا النوع من التأديب، لا بد أن يكون الجواب عن هذا السؤال حاضراً عند كل مهتم بالتأديب والتربية لماذا؟ لأن حضور الهدف الواضح لدى المربين يبعدهم عن الدوافع الانتقامية النفسية.

الهدف من الضرب هو التأديب وليس الانتقام:

هو ليس محدد هدف هو يحصل أنه يؤدب خاصة عن طريق الضرب، انتقاماً من الطفل، والطفل لا يصلح أن تنتقم منه لماذا؟ لأنه طفل ومحتاج إلى التأديب محتاج إلى التربية محتاج إلى التقويم، أما إن واحد ضخم الجثة ورجل كبير وقوي ومفتول العضلات، ويستعرض عضلاته أمام طفل عنده ٧ سنين أو ٥ سنين، هذه ليست مروءة أقل شيء نقول إنها ليست مروءة، ليس هناك تكافؤ يعني يستعرض عضلاته مع واحد في حلبة مصارعة، أو ملاكمة، ماشي لكن جاي أمام طفل ويخرج أقصى طاقته للانتقام من الطفل، بحجة أنه يريبه لا هو يعالج نفسه هو بتعبير أدق بينفس عن شحنة الغضب التي بداخله، وكثير من الناس بتستتر وراء قول النبي ﷺ واضربوهم عليها لعشر، ستكلم وسنشبع إن شاء الله كلاماً بالتفصيل فيها لكن، ما أريد أن أقوله أنهم يستعملون الأحاديث النبوية والمفاهيم الإسلامية مثل مصبة الريح، يحمي نفسه بس بيها بيستخبي وراها نوع من الاستغلال السيء للنصوص الشرعية.

فالضرب المشروع في الإسلام، أو التأديب عموماً الهدف هو أن هذا السلوك فيه مصلحة للطفل، أم ليس فيه فإذا كان فيه مصلحة فأنا حتى لما أستعمل أساليب شديدة أو عقابية ليس الهدف الانتقام، الهدف هو التقويم تربية تعليم إلى آخره ليس الهدف الانتقام، لأن الطفل غير مكلف، هو غير مكلف حتى يعاقب حتى من أجل أن هكذا الطفل ما يعتبرش ما يدخلش حتى في التعذير، لأن الطفل لا يعذر لا يكلف فهذا في الكبار، على الظروف التي هي دون الحدود، أما الطفل فهو يعذر تأديباً أو إذا استعمل معه أسلوب معين من الشدة فهو لهدف إصلاحه، ولا يمكن أن يقول مربى أو فقيه في الشريعة الإسلامية أن الهدف هو الانتقام.

إن الطفل ليس مجالاً للانتقام، لكن أنت تستعمل الأسلوب الذي يفيد الطفل، فالنظر أساساً هو في مصلحة من مصلحة الطفل، ولذلك من قواعد التربية أو العقاب أنه لا يجوز أبداً للمربي أن يعاقب وهو غضبان لماذا، لأنه لو عاقب وهو غضبان فهو يريد أن يشفي غضب نفسه الانفعال في داخله، ولذلك لا يتوقف عن الضرب إلا بعد ما يستريح، ممكن يكون عمل له عاهة أو أذاه أذية شديدة جداً، كما سنين إن شاء الله تعالى.

إذاً حضور الهدف السامي، والتركيز على الهدف هو مصلحة الطفل، وهذا أسلوب مثل الدواء المر، هكذا لما تعطيه لإنسان لمصلحته، فإذا كان ما تعطيه هو نفسه داء فما فيش داعي، يعني واحد مؤلف كتاب يبدافع عن الضرب بطريقة مستميتة، وكأن الذي لا يضرب إنسان مؤثر في اتباع السنة، لا فاهم هو الحديث هنا ليس على سبيل وجوب، واضربوه عليها لعشر هذا للإرشاد.

يعني الأمر متوقف هل الضرب داء أم دواء؟

إذا ثبت إلينا أنه دواء طبعاً بشروط دقيقة جداً في غاية الدقة، يجوز بشروط دقيقة وتقريباً معظم الضرب الذي يحصل ضرب غير تربوي، مثل المدرس الذي قتل الطفل فهذا أهم شيء لا بد أن يكون الهدف تربوي وليس هدف انتقامي فأحياناً المربي وراء لافتة التأديب ليفرز توتره في الحياة وينفس عن مكبوت غضبه، وممكن أن يكون كمان لأنه في الصغر ذاق هذا الشيء فحصل توحّد مع المعتدي، وهو لما جاء عليه الدور وبقي أب أو مدرس بينفس عن الذي حصل معه مع الآخرين، في تجارب ذاتية في الماضي اضطهاد طفولي، وبالتالي فإنه يمارس نفس السلوك، هذه كلها دوافع سلبية، يعاني منها الأطفال، فالهدف من التأديب هو أن يحصل تفاعل بين الأبناء مع توجيهات الآباء ولذلك طريقة التوجيه لا بد أن تكون واضحة، وحاضرة كما سيأتي فيما يلي إن شاء الله تعالى، يذكر هنا ستة عشرة خطوة لممارسة عملية التأديب يقول.

أفضل وسائل التأديب:

١- استعمل التوجيه الإيجابي المرتبط بما تريده من الطفل أكثر من استعمال التحذيرات السلبية يعني دائماً ما تقولهوش ما تعملش كذا يكون الغالب على كلامك افعل كذا افعل كذا توجيه إيجابي، شيء وراه التزام يكون التوجيه الإيجابي أكثر من التحذير السلبي إياك وكذا لا تفعل، فالفعل الإيجابي يحدث أثراً إيجابياً أكثر من الفعل السلبي.

٢- أشبع حاجات الطفل للمدح والقبول والمحبة والطمأنينة، لأن هذه كلها أفضل وسائل التأديب إن كلمة التأديب يشملها إشباع هذه الحاجات التي هي عن طريق المدح، وناقشنا في الأسبوع الماضي القبول المحبة الطمأنينة فهي أفضل وسائل التأديب.

٣- هبيء نفسك للتوقعات وكن مستعدًا للتعامل مع المشاكل المحتملة والسلوكيات التي قد تظهر، لأنك إذا هيئت نفسك ذلك تحاول أن تحيط ابنك بسياج وحصانة وحماية من هذه الأشياء قبل استفحالها.

٤- كن مبتسمًا مشجعًا ملاحظًا للإيجابيات وابتعد عن الاستياء والتذمر والنقض الدائم النقض الذي لا يتوقف.

٥- لا تعطي تفسيرات سطحية جاهزة للسلوكيات التي تراها عند ابنك، حاول التعمق لفهمها من خلال فهم دوافعها وطبيعتها والرسالة الخفية من ورائها.

٦- كن حازمًا دون عنف ولطيفًا دون تساهل لا تصرخ ولا تسخر ولا تتهكم على ابنك يعني الطفل الذي دائمًا يشوف أبوه يصرخ في أمه هو بعد هكذا يبجي يتعامل حتى مع الوالدين بنفس الأسلوب، يتقمص نفس الأسلوب، فكثرة الصراخ لأنه ضعف الصراخ ضعف ليس قوة لا تصرخ ولا تسخر ولا تتهكم على ابنك، فتلك من أسوء الأساليب التربوية المدمرة لشخصية الطفل.

٧- لا تكن آلة لإصدار الأوامر على طول أوامر أوامر أوامر كأنها مكنة تنتج أوامر لكن استعمل لغة الإقناع وشرح ما تريده من ابنك توقع.

٨- الاستجابة الفعلية والطاعة لابنك بعد فترة ليست بالقصيرة يعني الاستجابة ليس شرط تكون فورية ممكن مع التكرار لأن الاستجابة السلوكية تحتاج لوقت وبرمجة متكررة، حتى تصبح سلوكًا وعادة لدى الطفل بخاصة والإنسان عامة لا تتخذ قرارات سريعة، بل تمنع وادرس وكن هادئًا وأنت تفكر في الحلول والأساليب التربوية.

٩- لا تمارس الأساليب نفسها مع كل الأبناء، فلكل طفل خصوصياته وظروفه، إذ الطفل الأول يختلف عن الأوسط وكلاهما يختلفان عن خصوصيات الأصغر، ولذلك مراعاة الفروق الفردية ضرورة تربوية لتعامل أفضل مع الأبناء، لأن الأولاد يكونون في أعمار مختلفة، كل واحد له معاملة تناسبه لا ينبغي أن تتبع أسلوبًا واحدًا مع الجميع، لكن تراعي الفروق الفردية وخصوصيات كل نوع من الأطفال.

ضع قوانين ونظامًا وحدودًا لكل التصرفات، وكن أنت أول المحافظين عليها، تذكر أنه بإمكانك تعديل الكثير من السلوكيات المزعجة والتصرفات الطائشة، بالتدخل الهادئ والحوار البناء، والملاحظات التذكيرية المثمرة، بدل العقاب واللجوء للعنف والقسوة والحرمان.

لا تؤدب أمام الجماعة وأمام الآخرين، فإن الآثار السلبية لذلك على شخصية كثيرة، لا تؤدب أبدًا وأنت متوتر وفي حالة غضب وانفعال.

تدخل فقط وأنت هادئ، فالتدخل العصبي والقرارات الآنية أثناء التوتر غالباً ما تعقبها حالة ندم وردود أفعال غير مرغوبة، لا تؤدب بإرغام الولد على فعل أشياء إيجابية، لإرغامه على قراءة القرآن أو حفظ الأحاديث، لئلا نربطه سلبياً بالأشياء المحبوبة، فيتخذ منها موقفاً سلبياً كذلك.

يعني لا يكون بالإرغام وبالقهر، وإنما بالترغيب والتحيب والتشجيع، يقول إذاعة إحدى محطات التلفاز الأمريكية منذ سنوات سلسلة حول مفهوم الصغار إزاء كثير من موضوعات الحياة وعلائق الأسرة، وموقف الصغير من الطريقة التي يتبعها أبواه في تأديبه، وما إلى ذلك من شئون وكانت المحطة تستضيف كل أسبوع بعض الأطفال الأذكياء، القادرين على الإفصاح عن آرائهم بوضوح وقوة، وتوجه إليهم طائفة من الأسئلة.

قد كان موضوع التأديب هو موضوع إحدى الحلقات، واستمعت إحدى الأمهات إلى طفله على شاشة التلفاز وهو يبدي آرائه وملاحظاته، ويدلي بأقواله، وجزعت الأم أي ما جزع لدى سماعها أقوال ابنها، فلما عاد إلى المنزل بادرت قائلة هل قطعت يوماً شيئاً من مصروفك اليومي عقاباً لك، هو بقى بيتهم أمه ويقول هذه بتقطع عني المصروف وتعمل كذا وكذا وكذا، فهي أول ما رجع، فابتقول له هل قطعت يوماً شيئاً من مصروفك اليومي عقاباً لك، وأجاب الصغير: كلا، هل احتجرتك في غفرتك يوماً بطوله؟ كلا، هل قلت لك مرة إنني سأحرمك من كذا وكذا لأنك طفل شرير أجاب الولد كلا، إذاً ما سبب ادعائك بأنني فعلت هذه الأمور كلها معك على شاشة التلفاز، فكان جواب الصغير كان لا بد لي أن أقول هذه الأمور كلها، وإلا كان علي أن أقول إنك كثيرة الصراخ في وجهي، ثم يذكر بعد ذلك الأسس الثلاثة للتأديب تقوم عملية التأديب على أسس ثلاثة لتصبح إيجابية.

الأسس الثلاثة للتأديب:

أولاً: التنظيم. ثانياً: التقليد أو القدوة. ثالثاً: البرمجة أو الإيحاء.

أما التنظيم: فالأطفال يحبون دوماً أن تكون لهم حدود وضوابط في كل شيء، ويشعرون بالخافة والريبة والتردد إذا غابت الحدود، واختفت الضوابط في حياته، يقفز إلى ثانياً مثال الذي ضربناه في آخر مرة، الذي هو موضوع السمك لو وضعت السمك في حوض ماء ليس فيه إلا الماء فقط وتشوف حركته كيف، تكون ثم ضع الرمال والحواجز والأعشاب وهذه الأشياء التي توضع في الأحواض الزجاجية وضع نفس السمك، ستجد إنه الحركة زادت الحركة الهادفة والنشاط وكذا.

لماذا؟ لأن وجود الحدود يخرج الإنسان من الشعور بالخافة والتردد والريبة، والتنظيم ضروري في حياة الطفل لا سيما في سنواته الأولى، وأولى خطوات التنظيم تحديد مفهومه للطفل بشكل عملي تطبيقي، وبيان المطالب بالضبط ما الذي تريده من الطفل أن يلتزم به بوضوح.

فالطفل يحترم ويقدر والديه اللذين يرسمان الحدود ويصيغان الضوابط، والاحترام هو الطريق للدعامة الثانية التي هي القدوة والتقليد، كما أن الطفل نفسياً يرفض ويكره ولا يحترم من يتركه دون حدود وضوابط، وهو يحترم كذلك تأديب والديه وتدخلهما وتعبيرهما عن عدم رضاهما عن سلوك معين، أكثر من احترامه التوبيخ والصراخ والتهديد.

فالتنظيم يشجع حاجة الطفل إلى سلطة ضابطة، توجه سلوكه، وتضبط تصرفاته من خلال توازن ووسطية، أحد أطفال بيتكلم عن أهمية الحدود فقال جاءتنا اليوم معلمة مناوبة، سمحت لنا أن نفعل أي شيء نريده، فلم نحجها، خلي بالك ما فيش حدود هو بيحتاج الحدود الضوابط.

إن الأطفال يرتبون، حينما يسمح لهم أن يفعلوا ما يعرفون أنه خطأ، فالتنظيم يعني تحديد قوانين ينبغي اتباعها، وهو يفترض أيضاً تدخلاً حازماً وصارماً من خلال بعض الوسائل التأديبية الرادعة من غير عنف أو إضرار، فالتنظيم ضرورة نفسية تربوية للطفل، لكن بشرط ألا يتحول هذا التنظيم والقواعد والضوابط إلى عوامل تخنق الطفل، الخنق وتسجنه وتحد من قدراته ويجعل منه شخصاً اتكالياً اعتمادياً على الغير، نريد ضوابط تعين على الانطلاق وتنمي جوانب الذكاء، والإبداع، وتكشف المواهب وتعمل على تنميتها.

يقول اشترى أحد المعلمين حوض سمك كبير، وملئه ماء، وبعد تعديل حرارته لتناسب السمك البيتي، وضع فيه بعض الأسماك، فإذا بها تتصرف تصرفاً غريباً، ثم تتجمع في وسط الحوض الشفاف، وهي لا تكاد تتحرك، وبعد بضعة أيام وضع أحجاراً ملونة في قعر الحوض، وإذا الأسماك تعود إلى التحرك بحرية، فالأحجار في قعر الحوض أوضحت عمق الماء، وجود أحجار ييشوف الأحجار أو الرملة فيقدر يعرف الأبعاد، وبالتالي عرف السمك حده فاستراح، في حركته فوجود الحدود يعطي نوع من الاستقرار، ويخرج الإنسان من الارتباك، ليس كما يتصور بعض الناس أن التربية ليس بها حدود.

الركن الثاني هو التقليد والقدوة: فالتقليد طبعاً خاصية من خصائص الطفولة كما هو معلوم التقليد أساساً هو الطفل لا يدرك المعاني المجردة، لا يصلح طفل عنده ٤ أو ٥ سنين تقعد تقول له النزاهة والجمال والقيم والزهد والعدالة والتسامح هذه المعاني المجردة هو لا يستطيع أنه يتصورها بصورة كاملة، أو صعب عليه، لأن تفكيره متحجر، concret إن هو يستطيع أن يتصور فقط الحاجة الحسية شيء يراه.

لكن نفس هذا الطفل الذي ما يقدرش يفهم العدالة والنزاهة والزهد وكذا وكذا، هو نفسه تلاقيه بجانبه أبيه وهو يصلي من غير ما يأمره ويفضل يركع ويسجد، ويص له من تحت هكذا من أجل أن يشوفه يعمل إيه ويقلده بإتقان، حتى حركة التشهد ونحو ذلك ليه، لأن هنا يتعلم لأنه يستطيع أن يدرك الأشياء الحسية، أما المعاني المجردة فليس بعد، ليس في السن، هذا بعد هكذا يقدر يستوعبها لكن الصغير يتأثر أكثر بما يراه أو بما يسمعه أو بما يراه أمامه، متجسداً في صورة حسية واقعية.

فالتقليد هو أحد خصائص الطفولة الأساسية، حيث إن الطفل يأخذ الكثير من السلوكيات، والقيم والمبادئ، من خلال محاولة تقليده للآخرين، فالطفل مثل الإسفنج يمتص ما حوله ويتفاعل مع المحيطين به من خلال تقليد سلوكهم، وحركاتهم، فالطفل يبرمج سلوكه ويبنى اتجاهاته بنسبة ٧٠٪ عندما يصل إلى السنة السابعة من عمره، فهو يمتص من المحنكين المحيطين به.

وهذا ما أشار إليه حديث الرسول ﷺ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ»^(٢٠).

فإذا كان الطفل من خصائصه التقليد، لكن لازم نفهم أيضًا أن الإنسان لا يقلد إلا من يحبه ويحترمه، ويقدره، نحن نراه حتى في الكبار في الشباب يقلد لاعبي الكرة، أو كذا أو كذا من المشاهير من شدة الحب، والإعجاب به، فنفس الشيء الطفل لا يقلد ولا يقتدي إلا بمن يعجب به، أو يحبه، فلذلك ينبغي أن يهتم الآباء بتحسين سلوكهم أمام أعين الأبناء، حتى يكون الأب مصدر قدوة لابنه، خاصة في المراحل العمرية المتقدمة بعد سن الخامسة فما فوق.

فالإنسان جبل على تقليد من يحب ومن يكسب إعجابه، إن الأب القاسي المتسلط لا ينقل لأبنائه غير الاضطهاد، وإن قلده الأبناء لاحقًا فمن باب إفراز الاضطهاد الطفولي، ليس إلا ولذلك كان لزامًا على الآباء والأمهات أن يكتسبوا ثقة أبنائهم، ومحبتهم، لينالوا فيما بعد إعجاب أبنائهم، ولا شك أن كل مسلم يعد قدوته العظيمة وأسوته رسول الله ﷺ ويتبعه ويقتدي به لأنه يحبه ويقدره ويجد حلاوة في اتباعه ومحبته كما قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»^(٢١).

فالمحبة مرتبطة بالاتباع والافتداء، أيضًا كلما كانت علاقة الطفل بوالديه طيبة كلما نزع للاقتداء بهما وتقليد سلوكهما وعد ذلك عين الصواب، كلما فسدت العلاقة بين الطفل والوالدين كلما نزع لمعاندة سلوكهما ومعارضته، وهو يرى أن ذلك عين الصواب، وبالتالي يبدأ يحصل عنده انحراف وحيرة، كذلك مما ينبغي أن يهتم به المربي أن يعطي الأولوية أو يعطي القدوة بالأعمال قبل أن يعطيها بالأقوال، فدرهم أفعال أفضل من قنطار أقوال.

إن القدوة تنصب بالدرجة الأولى حول ما يفعله الوالدان، وما يصدر عنهما من سلوكيات، ويراقب الأطفال سلوك الآباء باستمرار، حال فرحهم وحال غضبهم، مثل ما قلنا قبل هكذا إن التربية ما

(٢٠) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

فيش حصة اسمها حصة تربية تعالوا يوم الجمعة بعد العصر نعمل حصة تربية، إطلاقاً، التربية هذه عملية مستمرة ليل نهار، في كل موقف بيتربي ليس شيء إحنا بنفتعله.

لأ هذا هو بيشفوف كيف يتعامل الأب مع الزوجة، بيشفوف كيف بيرد على التلفون، أو كيف يستقبل ضيوفه، أو ماذا يقول إذا عطس، أو كيف يخشع في الصلاة أو، حين يسمعه يقرأ القرآن كثيراً، فهو يتعلم كما قلنا بالقدوة أهم من أي شيء آخر، فدائماً الأطفال يأخذون سلوك الآباء في كل الأحوال، بيشفوفك بتصرف كيف عند الفرح، كيف تتصرف عند الغضب، ويسجل الكلام هذا ويتطبع به إيه رأيك ماذا يحدث عندما تختلف الأم مع الأب السلوك بتاعه أدى إلى الاختلاف صراخ بقى وكذا وكذا، هيبدأ هو نفسه يفعل نفس الشيء.

لذلك كان مهماً الحرص على السلوك الحسن الدائم، فرب لحظة غضب تهدم كل ما بناه الإنسان، هايشوف وهو ييقود السيارة إيه الألفاظ التي يقولها، بقى لو حصل أي شيء مع الناس الذيت تسوق الاختلافات مع السائقين، الألفاظ التي يخرجها بعض الناس والانفعال والعراك وكذا.

فكل هذا تعليم كل هذه دروس في التربية يعني أنت لا تقول له تعالى اتربى، لكن هو لازم هايلتقط منك كل السلوك ألفاظك التي بتقولها، إيه تنتقل ألفاظ أن تقول ألفاظ سوقية أو بذئية أو كذا فيفعل نفس الشيء، فالتربية عملية مستمرة في كل السلوك يسلكه المربون، كثير من الأطفال الذين يصابون بالانتكاسات الخلقية في لحظة واحدة، من خلال سلوك واحد غير مدروس من طرف مربٍ، ممكن تكون أذية شديدة جداً من مدرس أو أب أو من أم.

فكل طفل يحتاج لينمو ويتعلم يحتاج إلى القدوة، وهو يتخذ القدوة أساساً من أحد والديه أو من كليهما، فللأطفال حالة نفسية أن يتشبهوا بشخصيات من يحبونهم ومن يتقمصوا هذه الشخصية، ولذلك كان ضرورياً أن نحب لأبنائنا سيرة رسول الله ﷺ، أنه حين أراد يذكر النبي ﷺ فتقول ﷺ أكيد مع الوقت هو يبدأ يقتدي بك في ذلك ويقرن ذكر اسمه الشريف ﷺ وبين الصلاة والسلام عليه ﷺ كذلك سيرة الصحابة رضوان الله عليهم وقصص الأنبياء والنماذج الناجحة في التاريخ الإسلامي فهذا كله مما يترك أثره أيضاً في شخصيتهم، حرص علماء التربية المسلمون على أن يكون المعلم مثلاً يحتذى، وأسوة صالحة يتأسى الأبناء بها، مما ذكر الأصمعي من أبيات أبي الأسود الدؤلي في هذا الصدد قال:

يا أيها الرجل والمعلم وغيره .: هلا بنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام والضنا .: كيلا يصح لي وأنت سقيم
وأراك تصلح بالرشاد عقولنا .: أبداً وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانها عن غيرها .: فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

بعد التنظيم ثم التقييد أو القدوة، يأتي البرجة والإيحاء، والإيحاء هو كل ما يدور في الحياة الأسرية من عمليات سلوكية، ومشاعر نفسية تنتقل تلقائياً للطفل، الأسر السعيدة تضيف سعادتها على الأبناء، تنتقل المشاعر بالعدوى لأن النفوس فيه منها اتصال الإنسان يتأثر يمكن تباين أوي في الأطباء النفسيين، أحد الأساتذة الكبار يقول إن الواحد لما يحيله واحد عنده (الهوس) الذي هو (الزهو) الذي هو مزاجه يبقى عالي جداً مفرفش خالص، عكس لما يحيله مكتئبين كثير يبقى منتظر واحد من النوع الثاني يكون فرح شوية فايصلح الأمور شوية فالحالة النفسية الخاصة بالإنسان لما تقعد مع واحد كئيب يبصيك بعدوى الكآبة لو واحد سعيد وبشوش ومرح بتشعر بتجد تشعر نفس الشيء تنتقل لك هذه العدوى لو واحد عنده تفاؤل تلاقيك أنت كمان تتفاؤل ليس هناك أسلاك بتوصل بينكم لكن فيه نفوس بتؤثر في نفوس مثل ما تؤثر النفس في النفس بالحسد مثلاً كذلك أيضاً تؤثر النفس بالشخص الذي تجالسه وما هو عليه.

فلأسرة السعيدة تنعكس السعادة على أبنائها، الأب الإيجابي هو من يمدن الرسائل الإيجابية غير المباشرة، أعطى له رسائل إيجابية لكن بطريقة غير مباشرة والتي تتأصل في شخصية الطفل وتنمو مع التربية والإيحاء المستمر، الإيحاء يعني زرع الطموح، وحب النجاح والقوة في اتخاذ القرار، وحرية الاختيار المنضبط، والدفاع عن النفس وعن القناعات الذاتية، ويعني الإيحاء كذلك إقناع الطفل وبث المعاني الجميلة، والصفات الإيجابية من خلال فن ممارسة الإيحاء الذكي.

يعني القصة التي رويت عن أق شمس الدين الشيخ أق شمس الدين وهو مؤدب ومربي السلطان العثماني محمد الفاتح رحمه الله فكان دائماً يغزو وهو صبي صغير عند الساحل عند البسفور ويشاور له على ان الطرف الآخر بتظهر مدينة القسطنطينية فيقول له أترى هذه الأسوار التي هناك هذه مدينة القسطنطينية.

وهذه المدينة قد أخبر النبي ﷺ وكان يعتقد صحة هذا الحديث الحديث قال فيها ﷺ: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنَعِمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنَعِمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ»^(٢٢) بس إيحاء بطريقة غير مباشرة ما ما قال له أنت لا هو ظل يفعل بعد ذلك حتى نشأ عند الطفل الأمل والطموح أن يكون هو الشخص الذي يفتح القسطنطينية.

فهنا يذكر أمثلة من الإيحاء الإيجابي، الطفل مثلاً يريد منك أدوات التلوين كي يلون أو يرسم، أو يحل مسألة حساب، يقول له تفضل يا ذكي، يا ذكي فهنا فيه إيحاء بتشجعه على مدحه بالذكاء، أو

(٢٢) مسند أحمد من حديث بشر الخثعمي رحمه الله، وضعفه الألباني رحمه الله.

أحسنت يا شاطر، طبعاً شاطر هذه عامية لأن الشاطر في اللغة العربية هو قاطع طريق، اللص مثلاً جاب لك أي حاجة هو عاملة، تقول له ما شاء الله يا مبدع، بتكلمه باللغة التي يفهمها، ليس شرط يكون الولد فصيح للدرجة هذه، مثلاً ما أروعك وما أروع هدوئك، مثلاً أنت متميز في دراستك يتكلم أمام الضيوف يقول ابني يفهم بشكل ممتاز، ابني يسمع نصائح والدي باستمرار، ابني مطيع لربه ولد صالح، ابني نظيف ومرتب، ابني يتصرف تصرف المتميزين.

وهكذا يحصل إيجاء قبل هكذا كما قلنا أحد العلماء الكبار أعتقد الإمام الذهبي، لما رآه خطه أحد الأئمة قال له خطك يشبه خط المحدثين، فهذه شرارة أوقدت في نفسه همة النبوغ في علم الحديث كلمة عابرة، لكن ممكن تغير مسار إنسان، هذا إيجاء إيجابي أيضاً الإيجاء يتم من خلال لغة الجسم لدى الوالدين، لأن التواصل لا يتم فقط عبر الألفاظ، التواصل اللفظي في ساعات التواصل غير اللفظي بتعابير الوجه بحالة الجسم، لغة الجسم نفسه يعني.

أنالي أستاذ كبير جداً في الطب النفسي، وعنده ظروف لا يستطيع أن يتكلم في صعوبة الكلام، لكنه عنده قدرة بارعة على الغاية في التواصل مع الحضور، أو مع المتكلم بالتواصل غير اللفظي التواصل الجسدي، نظرات عينيه كل جزء في وجهه يعطيك تعبير كأنه يتكلم بأفصح لغة، لأنه طبعاً بارع جداً من رواد العلاج النفسي في مصر.

لماذا؟ لأنه عنده قدرة على التواصل غير اللفظي، بعض الأحيان أنت بتدي لغة يعني الواحد قاعد منكمش وواضع رأسه في الأرض وسط الناس ومقفول، هكذا قافل نفسه فا يقول إيه للآخرين بيدي لغة ما حدش يكلمني يقول لهم بس من غير ما يتكلم، غير القاعد بانفتاح مبتسم بشوش متجاوب مع الناس، فابيعطي انطباع على العكس، فاللغة لا تتم فقط عن طريق الكلام.

لكن هناك وسائل أخرى للتفاهم والتواصل غير اللفظ وأحياناً بتكون أوقع، فايقول هنا الإيجاء يتم كذلك من خلال لغة الجسم لدى الوالدين، فالابتسامة الدائمة تضفي إيجاءً قويا بالهدوء والطمأنينة لدى الابن، وتحقق لديه الطمأنينة وسعادة ذاتية.

الإيجاء قد يكون سلبياً سواء من خلال اللغة اللفظية، أو لغة الجسم، يعني مثل مثلاً الطفل جاب رسم رسمه أو حاجة وواحد راح، هو ما اتكلمش بس رسالة مدمرة فضلاً عن المدرس الذي يقول له إيه الكذا هذا؟ يروح راميها له فهذه كلها إيجاءات، قد يكون الإيجاء بالكلام أو بلغة الجسم، مثلاً اللفظ مثلاً: انت غبي، أنت عنيد، فهو هايعيش بقى بتوجهه أنه يصبح غيباً، أو يسير يعني عنيد لأن بتديله إيجاء، إنه يعيش بقى دور الغباء، وإن هو غبي خلاص، أو نحو ذلك.

خطأ كبير جداً إنك مثل ما قلت تدي ختم للطفل، أبداً ما تعلقش عليه يافطة أبداً، خطأ تربوي فادح لكن تدم السلوك هذا التصرف لا يعجبني التصرف، هذا خطأ أنا لا أحب منك هذا التصرف، لكن

ما تقول للهوش أنت غبي، أنت فاشل، أنت ما فيش فيك أمل، إلى آخر هذا الكلام، لأن هذا ظلم في الحقيقة لأنه ينمو فالأصلح تصدر عليه حكمًا نهائيًا أبدًا، فتكرار الإيحاء في حياة الطفل يبرجه لأنه يفتنع إنه غبي في الآخر أو مثلاً أنت سارق أو حرامي وتكرر خلاص حرامي، بقى ويتهادى ممكن يكون هذا أحد الأسباب التي تشجعه على التهادي في السرقة.

كثرة التوبيخ والصراخ في وجه الطفل توحى له بالاضطراب، وتسحب منه الطمأنينة والاستقرار، النفسي، البرمجة هي إعداد الطفل للمستقبل، وفي السنوات الخمس الأولى تتم برمجة ٧٠٪ من سلوك الطفل بعضهم يقول ٩٥٪ من الكود أو الشفرة بتاعة شخصية الطفل كلها بتكون في خمس سنين الأولى من، خمس سنين أو ست سنين لحد ١٨ الـ ٥٪ الباقية، بعد ١٨ يقولوا من المستحيل أو صعب جدًا إحداث تغيير في معالم الشخصية فبناء الأساس بيتتم في الخمس سنوات يعني الأولى، لذلك كانت مرحلة الطفولة الأولى من أهم المراحل العمرية التي ينبغي الاهتمام بها.

كيف تتم البرمجة؟ كما قلنا اللغة فاللغة التي تستعمل تساهم في برمجة نفسية وعقل وشخصية الطفل، ولذلك ينبغي استعمال لغة إيجابية، باستمرار ما تكونش لغة هدامة أو سلبية، أيضًا برمجة تتم من خلال تكرار المراد بالكلام المباشر وغير المباشر، وبالسلوك والتدريب، والتشجيع، يثبت الشيء لديه ويبرجه بشكل أقوى، هو طبيعي لما يبتكر موقف العطاس كلما عطس أبوه أو أمه أو أحد من الموجودين يقول الحمد لله يرد يرحمكم الله الحوار السني الأذكار الثابتة في العطاس مع الوقت أكيد بيحفظها، فالتكرار يثبتها في ذهنه، مثلاً لما تعودوا إنه لو واحد عطس وقال الحمد لله يبقى يقول له يرحمكم الله ويقول له هذا يستحق.

لكن لما واحد يعطس وما يقولش الحمد لله فاعلمه يقول له ما تستحقش، فالما نقول تستحق وما تستحقش فها هابرطها ببساطة بأن الذي يعطس يقول الحمد لله، فنعلمه ممكن الأب يعني أمامه يتعاطس وما يقولش الحمد لله، ويكون بيدربه قبل هكذا أن يرد عليه يقول له إيه ماتستحقش، من أجل أن يبقى الموقف موجود قدامه ويتعلم منه، ليه ما يستحقش لأنك ما قلتش الحمد لله وهكذا.

آداب الاستئذان لو هي تمارس بطريقة عملية داخل البيت، طبيعي جدًا ها يكون شيء عادي تمامًا يستأذن قبل ما يفتح أي مكان مقفول، السلام عليكم وأدخل في داخل الغرف حتى في البيت الواحد، كذلك البرمجة تتم من خلال الحس والعاطفة.

فتكتيف الناحية العاطفية لدى الطفل تساهم بشكل كبير في تحقيق البرمجة بمعنى تحبيب الشيء الإيجابي للطفل، وبناء نوع من الرفض النفسي للأشياء السلبية، أيضًا من ذلك الممارسة والتدريب، فتدريب الطفل وإتاحة الفرصة وتهيئة الأجواء ليمارس حياته الطفولية، تتيح له أن يتعلم الكثير من السلوكيات الإيجابية، وجدت هنا نموذج من نماذج التربية الإيجابية (الصلاة)، حتى نبرمج الطفل على

الصلاة ينبغي أن نبدأ باللغة المحببة في الصلاة، الحديث عن الصلاة وتكراره، وتحبيب الطفل في الصلاة وتدريبه وممارسته لها وتشجيعه.

هذه العملية قد تستغرق ما بين ثلاث إلى أربع سنوات لتتم عملية البرمجة، يعني هو لو شاف الأب أو الأم بمجرد ما يسمع الأذان يترك أي شيء في يديه ويسارع إلى الوضوء أو ترديد الأذان ويتوضأ ويذهب الأب إلى المسجد تجدد طفل طبيعي بدون أي تعليم مباشر يفهم مع الوقت إن النساء يصلون في البيوت وإن الرجال يصلون في المساجد شيء تلقائي جداً.

ليس شرطاً أن تعطية كدروس لكن هو يراقب مع التكرار المستمر يربط الأذان بالصلاة، فعملية البرمجة ممكن تاخذ من ثلاثة إلى أربع سنوات حتى تتم.

وهذا ما نتعلمه من مربى البشرية كلها وهو رسول الله ﷺ حينما يوصي بتعليم الأطفال الصلاة لسبع سنين، ويشرهم ليني الكثافة العاطفية.

أولاً: من خلال بناء الحب والعاطفة نرى أن الرسول ﷺ أولاً نستدل الحقيقة بحديث رواه الطبراني لا أظنه صحيحاً «أَيُّهَا نَاشِئُ نَشَأَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ حَتَّى يَمُوتَ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ صَدِيقًا»^(٢٣) لكن يغني عن ذلك «وَشَابُّ نَشَأٍ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ»^(٢٤) فمما يسهل على الشاب إذا كلف العبادة أن يكون قد حُبب إليه العبادة وبرمج عليها منذ الطفولة، أيضاً اللغة استعمل الرسول ﷺ اللغة حينما قال «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِبْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ»^(٢٥).

فيدخل في اللغة تعليم الطفل وتلقينه ما يخص الصلاة من آذان وأدعية وقرآن أيضاً التكرار يقول ابن مسعود رضي الله عنه حافظوا على أبنائكم في الصلاة وعودوهم الخير، فإن الخير عادة، ولذلك هناك نوع من التربية اسمه التربية بالعادة، بحيث يبقى شيء عادي جداً في حياته، مستمر بطريقة تلقائية المحافظة على الصلاة بطريقة كأنها صارت عادة راسخة لديه، وهذا يسهل عليه العبادة، أيضاً التدريب والممارسة بأن الأب يصطحب ابنه إلى المسجد ليرى كيفية الصلاة، وبالتالي يبرمج على عملية الصلاة.

فالبرمجة الإيجابية للطفل تحتاج لوقت لا يقل عن ثلاث سنوات من التعليم والتدريب والتشجيع والممارسة والمتابعة، يعني هذا درس رائع يبين أن التربية الذي هو حديث الصلاة التربية تحتاج لوقت ومتابعة دقيقة وبرمجة مدروسة حتى يأتي وقت حساب الطفل بعد ذلك، لكن يبجي يسبو لحد عشر سنين

(٢٣) المعجم الكبير للطبراني من حديث أبا أمامة رضي الله عنه (ضعفه الألباني).

(٢٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٥) سنن أبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه، صححه الألباني رحمته الله.

لا يأمره بالصلاة ولا أي نوع من الاهتمام ثم بعد ذلك يريد يضربه على الصلاة فهذا قفز على التدرب، لأنه لا يحتاج إلى الضرب إطلاقاً إذا راعى هذا التوجيه.

ثم نختم هذا الكلام بذكر مبادئ عامة للتأديب الإيجابي أول هذه القواعد:

مبادئ عامة للتأديب الإيجابي:

أولاً: الخط الوسط في التربية التوسط يعني التوسط في التربية بين الحب والحزم، كما ذكرنا بدون إفراط ولا تفريط، فيكون دائماً الاختيار السلوك الوالدي بعيداً عن الصرامة والقسوة والإرغام من جهة بعيداً عن التساهل والتسامح المفرط من جهة ثانية، الصرامة في التربية تنشأ أطفالاً يعانون من المعوقات النفسية والاضطرابات السلوكية كالانطواء والخجل، والرهاب الاجتماعي يجد ورائه كل ترسبات الاضطهاد الطفولي للعيادة النفسية، والتساهل المفرط أترك ابنك يفعل ما يشاء يؤدي إلى تجرد الطفل من كل الضوابط والحدود والقيم وينشأ عاجزاً عن وضع آلية للتكيف مع المجتمع.

ثانياً: إشراك الطفل في حل المشكلات وإبداء الرأي، فالدوافع التي تبني السلوك لدى الطفل تحركها طرق التعامل معه، والمساحة الإيجابية المخصصة له، والقيمة الذاتية التي ننشأها بداخله، من أفضل طرق التأديب، وضع الهدف على مكنم الإحساس بقيمته إشراكه في المناقشات وإشراكه في كيفية حل مشكلة معينة، لأن مجرد إنك تعطيه فرصة أن يعبر عن رأيه ويساهم في حل المشكلة أو الموقف، يشعره بالقيمة بقدر ذاته إن هو له قيمة ويؤخذ رأيه هو أن الكبار يثقون به، من خلال هذه المشاركة الطفل بحاجة إلى أن يتعلم كيف يتخذ قراراته الشخصية، ويحل مشاكله، ويواجه الأحداث، والمستجدات، مهتدياً بما تعلمه من توجيهات نصائح الوالدين، دون أن يكون معتمداً كلية على الكبر.

ثالثاً: التهذيب تدريب على حسن التصرف فالتهديب هو تدريب الطفل على السلوك الحسن والسيطرة على النفس، وعلى الدوافع السلبية.

رابعاً: قلل من الكلام وأكثر من العمل، لأن الكلام الكثير الطويل والمتشعب يحدث عند الطفل نوع من الملل، ثم يبدأ يتهرب منك، حافظ كل الذي أنت ستقوله فلا يظلي ويتهرب من سماع الكلام، ويشعر بالملل من أحاديث الوالدين، لذلك ينبغي استبدال الكلام أحياناً بمواقف عملية، تخيل نفسك أخذت ابنك إلى حديقة ألعاب ورأيت إصرار ابنك على عمل غير مقبول قم بتنبيهه مرتين فإن لم ينصع لك أنه الزيارة واترك الحديقة تعبيراً منك عن عدم قبول سلوكه، فإذا ندم الطفل وأبدى استعداده وندبه على السلوك المرفوض، امنحه فرصة للتغيير، وخذ منه وعداً بذلك، وهذا هو فن تأديب الطفل بالعمل لا بالصراخ والقسوة.

خامساً: تنمية الاحترام والتقدير اتجاه الوالدين، فطبعاً هو الأصل إن الطفل يحترم والديه، وإذا حصل احترام يؤدي إلى الإعجاب ثم إلى الاقتداء.

يقول أحد علماء النفس إذا أردت لولدك أن يقبل قيمك عندما يبلغ سن المراهقة كان عليك أن تحظى باحترامه لك وهو في سن أصغر إن سن المراهقة هو الفاصل لأنه ما يبقاش تابع، ينمو عنده الاستقلالية، ويمكن تفاجئ ببقى ثورات ثورة وتمرد على كل ما مضى، إذا أسأت في التمهيد والبرمجة، من قبل لأنه لن يبقى ذلك الطفل بقى الذي هو أنت إيه ظل مقهوراً أمامك بحكم صغره، لكن متى دخل في منعقب ببيان بقى الثمرة الحقيقية للجهد السابق، فإذا افتقد الوالدان احترام الأبناء فكل المبادئ والقيم والمفاهيم التي يريده الآباء من الأبناء تصبح غير أهمية، ما ينصاعون لها.

سادساً: هي السيطرة الإيجابية على الأبناء، فالأطفال بحاجة إلى والديمارس أبوته، وأم تمارس أمومتها.

ليس فقط من خلال العاطفة والمحبة وتوفير الاحتياجات، ولكن أيضاً من خلال إظهار فرض نوع من السيطرة التي تعلم الابن قواعد النظام والحياة، ومعايير المحبوب والمكروه الحق والباطل الخطأ والصواب، وهي سيطرة قيادة ونظام هذه سيطرة نظام، مثل أي مؤسسة إدارية لا بد فيها من لوائح ونظام وقواعد، فليست سيطرة هيمنة وتسلط وقسوة، وإنما سيطرة نظام هذه السيطرة تمنح الطفل التوازن، والطمأنينة، وتضع له الحدود والقواعد، لممارسة حياته بكل اطمئنان فمهم جداً أن تكون السيطرة دون قسوة، وعنف، وصراخ.

سابعاً: لا للتطرف في السيطرة أو المحبة، يعني إن السيطرة تكون إيجابية، غير متطرفة، لأن التطرف والمبالغة في السيطرة يكرث إذلال الطفل وتخطيط معنوياته، وكبت قدراته، ويصيبه برهاب، وخوف دائم ويقتل عنده روح المبادرة، ويجعله عاجزاً عن اتخاذ المبادرة، والقرارات المهمة، والأساسية في حياته، فينشأ متردداً ومنطوياً على ذاته، خاضعاً غير قائد، مستسلماً للغة القوة والسيطرة، هذه المبالغة في السيطرة تمارس على شكل استبداد يضعف الأطفال، في الجهة المقابلة المبالغة في المحبة والتساهل المفرط، وترك الطفل يفعل ما يريد دون رقيب ولا محاسبة يفسد سلوك الطفل، ويفقده توازنه وأصول الآداب والمعاملة مع الناس.

ثامناً: تحاشي الإغراق المادي المفرط، فيعتقد بعض الآباء أن إغراق الأطفال بالوسائل المادية من هدايا وألعاب وغير ذلك، يساعد على تنشئة الطفل على أحسن وجه، وينسون أن إغراق الطفل بالماديات يبعده عن تذوق حلاوة العلاقات الإنسانية التي يمكن أن تنشأ بين الولد والأبوين، ويعوض الطفل على حياة الترف والرخو، وتحرم الطفل من تعلم أمور كثيرة، مثل الاعتماد على النفس والإبداع والتفكير السليم، فإغراق الطفل بالماديات يحرمه من تذوق الكثير من النعم الأخرى.

تاسعاً: تعليل التوجيهات والنصائح، فلا يكفي أن الكبار يقتنعون بالسلوك الحسن والتصرف الجميل، لكن الصغار هم أيضاً بحاجة إلى فهم الحسن والجميل، ومعرفة الحسن والجمال والافتناع بما نريده منهم، فمن حسن التأديب أن تبين له هذا الشيء صالح لماذا وهذا طالح لماذا، وتبرمجهم بالحوار على ما ينفع والابتعاد عما يضر، يقول النبي ﷺ «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»^(٢٦) فيقول تعالى ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣١ - ٣٢].

عاشراً: بناء المعايير والقيم، فالطفل قد يستجيب لطلبات الكبار من خلال توجيهات جاهزة وأوامر كيفية لا تمنحه معياراً ولا قيمة، يعني هي أوامر مطلوب منه يسمع ويخضع للكبير وحسب، وهذا يجعله شخصية مستسلمة، لكن التأديب البديل بطريقة إيجابية أن نمنح أبنائنا معايير ذاتية نابعة من قناعاتهم تكون دافعة للسلوك مهما كان.

الحادية عشر: قاعدة واضحة بدل التوقعات الغامضة، يقول لكل إنسان خريطته الذهنية التي من خلالها يفسر ما يسمعه، الطفل يختلف في فهم الكلام كثيراً عن الكبار، وغالباً ما يعاند الطفل ويرفض الأوامر، لأنه لم يفهم معناها، أو لأنه بدأ تنفيذ ما فهمه من خلال التوجيهات بأسلوبه هو لا بأسلوب صاحب التوجيهات.

التأديب الإيجابي:

١- يبدأ بالوضوح ٢- التركيز البؤري ٣- التحديد

٤- الشرح مع الطفل حين تطلب من طفل أن يرتب غرفته هذا أم مبهر غامض رتب غرفتك الطفل، لا يصلح تقول له كلام عام هكذا لازم توصل للبؤرة حدد له بالضبط إليه المطلوب بوضوح، فلا يصلح توقيع غامض رتب غرفتك يقول حين تطلب من طفل أن يرتب غرفته فقد تعني أن يضع كل شيء مكانه بالترتيب الذي تتصوره أنت وليس كما، يتصوره الطفل، قد يفهم الطفل أن عليه أن يضع كل الألعاب والأغراض تحت السرير أو في الخزانة، إن التوجيه الواضح والمحدد هو الذي يحدث التواصل مع الطفل، فبدل التوجيهات العامة الفضفاضة تستعمل التوجيهات المحددة، بدل رتب غرفتك تقول له ضع ألعاب، في المكان الفلاني، وضع أقلامك فوق المكتب، وضع ملابسك في الدولاب، إلى آخره.. لا يصلح أمر عام ومجمل غامض لا بد من شدة التحديد.

(٢٦) سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، صححه الألباني رحمته الله.

أيضاً الثانية عشرة: توجيهات محددة بدل توجيهات عامة يذكر أمثلة التوجيهات الغامضة كن هادئاً هذا توجيه غامض، يعني إيه كن هادئاً، لكن توجيه محدد اجلس في مكانك بهدوء أكثر تحديداً. الأولى ليست واضحة لكن لما تقول له اجلس في مكانك بهدوء، مثلاً حان وقت الخروج ممكن هذه توجيه غامض، لو يريد تحده أكثر تقول له إيه البس حذائك، صفف شعرك، توجه للسيارة، مثلاً بدل ما تقول له كن مجتهداً، تقول له أكثر تحديداً راجع درسك اليومي، مثلاً استعد للصلاة، فتقول له مثلاً توضأ والبس واستعد للصلاة، مثلاً عبد الله توجيه غامض، لكن ممكن يكون محدد تعالى يا بني إلى هنا، و عبد الله يريد يناديه باسمه من أجل أن يجيله لكن الأمر غامض لن يفهم عبد الله يناديني ليه أنت يريد تقول له يجي فتقول له إيه تعالى يا بني إلى هنا لازم يكون الكلام واضح ومحدد، مثلاً أحمد غامض لكن مثلاً أمك تريدك، وهكذا أنت قلت إيه لا ممكن تقول له قل من فضلك مثلاً كذا أو كذا.

الثالثة عشرة والأخيرة: هي ألا تجعل العقاب نهاية المطاف، فالتأديب السلبي يرسخ في أذهان الأطفال أن السلوك السييء نهايته عقاب الوالدين، وهذا خطأ عام لا يتماشى مع ما نريده من أبناء إيجابيين، فالطفل الذي يلعب بعود الكبريت لا ينبغي أن يحس بأن ابتلاع أحد الوالدين عليه يعني عقابه، طول ما والديه لا يرونه يلعب بالكبريت مثل ما هو يريد لأن هو أكثر حاجة يخاف منها إنه لو شافوني وأنا باعمل هكذا سوف أعاقب، لكن الرسالة الصحيحة إنك تقنعه أن اللعب بالكبريت قد يعني احتراق جسمه وتشويهه، يعني ما نخليش الهدف إن آخر ما عندنا هو العقاب، لأ آخر نهاية المطاف هي حصول أذية له بهذا السلوك السييء، ومن ينشأ على اعتبار العقاب نهاية المطاف إذا تهور وهو يقود سيارة والده بسرعة بيسوق بتهور واندفاع طبعاً هو الهاجس الذي سيكون في داخله إيه وهو بيسوق بسرعة هاجسه سيكون مرتكزاً على اطلاع والده ومعايته وهو مسرع بالسيارة، هذا ممكن الخطأ، يبقى كل تركيزه أن أقصى حاجة يخاف منها إن أبوه يشوفه وهو بيسوق هذه السواقه، لكن الذي ينبغي أن يرسخه التأديب الإيجابي أن يفهم، ويقتنع، بأن التهور في القيادة يعني وضع حياة الإنسان في خطر، وتعرض حياته وحياة الناس للخطر، أيضاً فإذا ليس مسألة إن العقاب هو نهاية المطاف ينظر إلى ما هو أبعد من العقاب، كما في الأمثلة التي ذكرناها نكتفي بهذا القدر.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المدرس الخامس

«الطفل في الحضارة الإسلامية»

الحمد لله نحمده على نعمائه ونصلي على عبده ورسوله محمد الذي اختاره واجتنباه وأحبه وارتضاه وعظمه وكرمه ورفعته على من سواه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه أما بعد،،، فلم يحدثنا التاريخ الحضاري للإنسانية عبر أدواره وحقبه المتعاقبة، أن طفلاً كان أسعد من الطفل المسلم في ظل الحضارة الإسلامية تلك الحضارة التي جعلت من أولى أولوياتها رعاية الإنسان في مراحل عمره المختلفة، وبشكل خاص في طفولته إدراكاً منها لخطورة هذه المرحلة في تشكيل مستقبل الأمة؛ فالازدهار ورسم معالم الغد المشرق يبدأ من تربية ورعاية الطفولة وتنمية قدراتها واستثمار طاقاتها وفق خطة محددة المعالم لتوفير بيئة مناسبة يتربّع فيها الأطفال، بعيداً عن الكبت والإحباط والضغط النفسية والممارسات غير السوية.

مقارنة بين كل الأطفال عند كل الأمم وعند أمة الإسلام:

لقد أشرقت الحضارة الإسلامية بأنوارها بعد ليل طويل حالك الظلمة كان الأطفال فيه سلعة رخيصة مهدورة الكرامة، مسلوقة الحقوق في ظل قيم وعادات وأعراف وتشريعات وقوانين ظالمة، منحت الأب أو الأخ الكبير حق التصرف بأطفال الأسرة في البيع أو الهبة لأحد المعابد، أو تقديمهم كرهائن للأعداء كما كان الحال عند الآشوريين والبابليين والرومان، أو دفنهم أحياء خوفاً من العال أو الفقر كما كان الحال عند بعض القبائل العربية، طبعاً ليس كل القبائل العربية كانت تمارس الوأد، وإنما بعض القبائل العربية، أو تقديمهم قرايين للآلهة عند البعض الآخر.

الأطفال عند المشركين:

طبعاً القرآن الكريم أشار إلى ظاهرة الوأد هذه في أكثر من موضع حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِنُوا نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِلَيْكُمُ الْإِنْفَاقُ﴾ [الإسراء: ٣١] وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا الْمَوْتُ دُئِي سِيلَتْ ۖ أَيُّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ [التكوير: ٨ - ٩] فبعض القبائل العربية كانت تمارس الوأد أو دفن الأولاد البنات أحياء خوفاً من العالة أو الفقر، والبعض الآخر ممكن أن تقدم الأطفال قرايين للآلهة كما في القصة المشهورة في نذر عبد المطلب تقديم ولده عبد الله والد النبي ﷺ قرباناً لهبل، أيضاً عادة التقرب بالأولاد للآلهة كانت شائعة عند المناذرة وملوك الحيرة وغيرهم من الأمم القديمة، أو قذفهم في الأنهار من أجل إرضاء الرب ليجود عليهم النهر بفيضانه ليتمكنوا من ري زروعهم.

الأطفال عند الفراعنة:

وهذه العادة كانت معروفة عند القدماء المصريين تقديم عروس النيل قرباناً للآلهة المزعومة حتى يحصل فيضان وهذه العادة الجاهلية عند الفراعنة أبطلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد الفتح

من خلال الرسالة المشهورة وجهها إلى واليه على مصر عمر بن العاص رضي الله عنه أو، من خلال استبعاد الأطفال وتشغيلهم في الأعمال الشاقة لتوفير الراحة للسادة، فضلاً عن عادة التخلص من الأطفال الضعفاء والمرضى عن طريق إلقائهم من فوق رؤوس الجبال كما كان الحال في اسبرطة القديمة، أما في مصر القديمة فقد حفل تاريخها بالعديد من القرارات الظالمة ضد الأطفال والتي من أشهرها وأوثقها من حيث الثبوت ذلك القرار الذي أصدره فرعون موسى بقتل كل مولود يولد في مصر وذلك تحت تأثير نبوءات الكهان الذين أخبروه بأن حياته سوف تنتهي على يد مولود سيولد من بني إسرائيل وهذا ما أشار إليه الله سبحانه تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: ٤٩] كما ذكرنا إن الإسلام بيان مدهش في روعته وعظمته وإذا نظرت إليه من أي زاوية، ستجد دليلاً على أنه لا يمكن أن يكون إلا من عند الله تبارك وتعالى من أي زاوية الذي يدخل الإسلام ينظر من جهة العقيدة التوحيد ونظافة القلب وتركيبته بالتوحيد الذي يدخل في الشريعة سواء بقى الشريعة عبادات معاملات قوانين دولية أو نحو ذلك، من الشرائع الإسلامية تجدها تنطق وتشهد بأن هذا لا يمكن أن يكون إلا دين الله تبارك وتعالى، أخلاقيات الإسلام نظافة الإسلام عبد الإسلام تكريم الإسلام للإنسان وضعية المرأة في الإسلام وهكذا، كل زاوية في زاويا الإسلام هي دليل مشرق على أن هذا الدين من عند الله تبارك وتعالى ولا يمكن يكون غير ذلك.

يكفي أننا في هذا العصر وتكالب قوى الكفر في كل العالم من الداخل والخارج على تشويه الإسلام والصد عن سبيله بكل وسيلة، ورغم الضعف الذي عليه المسلمون لكن مع ذلك يبقى الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في العالم كله فما بالك لو لم يكن يحارب، ولو لم يكن يشوه، كل هذه التصرفات العصبية أو التعصبية التي تحصل في الغرب، كل شوية خبر عن الحجاب البلد الفلانية منعت النقاب، البلد الفلانية تدرس منع الحجاب، إيه السر في هذا الغليان الذي يجري في صدورهم هم لا يعرفون ما عليهم فعله، ظاهرة اختراق نور الإسلام لكل آفاق الدنيا وكل بلد في العالم يغزوها الإسلام.

رغم كل هذه الحرب فعلى أي شيء كل هذا فهذا دليل واضح جداً على أنه دين الحق من عند الله تبارك وتعالى، حتى في هذه الزاوية التي نحن نندارسها في هذا الدرس وهو زاوية وضعية الأطفال في الإسلام، أو حقوق الأطفال في الإسلام يعتاد الناس من وقت وآخر أن يفخروا بما توصلت إليه هيئات الأمم المتحدة، والميثاق العالمي لحقوق الطفل الكلام.

هذا ما تكشفوه في العشر سنوات الأخيرة أو العشرين مثلاً فما بالك بشريعة زاد عمرها على أربعة عشر قرناً، ونحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري إذا اعتاد الناس أن يقولوا حقوق للإنسان حقوق للطفل، ويحاول الغرب أن يجمل صورته القبيحة الإجرامية الظالمة متعصباً للمسلمين بأنه يحط

شوية مبادئ يعني بقى، هكذا ما تبقاش حياة مادية وقهر للشعوب فحسب لكن بيكون فيه شوية ديكور يجملوا به وجههم القبيح، حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل البيئة أي كلام فيه مبادئ كأن حضارته فيها مبادئ تذكر.

لكن في الحقيقة هذا الغرب الجاهل الظالم المشرك الذي يتكلم في كل حين عن حقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة ويعجب كثير من البيغاوات في بلادنا بهذه الشعارات الجوفاء الكاذبة يتناسون جميعاً أهم حق في الوجود حق الله على العباد كما جاءت في حديث رسول الله ﷺ حينما سأل الصحابي رضي الله عنه أتدري ما حق الله على العباد وحق العباد على الله فحق الله على العباد أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً.

من يذكر حق الله على العباد إلا أمة الإسلام حتى الأديان الباطلة أو الأديان المحرفة، هي لا تعبد الله في الحقيقة وإنما هي تعبد أرباب من دون الله تبارك وتعالى، فالدين الوحيد الذي يذكر حق الله على العباد، وهو أقدس حق في الوجود، لأنه الذي خلقنا وهو الذي يرزقنا، مع ذلك نجد إنكار وتجاهل كامل لحق الله على العباد، بل محاربة للأمة التي تدعو إلى إقامة حق الله على العباد الذي هو أقدس الحقوق وأوجبها على هذه البشرية التائهة.

الحقيقة هنا دراسة مختصرة جداً للدكتور/ سلامة محمد الهارفي البلوي أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الشارقة رسالة جيدة اسمها «الطفولة في ظل الحضارة الإسلامية» تناول هذه الزاوية كأنموذج من محاسن الشريعة الإسلامية، ومحاسن الدين الإسلامي حتى في التعامل مع الأطفال، الرسالة وجيزة لكن من أراد أن يتوسع سيجد فعلاً أنها عبارة عن مفاتيح لبحث أوسع وأعمق لتتبع إحسان الشريعة الإسلامية حتى للأطفال حتى قبل أن يولدوا وهم أجنة، هناك تشريعات وحقوق ونحو ذلك يقول في الوقت الحاضر رغم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وصدور ميثاق حقوق الطفل الذي أعلنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم كذا سنة ١٩٥٩، كما صدر قرار هذه الجمعية في سنة ٧٦ باعتباره عاماً دولياً للطفل.

الأطفال في العصر الحديث عند العالم الكافر:

فضلاً عن اعتماد الجمعية العمومية للأمم المتحدة في جلستها العامة رقم ٦١ بتاريخ ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٨٩ الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل، إلى جانب جهود العشرات من المؤسسات والمنظمات في حركة التنوير بحقوق الطفل، يقول رغم كل هذا إلا أننا رغم كل هذه الجهود نجد هناك ما لا يقل عن ستمائة وخمسين مليون طفل يعيشون تحت خط الفقر العالمي، إلى جانب أكثر من مائتين وخمسين مليوناً

يعملون في أوضاع خطيرة، وظروف صعبة، ناهيك عن مئات الملايين من الأطفال الذين يتعرضون للاغتصاب.

ففي الهند على سبيل المثال يتعرض عشرين بالمائة من الأطفال لهذا الإتهاك، كشف تقرير أعد حول تجارة الأطفال أنه تم بيع ألف ستمائة واثنى عشر طفلاً سريلانكياً سنة ١٩٨٦ باعهم هؤلاء السريلانكيين إلى مشترين أوروبيين يشير التقرير أيضاً إلى أنه يوجد خمسين مركزاً لبيع الأطفال تعرف بمزارع الأطفال سمعت عن مزارع الأطفال، هؤلاء ينشئون مزارع أطفال من أجل أن يبيعوا الأطفال ويتاجروا فيه ثم يأتون تطاولاً على الدين الإسلامي، وفي بعض المذابح أيضاً التي حصلت في بعض بلاد المسلمين يتسابقون يظهر أن هم هيئات إنسانية وحصل لهم محاكمات في فرنسا وغيره يهرعون إلى البلد التي يحصل فيها حروب وضحايا الأطفال المشردون وكذا، بحجة إنها هيئات إنسانية تدخل من أجل أن تأخذ هؤلاء الأطفال وهم يأخذوهم من أجل أن يتاجروا فيهم، أو يسرقوا أعضائهم البشرية.

ففي سريلانكا موجود خمسون مركزاً لبيع الأطفال الذي عايش يشتري أطفال، ويسموها مزارع الأطفال، تخيل لأي مدى يحصل هذا الظلم.

أما في الصين وأمريكا الجنوبية والقارة الأفريقية فالتجارة بالأطفال تشهد ازدهاراً مضطرباً ولعل المتابع لوسائل الإعلام وتقارير المنظمات الإنسانية يقدر حجم المأساة التي يعيشها أطفال الثورة، الصناعية، وحرب اللجوء، وغزو الفضاء، وثورة المعلومات.

فقد استغلت الدول الصناعية المتقدمة الأطفال أبشع استغلال، عندما شغلهم في المصانع طمعاً في مضاعفة الأرباح دون الشعور بوحز من ضمير وعرض اليونيسيف تقريراً مفاده أن الحروب أدت إلى مقتل أكثر من مليوني طفل في العقد الماضي.

كما أجبرت خمس عشرة مليوناً آخرين على هجر منازلهم، إلى جانب وفاة عشرة بالمئة من حالات الولادة في العراق نتيجة الفقر وصعوبة الوصول إلى مياه نقية وجرائم الغرب في العراق أيام محاصرة العراق وهلاك ملايين الأطفال من الجوع وانعدام الغذاء والأدوية إلى نحو ذلك مما شهد العالم كلهم، أن هؤلاء مسلمون لا يأبه لثل هذا، إلى جانب القتل اليومي المنظم لأطفال فلسطين على يد اليهود الصهاينة المعتدين، القتل المنظم الذي يحصل بطريقة إيجابية أو بالطريقة السلبية وهي الحصار، محاصرة هؤلاء المساكين سمعتم عن خبر التوأم السيام الذي ليسوا قادرين على أن يسفروا ولا أن يعالجوا، حتى الحديثي الولادة يعانون من هذه المعاناة، في ظل هذه الأجواء الملبدة بغيوم الظلم والاستبداد، نجد الدستور الحضاري الإسلامي الخالد القرآن الكريم والسنة المطهرة يقدم أسمى وأنبل المبادئ التي تحفظ للإنسان كرامته، وحقوقه، منذ أن كان نطفة إلى أن يبلغ أرذل العمر، وذلك قبل حضارة النظام العالمي الجديد وقبل صدور مواثيق حقوق الإنسان والطفل بأربعة عشر قرناً.

الحقيقة إن هذا السياق شائع في كثير من الكتابات المخلصين إن شاء الله من الكتاب الإسلاميين، إن الإسلام قبل كذا وكذا من أربعة عشر قرناً لفت الأنظار إلى حقوق المرأة إلى حقوق الطفل إلى حقوق الإنسان إلى آخره، لكن في الحقيقة لا ينبغي أن يمر علينا هذا الأسلوب بدون نوع من التعليق والتحفظ، لأنه أصلاً مبدأ المقارنة إننا احنا نقول إن شريعة الإسلام سبقت الشرائع الوضعية، كأن الشرائع الوضعية فعلاً وصلت لشيء له قيمة، أكيد فيه أشياء لها قيمة في هذه الإجراءات التي يفعلونها لكن روح الحضارة الغربية تفتقر أهم شيء وهو التعبد بأداء هذه الحقوق.

هذا جهد إنساني محض ليس تعبد في الإسلام، سنرى أشياء عجيبة جداً ينظر إليها أنها عبادة، يعني رضاعة الأم للطفل سنين أنها عبادة لا ينبغي للأم أن تنظر إليها حتى مجرد دافع فطري لتربية المولود هذه عبادة، بمعنى كلمة عبادة يعني تحتسب فيها الأجر وغير ذلك.

فستان بين شريعة الخالق وشريعة المخلوق، مقارنة لا ينبغي إن احنا نبتلع هذا النوع من السياق الذي فيه الإشارة إن الإسلام سبق في كذا وكذا، كأنهم وصلوا لخير عظيم جداً بس الإسلام سبقهم إليه لا ينبغي التساهل مع هذه المقارنات على حد قول الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره . . . إذا قيل إن السيف أمضى من العصى

هل هذه مقارنة تنفع يوضع شريعة الخالق تقارن مع شريعة المخلوقين شريعة الإله مع شريعة عباده، بجانب أن ما العورات والمآخذ التي تؤخذ على هذه الإجراءات وكيف أنها تتخذ سبيلاً لفرض ثقافة مخالفة على الأمة الإسلامية وهذا ليس موضوع حديثنا حتى لا نخرج عن الموضوع الأساسي.

جاء هذا الدستور العظيم ليعلن أن الإنسان هو أكرم مخلوق على وجه الأرض يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]

فعلاً أي إنسان عاقل وجهاز الاستقبال في قلبه يعني يستقبل الموج بطريقة صحيحة فعلاً إذا قرأ هذا السياق لا يمكن يتصور أن يتكلم بهذا مخلوق، يمكن تكلمنا قبل هكذا تقريباً عن الروح الربانية المبثوثة داخل القرآن الكريم، يعني لا يمكن أبداً أن يكون هذا من كلام البشر

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]

كرمنا بني آدم يعني الحضارة الغربية في هذا الوقت بم تفرح؟ وما تلك النظريات التي تفرح بها؟.

الأطفال عند الفلاسفة وعند الحضارة الغربية:

وبانية عليها فلسفتها كلها إهانة للإنسان أبلغ إهانة نيجي مثلاً على نظرية داروين التي يروج لها وتدرس للشباب في أخرج سن سن المراهقة أثناء الثانوية العامة يحفظوها مثل أساميهم ويدرسوا أدلات

بدون نقد، بدون تعرض لنقدها، في ضوء العقيدة أو حتى في ضوء حقائق العلم، التي أثبت أنها خرافة ونظرية فاشلة تمامًا، ومع ذلك استغلت في نشر الإلحاد والظلم، كما ناقشت من قبل في التاريخ الدموي للشيوعية، فنظرية داروين بتعامل مع الإنسان على إنه حيوان، وإن أصل الإنسان المفروض إن هو آدم، إن آدم هذا كان أقرب ما يكون من القرد، ويحيوا لك الصور بقى المزعومة لترقي الإنسان التطور الـ Evolution قرد - وبعدين يبدأ يرتفع قامته شوية - الجمجمة تتغير لحد ما وصل لإنسان، أيضًا أشبه ما يكون بالكائن المتوحش.

فنظرية داروين إهانة عظيمة جدًا للبشرية قارن بين هذه النظرية الإجرامية الكاذبة على الله، وبين تكريم الإسلام لهذا الآدمي، صحيح آدم خلق من الطين من التراب والماء الطين، ولكنه شرف بإذا شرف بهذه النفخة الإلهية ثم سواه ونفخ فيه من روحه، فالإنسان كرمه الله ﷻ القائمة يقف ماشي على قدمين ليس على أربع، كرمه بأعظم نعمة وهي العقل الذي هو مناط التكليف، وميزه به عن سائر الحيوانات، لأنهم ينظروا للإنسان إنه حيوان وهذه لا يعتبروها شتيمة، يعني في حوار من مدة بعيدة كنت أتناقش مع أحد الناس الكفرة دول الغربيين بيتكلم بطريقة معينة فأقوله هذا هكذا بقى مثل الحيوانات، فاهوه يستغرب جدًا كلامي بقول طب ما احنا حيوانات، فهو يعتبرها شيء لا ينكر ما احنا حيوانات.

نأتي لنظرية أخرى مدمرة وتمثل أبلغ إهانة وجهت للجنس البشري، وهي نظرية فرويد وكثر من الناس بتتصور إن فرويد يهودي هو فرويد ملحد من أصل يهودي، لكن فرويد ينكر الأديان تمامًا ينكر جميع الأديان ويقول إن الدين مرض نفسي عالمي ألم بالبشرية، اضطراب نفسي، مثل الهلوسة والذهال والحاجات مثل هكذا فهذه نظريته للأديان كلها والنظرية مبنية على الخرافات ليس هناك أي أدلة علمية ولذلك علم النفس زمان كان يحتكره الفلاسفة مكانش علم مستقل مثل الوقتي، لكن كان يحتكره الفلاسفة، من أجل أن هكذا كثيرًا من هذه النظريات مؤسسة على نظرية فرويد، ومش وقته أيضًا انفصل فيها بس هي كلمة كرمنا بني آدم هي التي أثارت هذه الشجون.

ففرويد يضع الإنسان في مرتبة أحط من الحيوان لأن الحيوان الاهتمامات أو الدوافع التي تحركه الطاقة الحيوان الذي تحركه:

(١) أعلى نسبة بتكون الدافع الوالدية الحنان على المولودين الصغار.

(٢) الطعام.

(٣) الشهوة.

أما هو فيضع الإنسان في مرتبة أحط من الحيوان، يقول إن الدافع الوحيد الذي يدفع الإنسان هو دافع الشهوة، «شهوة النكاح» وكل النظريات مبنية عليها طيب وعقدة أوديب وعقدة أوليكترا والكلام هذا كله جايه منين هذه أساطير يونانية يعني خرافات، كله كلام تشمئز منه النفوس.

الإنسان يستصعب حتى أن يذكره في داخل المسجد من بشاعته وشناعته، ليس هكذا فقط شوف فرويد واحتقاره للمرأة من أشد الناس احتقاراً للمرأة، يدرج في ضمن الناس الذين يارسون التمييز ضد المرأة الذي يزعمونه في حق الإسلام أن نظرتهم للمرأة في غاية الاحتقار والدونية، وأيضاً لن أقدر أفصل الكلام دلوقتي، يعني ينظر للإنسان إنه أخط من الحيوان، وهذه روح الحياة الغربية النظرة للإنسان على إنه حيوان.

حتى علم النفس بتاعهم هذا من أكبر دلائل فشله أنه فصل بين هذه النفس وبين خالقها، مشكلة فيه اسمه علم النفس وهو لا يفقه شيئاً على الإطلاق عن حقيقة علم النفس البشرية، كيف يكون علم النفس هذا على صواب وهو ينكر الغيبات، ينكر الخلق ينكر، الروح ينكر كل ما وراء الحس، والمادة، وكأن حقائق الوجود تنحصر فيما هو محسوس فقط، وما غاب عن الحس ينبغي أن ننكره، أو ما كما يسميه زكي نجيب محمود إيه: خرافة الميتافيزيقا، الغيب يعني خرافة الميتافيزيقا ويقعدوا يجيوا المصطلحات المكعبة التي يرهبون بها الناس، يعني هم الناس بتوع العلم والناس المثقفين، أما الإسلاميين فدل بتوع الظلام والرجعية والتخلف والقهر والمرأة ومش عارف إيه إلى آخره، فهذا نوع من البلطجة الفكرية التي تمارس بالذات مع الإسلام، فيرمونها دائماً بما هم أولى بها من غيرهم، فالتكريم الحقيقي لم يجده الإنسان إلا في ظل شريعة الإسلام ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ عندنا في الإسلام الإنسان لما يعمل عمل صالح مثلاً مثل الحج «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٢٧).

لما واحد بيحب بقى أعرف أمنية يعرف ربنا هكذا ﷻ يعيده من ذنوبه كيوم ولدته أمه هذه أعظم حاجة صفحة بيضاء نقية، لا يوجد فيها أي بقعة سوداء، فمن ثواب الأعمال الصالحة إن من فعلها رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، لماذا لأن النقاء والطهارة والصفاء والخلق على أحسن تقويم، أحسن صورة، وأحسن فطرة هي فطرة الإسلام ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ آلَتِي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِمَخْلَقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣].

الأطفال في النصرانية:

نرجع للنصرانية مثلاً أسود يوم في حياة الإنسان هو اليوم الذي ولد فيه، لأن في زعم هؤلاء أنه يولد وارثاً الخطيئة الأصلية Original sen التي هي والعياذ بالله يزعمون أنها خطيئة آدم ﷺ، فهذه بتورث وكل ذرية آدم بتولد ملطخة بخطيئة آدم في زعمهم وعشان هكذا يحتاج الاعتقاد والعياذ بالله في

(٢٧) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صلب المسيح باعتبار المزعوم طبعاً باعتبار إن هذا الفداء الذي قدم حتى يظهر البشر من خطيئة آدم الموروثة هذا ربنا يقول: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرْنَا نَزْرًا وَنَزَرًا أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٨].

يعني كلمة ﴿أَلَا نَزَرْنَا نَزْرًا وَنَزَرًا أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ هذه نزلت فين في صحف موسى وإبراهيم الذي وفَّى هذه بالضبط موجودة في كتب الأنبياء السابقين يعني ليس فقط خصيصة الإسلام لكن هم الذين حرفوا ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرْنَا نَزْرًا وَنَزَرًا أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَّهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: ٣٦ - ٤١] كلام فعلاً لا يقوله إلا إله الخالق، وعشان هكذا أيضاً يحتاج للتغطية والتعميد، من أجل أن التعميد يمسح هذه الخطيئة، وطبعاً فيه تناقض منين بتقولوا إن الصلب كفر الخطيئة عن البشر ومنين ما زال ملوث أيضاً ومحتاج تعميد من أجل أن ينفذ يدخل الجنة يكون على دينهم.

يعني فالشاهد هذا ينافي التكريم، ولذلك الناس في كل الدنيا الآن بتنفر من هذا الدين نتيجة شيء لاف ولا عقل ولا علم، كيف يكون الطفل المسكين يولد وهو محمل بأوزار وخطيئة مزعومة، وأصلاً ليست خطيئة أصلية لأن آدم ﷺ قبل أن يهبط إلى الأرض طهره الله من هذه المخالفة ثم تاب عليه فالله ﷻ تاب على آدم وعلمه كيف يتوب.

فآدم نزل إلى الأرض وهو مطهر تماماً من هذه الخطيئة، لكن نزوله إلى الأرض كان قدراً مقدوراً كما هو معلوم، فالشاهد هذا أيضاً من مظاهر التكريم فمن الذي يكرم ومن الذي يهين، يقول جاء هذا الدستور العظيم ليعلم أن الإنسان هو أكرم مخلوق على وجه الأرض يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠] طبعاً الأطفال داخلين في بني آدم المكرمين فضلاً عن اعتبار الأطفال أغلى وأثمن هدية يهبها الله للإنسان يقول تعالى ﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ نَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى: ٤٩] إن المتأمل للتوجيهات الواردة في هذا الدستور الرباني المعجز المتعلقة بالطفولة يجدها تتصف بالشمولية المتمترجة بمراعاة الحاجات المادية والروحية للطفل مع التحديد الواضح للمسؤوليات الدينية والدنيوية المرتبطة بها.

كما أن إعادة النظر مرتين في تلك النصوص والتوجيهات تكشف لنا عمق اهتمام هذا الدستور بالطفل سواء كان سوياً أم معاقاً يعيش في أحضان أسرته أو كان يتيماً أو لطيفاً فقد حنان الأبوين معاً أو كان لقيطاً لا تعرف له أباً ولا أمّاً وإذا زدنا من عمليات التحليل المنهجية لبنود هذا الدستور الخالد، سوف نلاحظ أن ضمانات حقوق هذا الطفل تنوعت بتنوع حالته وبحسب تدرج نموه الجسمي والعقلي

والاجتماعي والنفسي، لا بل تعدى الأمر أبعد من ذلك حين جاءت بعض بنود هذا الدستور ذات صبغة وقائية يعني فيه تشريعات في الإسلام تأخذ كمان الإجراء الوقائي حتى قبل حدوث الحمل أو أثناء حدوث الحمل، فالإسلام تعامل مع الأطفال بطريقة فيها حصانة وفيها إجراءات وقائية حتى قبل ما يحصل حمل أو أثناء الحمل فضلاً عما حقوق الجنين أو الطفل بعد الميلاد.

انتبهوا هنا يقول لذلك فليس مستغرباً أن تعتبر هيئة الأمم المتحدة نظام الطفولة في الإسلام نظاماً مثالياً لرعاية الطفولة، نفس الأمم المتحدة اعترفت في بعض إصداراتها أن نظام الطفولة في الإسلام نظام مثالي لرعاية الطفولة خاصة المحرومة منها، الطفولة المحرومة.

وأفردت البند العشرين من بنودها الذي أكد أهمية تطبيق نظام الكفالة في الشريعة الإسلامية، طبعاً لو هنفصل بقي إن هم كفار أو هيئة عالمية وأصدرت هذا البيان والحقيقة إن الإسلام يفرض نفسه يفرض نفسه بطريقة عجيبة جداً على كل الأصعدة، يعني في مكتبة الكونجرس في سقف المكتبة عاملين سبع موارد للحضارة البشرية الحضارة البشرية استمدت روافد من سبع حضارات الحضارة الصينية، القدماء المصريين، الحضارة الرومانية، إلى آخره، لكن جم عند الإسلام عملوا شيء غريب جداً ما قالوش الحضارة الإسلامية قالوا الإسلام، هذا في سقف مكتبة الكونجرس، فكاتبين الحضارة الصينية، الحضارة الفرعونية، القديمة حضارة، كذا.

لكن عند الأمة الإسلامية ما قالوش الحضارة الإسلامية قالوا الإسلام، بمعنى إنه كدين متميز وطبع آثاره الإلهية على حضارة البشر والإنسان، ولو حاولنا إن احنا نبرز مفاخر الحضارة الإسلامية في كل مجال الحديث يطول جداً، يعني لما نلاقي في ألمانيا معهد مخصوص لمحمد بن حسن الشيباني من شدة إعجاب علماء الألمان بهذا الأمر أقاموا معهد مخصوص باسم محمد بن حسن الشيباني اعترافاً بريادته في مناقشة قضايا القانون الدولي هو مؤسس القانون الدولي في نظر الغربيين، ويحتفلون به وفيه معهد باسمه في ألمانيا فنجد أننا لسنا نعرف نفسنا مثل ما أعدائنا يكونوا عارفين.

في الحقيقة أذكر في يوم من الأيام ريجن وأيام ما كان رئيس أمريكا قال واعترف تخرج من أسنانهم بالعافية، لأن هذا واقع ما يقدرش ينكره، قال إن أمريكا مدينة للإسلام في إحداث إصلاح اجتماعي في المجتمع الأمريكي.

طبعاً هو يشير للمسلمين الأفارقة الأمريكان السود الذين هم بالطبع وجهوا توجيه معين لنشر المخدرات والجهل فيهم وتصعيد التعليم عليهم، بحيث أصبحوا فئات ضد المجتمع في كثير من الأحوال نسبة الإجرام عالية والقتل والمخدرات إلى آخره، فلاحظوا سواء داخل السجون الأمريكية أو في المجتمع ككل إن الشيء الوحيد الذي يعالج هؤلاء الإجراميين هو اعتناق الإسلام، وأنه الواحد المجرم الذي

شخصية مضادة للمجتمع أو العدوانى بمجرد ما يدخل في الإسلام بيتحول لشخص مختلف تمامًا في كل صفاته وسلوكياته ويصبح نافعًا للآخرين، وتنخفض الجريمة، وهذه الأشياء.

فهذا رئيس أمريكا رسميًا اعترف مثل هذا فالشاهد إن هذا أيضًا يعتبر اعتراف له قيمة حقيقة إن هيئة الأمم المتحدة نفسها بتعتبر رسميًا أن نظام الطفولة في الإسلام لم يأتوا أي دين تاني، هم لا يجاملونا، لأنهم أبعد الناس إن هم يجاملونا أو يظهرونا في صورة حسنة، لكن أن هذا واقع ضاغط وفارض نفسه هيئة الأمة تعتبر نظام طفولة الإسلام نظامًا مثاليًا لرعاية الطفولة خاصة المحرومة منها.

وأفردت البند العشرين من بنودها والذي أكد أهمية تطبيق نظام الكفالة في الشريعة الإسلامية، فمن أبرز مفاخر الحضارة الإسلامية في حقل العناية بالطفل لو بصينا نظرنا لكم الكتب التي صنف في التاريخ الإسلامي للعناية بالدراسات التربوية والطبية التي خصصت للأطفال طبعًا لو هانقعد نتكلم فعلاً مئات من الكتب والبحوث في كل العصور الإسلامية تتكلم عن حقوق الطفل تربية الطفل تأديبه، ونحو ذلك مثلاً الرازي له كتاب «تدبير الصبيان»، غريب بن سعيد الكاتب القرطبي له كتاب «خلق الجنين، وتدبير الحمل والمولودين» ابن الجزار القيرواني له، «سياسة الصبيان وتدبيرهم» أحمد بن محمد الأبلدي له كتاب «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم الإمام ابن قيم الجوزية له كتابه المشهور «تحفة المودود بأحكام المولود» الإمام ابن الجوزي له كتاب «لفتة الكبد في نصيحة الولد، محمد بن محمود ابن الحسين الأستروشنى متوفي سنة ٦٥٢ هـ له كتاب «جامع أحكام الصغار، تحدث فيه عن جميع الأحكام المتعلقة بأفعال غير المكلفين، نلاحظ أيضًا علماء أصول الفقه يناقشون موضوع الأهلية وأقسامها ويبينون فيه أحكام الجنين والطفولة والبلوغ والرشد وأحكام الصغير.

كما أن الفقهاء في العادة يفردون بابًا خاصًا في كتب الأشباه والنظائر لأحكام الصبيان المختلفة وغيرها، ابن العزيز الحلبي توفي سنة ٦٦٠ هـ له كتاب «الدراري في ذكر الذراي، ابن قتيبة الدينوري له أيضًا وصية لابنه مخطوطة، الإمام السبكي كثير جدًا من العلماء لهم وصايا لأن للأبناء فالفائمة تطول جدًا وسنخرج عن سياق إذا استطردنا هذا شيء معروف، هناك مئات من الكتب والأبواب تناقش حقوق الأطفال.

يقول هنا إن الأمر خطورة مسألة الاهتمام بالأطفال، يعني هو وراء هذا البحث يعني المختصر ليريد أن يبين كيف تمكنت الحضارة الإسلامية عن طريق برامجها الناضجة، ومثلها السامية، التي أخذت بأيدي الأطفال الذين حملوا قناديل الخير إلى كافة أرجاء المعمورة، عندما تكامل نموهم وثقلت شخصيتهم، في ظل رعاية شمولية وازنت بين حاجات الجسد والروح، يقول إن هذه الدراسة لا تتبع جميع الجوانب المتعلقة بالطفل، لكنها تنصب على تتبع اللمسات الحانية التي قدمتها الحضارة الإسلامية

للطفولة، على مستوى القول والممارسة مع التركيز على حقوق الطفل وثمار اللمسات الحانية على عطاء وإبداع الأطفال.

لعلنا نستطيع أن نصل من قطع من هذا التراث الخالد ونبتغي سبيله، هذا ما يساعدنا على نهضتنا من خلال الارتكاز على أن أصالة هذا التراث مع الاستفادة من كل ما يجد لا يتصادم مع ثوابتنا الحضارية، في صدر الفصل الأول هو حقوق الطفل في الحضارة الإسلامية، العبارة تروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيها من حقوق الولد على أبيه أن يتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب، يذكر أن أول حق من حقوق الطفل في الإسلام هو اختيار الأم الصالحة.

هذا إجراء وقائي عجيب جداً لأن ليس طفل أصلاً، هذا ما زال واحد يخطب يريد أن يتزوج وهايخطب مشروع زواج فقط، ومع ذلك يفكر في أولاده منذ هذه اللحظة، وهذا طبعاً مما تنفرد به تماماً الشريعة الإسلامية.

لم يوجد إطلاقاً أحد يهتم بهذه القضية كما يهتم بها الإسلام، فالإسلام يؤكد على أن الأم هي حجر الزاوية الذي ترتكز عليه كل البرامج الخاصة، برعاية الطفولة، فالأم الصالحة المؤمنة تعني طفولة راشدة، وسوية، والأم الفاسقة المتمردة تعني طفولة مشوشة ومضطربة، لذا جاءت التوجيهات النبوية الخالدة لتؤكد على ضرورة التحري والتروي عند اختيار الزوجة هنا يستدل ببعض الأحاديث لم تصح، لكن في الجملة هي مقبولة حتى من الناحية العلمية التي هي تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم، لكن هذا الحديث هو أشار إلى الشيخ الألباني رحمته الله صححه في سلسلة الأحاديث الصحيحة «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»^(٢٨) فهذا حديث صحيح يؤكد هذا المعنى يروى أيضاً «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَاسٌ»^(٢٩).

وهذه إشارة إلى أثر الناحية الجينية، إن الوراثة تتدخل في صفات المخلوق سواء كانت الصفات الجسدية أو الصفات النفسية، كما حذر نبي الرحمة ﷺ في أكثر مناسبة من النظر إلى الشكل دون الجوهر لما في ذلك من نتائج سيئة على التربية، لأن الإنسان ابن البيئة، فإذا كانت المرأة في منبت سيء فينعكس ذلك على أخلاقها، وأسلوب تربيتها لأبنائها، ويستدل هنا بالحديث الضعيف المشهور «إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءُ

(٢٨) سنن ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها، صححه الألباني رحمته الله.

(٢٩) وفي الزوائد في إسناد الخارث بن عمران المديني قال فيه أبو حاتم ليس بالقوي والحديث الذي رواه لا أصل له يعني هذا الحديث عن الثقات وقال الدارقطني متروك والله أعلم.

نقلًا عن منتدى أهل الحديث على شبكة الإنترنت.

الدَّمَنُ» قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: «الحَسَنَاءُ فِي الْمَنَبَتِ السُّوءِ»^(٣٠) الحديث ضعيف لكن يندرج تحت المعاني العامة التي أشرنا إليها.

وكان حكماء العرب يخشون الجمال الفائق إذا لم يكن مصوناً بخلق قويم، وهذا الذي أشار إليه القرآن من طرف خفي حينما تحدث عن الحور العين فإن الله ﷻ ما وصفهن بالجمال إلا وقرن بصفة الجمال ما يدل على العفاف العفة ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] حور واسعات الأعين وهي إشارة إلى الجمال ثم قال ﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَامِ﴾ يعني أن نظرن مقصور على أزواجهن وهذه إشارة إلى العفة، روي إلى أكنم ابن صيفي أحد حكماء العرب المشهورين قال لولده يا بني لا يحملنكم جمال النساء على صراحة النسب، يعني لا تقدموا البحث عن الجمال في مقابلة على حساب النسب.

في مناسبات أخرى نجده ﷺ يشجع على اختيار المرأة المتدينة الصالحة، وترجيحها على المرأة الحسنة إذا كانت تفتقد ميزة الصلاح والتدين يقول ﷺ «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(٣١) أيضاً اعتبرها النبي ﷺ خير متاع الدنيا فقال ﷺ «إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٣٢).

كيف ولا وهي الوعاء الذي ينضم بين جوانبه حصيلة العطف الأبوي، فهي إذاً كالأرض المرأة مثل الأرض جودة الناتج، تابعة لجودة التربة، أرض ستوضع فيها البذور للمرأة مثل الأرض ولذلك قال تعالى: ﴿فَسَاوُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فشبه الزواج بأنه بتزراع في أرض أو ترعى فيها البذور فهل يختلف اثنان في أن نوع التربة له تأثير في نوعية الحصاد أو الثمار التي تخرج، طبعاً أكيد الذين يفهمون في الزراعة يفقهون هذا المعنى جيداً اختر الأرض التي تبذر فيها حتى لا تحيب أملك بعد ذلك، أو تنتج لك يعني زرعاً رديئاً فالمرأة كالأرض جودة الناتج تابعة لجودة التربة، وقد سئل فاروق الأمة عمر بن الخطاب ﷺ عن حق الولد على أبيه فقال «أن يتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن» «أن يتقي أمه إشارة لنفس هذا المعنى اختيار الأم لا يوجد إجرائي وقائي إطلاقاً في العالم سيكون أجمل من الاهتمام بالطفل قبل أن يولد من ساعة اختيار الأم التي تكون حرثاً لهذا الزرع.

(٣٠) رواه الشهاب القضاعي في مسنده، وقال الألباني رحمه الله (ضعيف جداً).

(٣١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٢) سنن النسائي، مسند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، (صححه الألباني).

يؤكد هذه الحقوق الفقيه الشافعي الماوردي رحمته الله المتوفي سنة ٤٥٠ في كتابه نصيحة الملوك يقول: «فمن أول حق الولد أن ينتقي أمه ويتخير منهن الشريفة الدينية العفيفة العاقلة لأموها المرضية في أخلاقها المواتية لزوجها في أحوالها، وجاء في الوصية عثمان بن أبي العاص الثقفي أحد صلحاء عصره لأولاده «يا بني النكاح مغترث يعني موضع غرس فلينظر امرئ حيث يضع غرسه والعرق السوء قلما ينجب فتخيروا ولو بعد حين».

ويروى أن أبا الأسود الدؤلي امتن على بنيه باختياره أمهم ذات خلق وعفة فقال لهم «لقد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا وقبل أن تولدوا» فقالوا وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد قال أخذت لكم من الأمهات من لا تسبون بها.

يقول الرياشي «فأول إحساني إليكم تخيلي لماجدة الأعراف بادٍ عفافها» أيضًا يفاخر الأبناء أنه اختار لهم أمًا لا يعيرون بها، فأول إحسان إليكم تخيلي لماجدة الأعراف بادٍ عفافها، لذا قيل إن الأمة الصالحة التي تهز سرير وليدها يمينها تهز العالم بيسارها، وأنه بصلاحها تصلح الأمة كما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها ∴ أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأم روض إذا تعهده الحيا بالري ∴ أورك أيما إيراك إيراك
الأم أستاذ الأساتذة الأولى ∴ شغلت مآثرهم مدى الآفاق

هذا الفاروق عمر رحمته الله يروى عنه أنه أنب أحد الآباء على تفصيله في اختيار الزوجة المناسبة فتفصيل ذلك أن رجلاً جاء يشكو حقوق ولده فأحضر عمر رحمته الله الولد وأنبه على عقوقه لأبيه فقال الولد يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه قال عمر بلى أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب قال الولد يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي وقد سماني جعلاً جعل وهو الخنفساء ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً فالتفت عمر رحمته الله إلى الرجل وقال له جئت إلي تشكوا عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسئت إليه قبل أن يسيئ إليك.

رغم أن هذه القصة مشهورة هو لم يسند في الحقيقة هي قصة مشهورة لكن احنا عايزين ننمى الحاسة النقدية ليس كل شيء حتى لو عجبنا أو نخدم موضوع نتكلم فيه نسلم له في لكوا رأي في القصة هذه؟

جاء لى خاطر أننا نسمي السلسلة لأنى معترض بعض الشيء على كلمة الأمية التربوية الإخوة حرفوها وخلوها محو الأمية التربوية وأنا مسميها في الأول «ضرورة محو الأمية التربوية» لأن فيها نوع من الاستعلاء إحنا بقى المتعلمين وهانمحو الأمية بتاعة التربية بتاعة الناس، طبعاً هذا كلام ليس بصحيح،

لكن هذا كانت فقط في مقدمة البحث من زمان قوي لكن فكرت إن احنا نسمي السلسلة «بر الأبناء» أو «بر الأولاد».

لكن في الحقيقة احنا لما نروح للشرعية الإسلامية نلاحظ هكذا الموضوع على بعضه هكذا نلاحظ إن الشرعية الإسلامية لم تأتي نصوص صريحة وقوية ومحركة على أن يبر الآباء الأبناء، وإنما جاء العكس يعني يمكن من أجل أن نستدل على مسألة بر الآباء للأبناء هنتعب شوية من أجل أن نجيب دليل يعني مثل إيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] هنلاحظ هنا الآية برضوا عامة يعني شاملة شاملة النفس والآباء والزوجان إلى آخره لكن بالعكس صريح وصارخ في النصوص الإسلامية القرآن الكريم الكلام على بر الوالدين، إنه دائماً يأتي عقب الأمر بالتوحيد ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ [النساء: ٣٦] إلى نحو ذلك.

فنلاحظ إن مكانة بر الوالدين في الإسلام مكانة عظيمة جداً وهي من الميزات الرائعة في الشريعة الإسلامية، فلم تكفل الوصية بالأبناء في النصوص، فإذا تأملنا ما وراء هذا المسلك، يعني ليه الشريعة ما سوتش في هذه المسألة؟ إحنا فاكرين لما كنا بنتكلم أو يمكن هانتكلم إن شاء الله بكرة في الكلام على الأطعمة أحكام الأطعمة هتجد إن فيه أشياء لأن الفطرة بتأبها تجد الشريعة لم تتعرض لها كثيراً يعني ليس شريعة مثلاً عفواً تنهي إنسان أن يأكل الغائط والنجاسات، لأن الوازع الفطري في الإنسان يتأفف، من هذا الإنسان السوي يتأفف من هذا هل الإنسان ممكن أن يتصور لهذا، بالعكس تبشعه جداً فاكفي بالدافع الطبيعي ولم يحتج إلى زاجر شرعي فالزاجر النور الإنسان اكتفي به في مثل هذا ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَيَّ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] حتى بين الوحوش هي فطرة الرحمة والإحسان إلى هذه المخلوقات الضعيفة.

أولاً: الله ﷻ ليس معناه إنه أهمل معاذ الله توصية الآباء على الأبناء لأن الله الذي خلق الآباء خلق فيهم الرحمة طبعاً الآباء الأسوياء كل قاعدة لها استثناء، لكن الأب السوي والأم السوية يبقى فيه رحمة تجاه هؤلاء الأطفال، نتيجة هذا الدافع الفطري دافع أو غريزة الأبوة والأمومة محصلش تركيز كثير في النصوص اكتفاءً بالدافع الفطري بجانب الدافع الإيماني طبعاً النصوص كثيرة تحرض... مثل ما احنا شفنا إلى جبهه لما تأتي تفتش بقى في الشريعة تلاقي حق الحضانة، وحق النفقة، وحق النسب، وحق كذا فيه حقوق، وهي ثابتة في الشريعة الطفل له حقوق ما ينكر ذلك أحد، لكن مجتث بالوصاية، وصاية الآباء بالأبناء بنفس النمط الذي جبه بالعكس لأن دائماً الابن هو دائماً الذي يقصر هو الأب.

غالباً لا يقصر الأب غالباً يبقى ماشي في اتجاه واحد اتجاه العطاء لا ينتظر مقابل كما جاء في بعض الآثار إن الفرق بين الذي يخدم أباه أو أمه عند الكبر وهذه بنشوفها الحقيقة الفرق بين الرعاية بتاعة الأب

أو الأم والطفل وهو صغير والفرق بين ما يحاول يرد الجميل وهم كبار يرد إلى أرذل العمر قال كانت تخدمك وتتمنى بقاءك تتمنى لك الحياة أما أنت لما بتيجي تكبر تقول إمتا بقى ربنا يكرمها للأسف الشديد بنسمع الكلمة هذه يكرمها يعني يريحنا بقى وتموت، هذا الذي نراه للأسف الشديد، ونهاذج مؤلمة جداً بتحصل، فهي أمانك العمر الطويل ومستعدة للتحمل لأقصى مدى، أما أنت فمع إن خلاص يعني طال عليك عمرها وهو قصير مهما طال هايطول قد إيه وبتنتهي في الآخر ففعلاً حتى الواقع يؤكد إن حكمة الشريعة الإسلامية إنها ما ركزت بالطريقة الصريحة في موضوع إن الأبناء لهم حقوق على الآباء هي حقوق موجودة وثابتة شرعاً كما سنفضلها إن شاء الله لكن ليس بنفس قوة أمر الآباء ببر الوالدين.

أيضاً هناك معنى آخر والله تعالى أعلم وهو أن دين الأبوين على الإنسان دين غير قابل للسداد، مهما عملت لن تقدر توفيه، الدين الذي أسداه إليك أبوك غير قابل للسداد لو عملت أي شيء فلن تسده لا فلوس هتقدر تسده مهما فعلت، سواء تعب الأم في الحمل والمعاناة التي تعانها، فترات الحمل، ثم في الولادة، ثم في الرضاعة، والتنظيف، والتربية وكذا وكذا كله عطاء في اتجاه واحد، لم ولن ينتظروا منه شيء كذلك الأب كل يقوم بدوره المناسب، يعني في تنشئة هؤلاء الأبناء، يكفي أن أباك وأمك أسديا إليك أعظم نعمة، وهي نعمة الحياة.

ألم يقل الرسول ﷺ في الحديث «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ»^(٣٣) ليس هكذا ليست هذه من الإسلام والإسلام قال «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ فَقَدْ كَفَرَ» الذي يجحد الإحسان الذي يحسن إليه ويقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] «الجزء من جنس العمل» أبوك أسدى إليك شيء أنت لا يمكن تستطيع أن ترده، وهو أنه سبب في وجودك سبب في نعمة الحياة التي أكرمك الله بها، هو كان سبب ليس هو الذي يحييك لكن سبب، ونحن مع أنه مجرد سبب والخالق الحقيقي هو الله، لكن كما هو الشأن في الصور الأخرى من الإحسان التي يحسن فيها الإنسان إلى آخر فيقول له جزاء الله خيرًا أو يعترف بفضلته ولا يجحده.

فنفس الشيء أبوك أو أمك هو السبب في وجودك للحياة، فكيف سترد هذا الجميل، ولذلك سنلاحظ في الشريعة الإسلامية الأبوان لهم مكانه هكذا يعني شبه مقدسة، الأبوان بالذات فحتى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الأبوين مينفعش استعمال الزجر، ممكن مع شخص آخر تقول يا فاسق، يا عدو الله، يا عدو نفسي، تفعل كذا وكذا.

(٣٣) سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (صححه الألباني).

لكن مع الأب حتى لو يعمل نفس الشيء الذي هو فسق لا يصلح تكلمه بالعنف أو بالقسوة، وإنما فقط نمارس معه مرتبة التعريف والوعظ والنصح بالكلام اللطيف دون خشونة فضلاً، عن التغيير باليد عن طريق الضرب ونحو ذلك ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] مجردة كلمة ﴿أُفٍّ﴾ التي هي تعبير عن الضجر والتأفف ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴿[الإسراء: ٢٣ - ٢٤] والله يكره للمسلم الذل، لكن الذل هنا النابع نابع من الشعور بالرحمة تجاه والديه فهذا يحبه الله التذلل للوالدين رحمة به من الرحمة ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فتذكر كلمة ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤).

إنت كنت ضعيف ولا ينتظرون منك أي شيء يعني حتى كلمة الشكر، لأنك في عالم آخر، لا تحس بما يدور حولك، لذلك في الشريعة الإسلامية تجد الأب له استثناءات والأم لهم أوضاع استثنائية لأن الأب لا يعامل بالمثل، ومينفعش مع أهلك إنك تاخذ حقك، فحتى لو وقع من الأب ظلم أو تقصير لا يسقط حقه بالمثل أبداً حتى ولو كان الأب مخلوق موجود على ظهر الأرض، وهو الشخص الذي هو الكافر ليس بس كافر هذا داعية إلى الكفر، ومش بس داعية إلى الكفر هذا يبجهاهد لدعوة ابنه إلى الكفر ﴿وَلِإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

تأمل إيه معنى الآية الكريمة ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ مع مين مع واحد مشرك وداعية إلى الكفر، وكمان لا يدعو فقط بل إنه يبجهاهد إلى الكفر ليدخل ابنه في هذا الكفر قال الله ﷻ: فلا تطعهما في الكفر ومع ذلك يبقى حقهما حتى ولو كانا كافرين، لاحظت كثير جداً الإخوة الذين يدخلون في الإسلام بالذات اعرف ناس كثير طبعا فاحصل عند كثير جداً من الآباء والأمهات بيبالغ من الدخول في دين الإسلام لأنه هذا الأخ الذي أسلم هذا قبل إسلامه شخصية خطيرة جداً في غاية السوء، ولمجرد الإسلام بيتحول لأحسن واحد في أولادها، أو أولاد الأب.

وبالتالي بيعرفوا الإسلام هو الذي غيره والغريبيين بيحسدوننا جداً على مكانة الأبوين، بس الغريبيين الكبار في السن، يعني واحد مرة أمريكي كان محبوس في المستشفى وأحد الأخوة من البلاد العربية كان جاي بيمارس الدور العادي الذي أي ابن مسلم يفعله مع أبويه في حالة المرض، هم موجودين يظهر في عنبر واحد كان سان استيفانوا أو لوس انجلوس لا أتذكر ولكن هو الأخ الذي يحكي لي بنفسه المهم الأمريكان بقوا قاعدين مبهورين جداً ما الذي يحصل هذا، حاجة طبعا عمرهم ما شافوها كيف يسهر الابن على بر أمه ورعايتها، والإحسان إليها، والتلطف معها، طبعا أشياء كأنهم بيشوفوا حاجات، وهذه التي جعلت الناس في شرق آسيا تدخل في الإسلام بدون أن تراق قطرة دم.

أكبر دولة إسلامية هي أندونيسيا ما حصل جهاد إطلاقاً فتحت بأخلاق التجار المسلمين، هؤلاء التجار الذين كانوا دعاة في مثل تجار المتنكرين في مثل تجار، لكن في الحقيقة كانوا دعاة بسلوكهم وأخلاقهم، فنفس الشيء يحصل لما يتطلعوا على وبالذات الآباء الذين يعانون عقوق الأبناء، وهذا هو الأصل في التعامل في الغرب، من أجل أن هكذا احتاجوا يعملوا يوم في السنة يفتكروا فيه الأم، يعمل لها كارت يديها واحد مكاملة في السنة، العقوق هناك هو الأصل لأن نفس الجيل ده الذين هم الكبار في هذا الوقت قبل هكذا عقوا لأنهم محرومون من نعمة الإسلام التي تهذب العلاقة بين الآباء والأبناء.

ففي الشريعة الإسلامية لما يبجيلي إخوة أحياناً يشكون من تقصير الآباء فأقوله بتجيب له الصورة المذكورة في القرآن الكريم ﴿وَلِنْ جَهْدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمَهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] قول له قارن والدك بين هذا الأب أو هذه الأم قطعاً سيكون والدك أحسن لأنه مسلم حتى لو كان عاصياً أو كذا أو كذا من الأشياء الرديئة لكن مع ذلك فهو أولى بأن تصاحبه في الدنيا معروفاً، لا يصلح إن الأب تعامله بالمثل مثل ما يتعامل واحد صاحبك أو يتعامل واحد غريب ظلمك، لأ، الأب له استثناءات والعلاقة مع الأبوين علاقة في غاية الحساسية في الشريعة الإسلامية، وهذه من أعظم محاسن هذه الشريعة الإسلامية، فمينفعش إن أباك تأخذ منه حقك تقول بقى القصاص السن بالسن، ولا بتخضع وتذل لأن الله أمرك بالذل وطبعاً التربية الحديثة للأسف بتنفخ الأولاد نفخ شيطاني، بحيث إنه يتعامل مع الآباء بعدم رحمة وبنوع من الندية وسوء الأدب وهذا للأسف كثير جداً الناس بدأت تتأثر بالثقافة الغربية.

قصة عمر لا أعرف ممكن لو احنا لا نعرف سببها إيه بالضبط لم أنفرغ للبحث عن سندها لكن لم لن تأتي بجديد؟

لأن كل الحقوق هذه وأضعاف أضعاف مثبتة من نصوص القرآن الكتب وفي السنة وسيرة السلف الصالح، الطفل له حقوق لكن ليس هناك تماثل بين صرامة الشريعة في الأمر ببر الوالدين وبين آداء حقوق الأبناء على الآباء ما فيش أب يببر الأبناء، لكن فيه أمور كثيرة تفسر هذا النوع من البر، ففيه بر للأبناء لكن أولاً: الفطرة تتكفل غالباً بهذه العملية. ثانياً: الشريعة في أبواب الفقه وغيرها تضمن أيضاً هذه الحقوق والشريعة الشريعة تلزم الأب المقصر بالحقوق. أليس هكذا الحضانة والنفقة وكذا كذا كل هذه الأشياء بتلزمه فهو فيه حقوق، لكن أن يتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه المراد يبقى صعب الحقيقة، أخيل ولا أعرف أنا شاعر كلمة عمر يقول له «جئت إلي تشكوا عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيئ إليك» في النفس منها شيء لأن أصلاً معندناش سند، فيه سند نحاول نتقبلها أولاً، هذه تحصل أمام الأب أيضاً هذه كناية تربوية ما بيحصلش، المفروض لما بتيجي توبخ الأب ما

تكلموش قدام الابن فتجرئه على العقوق، لكن عايزين نمي النزعة النقدية ما دام الموضوع من حيث السند لم يثبت.

يقول وقد أثبت علم الوراثة بأن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة لذلك روي في الحديث «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ النِّسَاءَ يَلِدْنَ أَشْبَاهَ إِخْوَانِهِنَّ وَأَخَوَاتِهِنَّ»^(٣٤) وفي رواية: «اطْلُبُوا مَوَاضِعَ الْأَكْفَاءِ لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا أَشْبَهَ أَخْوَالَهُ» طبعاً هذا سبب حديث صحيح وذكرناه من قبل هكذا كان هذا الإجراء الوقائي لحقوق الطفل، يبدأ في حضانة الإسلام من اختيار الأم وهي لافتة حضارية سامية لم يتبها لها العالم إلا في عصوره المتأخرة هذا أول حق من حقوق الأبناء اختيار الأم الصالحة.

ثانياً: حق الحياة لقد كانت التشريعات والقوانين في العالم القديم كما تقدم تعطي للأب أو الأخ الأكبر الحق المطلق في منح أو منع حق الحياة للأبناء فجاء الإسلام ونزع حق تصرف الآباء لأولاده لأن الإسلام لا ينظر للطفل على أنه شيء أنت تملك كما تملك الكرسي والسيارة والدابة وكذا، لأ الطفل شيء أنت مؤتمن على تربيته، وتجتهد في تربيته، كي ينشأ بعد هكذا ليستقل منك ويواجه الحياة بصورة سوية، فجاء الإسلام ونزع حق تصرف الآباء بأولادهم.

واعتبر قتل الأبناء لأي سبب من الأسباب من الجرائم الكبرى والذنوب العظيمة يقول الله ﷻ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَرَفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] كما نصت الأحاديث النبوية الشريفة على أن من السبع الموبقات المهلكات ذكر فيها: [الشرك بالله ثم ذكر فيها أيضاً وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق]، نص الفقهاء على أن حق الحياة مكفول للطفل، وأنه يتمتع بحق الحماية الجنائية منذ لحظة الإخصاب، وأن الاعتداء عليه يشكل جناية على مخلوق لم يرى نور الحياة، حتى لو جاء هذا الطفل أو الجنين من طريق غير مشروع حتى لو كان تخلق أو وجود هذا الجنين ناشئ عن فاحشة ما دامت دبت فيه الحياة فله حرمة ويعتبر جناية ويحاسب عليها ويحاكم إسلامية، أو وجد ملقى على قارعة الطريق أيضاً يكون له حرمة.

ويجب على المسلمين وجوباً كفائياً إنقاذه من الضياع، أو من الموت، فالأمة مكلفة برعايته والإنفاق عليه حتى يبلغ رشده، ويكسب قوته، بنفسه، فإذا زنى الأبوان فما هو ذنب الطفل، ألا تزر وازرة وزر أخرى، وناقشنا هذا من قبل بالتفصيل في باب «الفقه شرح منا السبيل» (إمامة ابن الزنا) لو فاكرين اتكلمنا أحكام الإمامة زمان بالتفصيل فتكلمنا على حكم إمامة ابن الزنا، إذا كان أهلاً للإمامة

يصح إمامته، لأنه لا ذنب له ولا يد له فيما فعل أبواه، كما نصوا على أنه لا يجوز إقامة الحد على الحبل حتى طبع حملها إحتراماً لحق الحياة لما في بطنها، فقد جاءت الغامدية وهي حبل من الزنا إلى نبي الرحمة ﷺ تطلب منه أن يطهرها من الجريمة التي اقترفتها، بإقامة حد الرجم عليها لأنها كانت متزوجة فقال لها ﷺ اذهبي حتى تلدي فإن كان لنا سبيل عليك فليس لنا سبيل على ما في بطنك، ثم جاءت مرة أخرى بعد أن ولدت فقال لها اذهبي حتى تطفمي، فالولد بحاجة إلى لبن أمه، ثم جاءت بعد أن فطمته ويده كسرة خبز فأخذه الرسول ﷺ ودفعه إلى إحدى نساء المسلمين للعناية به وأقام الحد عليها.

رتب الشارع عقوبات بدنية ومالية تلزم من يعتدي على الجنين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اختلفت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها، وما في بطنها كانت حاملاً فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غره عبد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وتقدر دية الجنين بعشر الدية. قدم الفقهاء الحرص على حياة الجنين في بطن أمه على بعض العبادات، فقد شرع الإسلام للمرأة الحامل أن تفطر إذا خافت على حملها وهذا في الصيام فريضة، وهو ركن من أركان الإسلام الخمس فريضة الصيام في شهر رمضان، لكن إذا كان الصيام يضر الطفل فليس لها أن تصوم شرع الإسلام للمرأة الحامل أن تفطر إذا خافت على حملها بل يجب عليها ذلك إذا تأكدت أن الجنين سيتضرر بالصيام يقول ﷺ إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبل والمرضع الصيام اتفق الفقهاء كذلك على ثبوت الحق للجنين في الوصية متى خرج حياً، وقد تحقق وجوده حياً في بطن أمه عند الوصية، حيث يحفظ له المال الموصى به إلى حين ولادته حياً حيث يقول وليه بحفظه حتى بلوغ الطفل سن الرشد.

لقد قلبت الشريعة الإسلامية المفاهيم الجاهلية رأساً على عقب فحلت الرحمة مكان القسوة، والعدالة محل الظلم ونفضت الغبار الذي تراكم على فترة الجاهلي فجعلته يبصر طريقه بكل جلاء ووضوح فحلت الرابطة الروحية بين الآباء والأبناء محل الرابطة النفعية المادية التي كانت سائدة عند الأمم القديمة، والتي عبر عنها أحد الأعراب الجاهليين أبلغ تعبير عندما زفت إليه البشري لميلاد بنت له فقال ما هي بنعمة الولد نصرها بكاء، وبرها سرقة.

وهذا من خصائص الجاهلية بغض ولادته البنات، هذه من خصائص أهل الجاهلية فكان لما بشر بأنثى، قال ما هي بنعمى الولد نصرها بكاء يعني إذا أرادت أن تنصري فإنها لا تستطيع حمل السلاح وإنما سلاحها أن تبكي، وتتحب وبرها سرقة يعني إذا أرادت أن تبر أباه وتصله بالمال فإنها تسرق من مال زوجها يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْرِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَوْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩].

بل إن العربي في الجاهلية كان يرى من كمال رجولته إطالة العبوس تكشير، مع حدة في الطبع عند تعامله مع أولاده، حتى أنه كان يرى أن تقبيل الأولاد مؤشراً على ضعفه خاصة إذا كان يحتل مكانة قيادية بين قومه.

فهذا أحد زعماء قبيلة تميم الأقرع بن حابس الذي وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنين والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم لكن قد حسن إسلامه، فالأقرع بن حابس دخل على نبي الرحمة ﷺ فاستنكر عليه تقبيله حفيده الحسن بن علي رضي الله عنهما لأنه كان يرى أن هذا التصرف لا يليق بعظمة بقائد الدولة الإسلامية، فقال الأقرع مخاطباً المصطفى ﷺ قال: أتقبلون صبيانكم إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، كأنه نوع من الكبرياء ولا يليق بقائد وزعيم أن يفعل هذا فقال له النبي ﷺ «أَوْأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(٣٥). نجح الإسلام في تغيير هذه الصورة وحصل تغيير في المشاعر وفي الأحاسيس من ناحية الآباء تجاه الأطفال في المجتمع المسلم.

إن التأمل لكتب التراث الإسلامي المنشور منها والمنظوم يجدها تذخر بعشرات الشواهد التي ترصد التغيير الجذري الذي أحدثها الإسلام في نفسية العربي، وكيف حولها من نفسية تؤمن بجفاء الطبع والتباهي بالقسوة، إلى نفسية شفاقة مرهفة الحس تتدفق بالحنان والشفقة والعطف والرحمة على كل من يتصل بها، وبشكل خاص الأبناء التي غدت سعادتهم من أسمى الأهداف عند الآباء، هذا الإمام محمد بن الشهاب الزهري رحمه الله يرى ابناً له يمشي بين يديه فيقول معبراً عن حبه له أكبادنا تمشي على الأرض أكد هذا المعنى أحد الشعراء بقوله:

وإنما أولادنا بيننا ∴ أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم ∴ لامتنت عيني من الغمض

لقد اعتبر الإسلام الأطفال هبة ثمينة من الله، وزينة في الحياة الدنيا، دون تفريق بين ذكر وأنثى، وجعل محبتهم والعطف عليهم وإدخال السرور إلى قلوبهم عبادة يتقرب بها إلى الله، ومعلماً من معالم الإيمان فالقلوب القاسية والطباع الجافية أبعد ما تكون عن روح الشريعة الإسلامية، لأن هذه السجايا والأخلاق تتعارض مع مقاصد هذا الدين التي جعلت من الرحمة نبأً وهدياً للبشرية يقول تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(٣٥) صحيح ابن حبان من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني.



نكتفي بهذا القدر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

* * *

المدرس السامح

«حقوق الطفل»

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسول اللهم صلي على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذرياته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد أما بعد،،

فلا يخفى ما لوجود نوعية معينة من الإخوة هنا من دلالة صحية، لأن يلاحظ كثير من الإخوة الحضور لما يتزوجوا فضلاً عن أن يكون لهم أولاد، ومع ذلك حريصون على الحضور وهذا مؤشر صحي إن فيه إدراك لأهمية موضوع التوعية الوقائية، بحيث إن شاء الله حينما يكون لهم أولاد يكونون على وعي بالقضية التي تناولها فشكر الله للآباء ولغير المتزوجين، حتى الآن تناولنا قضية حقوق الطفل في الأسبوع الماضي وناقشنا أن أول حقوق الطفل اختيار الأم الصالحة، وثانيها: حق الطفل في الحياة، إن هذا حق محترم، ومقدس، والتعدي عليه جريمة تستوجب عواقبها.

أما الحق الثالث: فهو حق النسب والاسم؛ فحق النسب في الشريعة الإسلامية من الحقوق الأساسية للطفل، التي تترتب على عقد الزواج، لأن في وجود نسب الطفل إلى أبيه يترتب عليه ثبوت الولاية على هذا الطفل، ويترتب عليه حق الإنفاق، وحق الإرث، لذلك منع الإسلام ما كان سائداً في الجاهلية من أن الأب له حق نفي نسب الطفل متى عنَّ له ذلك، في أي وقت يستطيع أن ينفي الأب نسب الطفل، فالإسلام نزع من الأب هذا الحق أو هذا الباطل بتعبير أدق وهو حق نفي نسب أو نسبة ولده له متى شاء، وهذا كان سائداً في المجتمعات الجاهلية.

لكن الإسلام جعل حق النسب حقاً أصيلاً لا يمكن التصرف به، فقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَنْتَفَى مِنْ وَلَدِهِ لِيَفْضَحَهُ فِي الدُّنْيَا فَضَحَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ قِصَاصٌ بِقِصَاصٍ»^(٣٦) الحضارة الإسلامية الرائعة الراقية انطلاقة من مبدأ الحفاظ على الأنساب جعلت من مهام المحتسب والحسبة في الدولة الإسلامية ووظيفة أو وزارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هيئة تؤهل الناس لممارسة هذا الموضوع بفقهِه وبكل المجتهدين فيها حق ممارسة الإنكار بمراتبه المختلفة حسبما يقتضيه الحال.

فالحسبة هيئة إسلامية لا بد من وجودها في الدولة الإسلامية ووزارة الحسبة أو هيئة الأمر بالمعروف إلى آخره، فجعلت من مهام المحتسب معاقبة الآباء الذين ينكرون نسبة أولادهم لهم بعد ثبوتها، ذكر الإمام الماوردي رحمته الله أنه من نفى ولداً قد ثبت فراش أمه ولحق نسبته أخذه المحتسب بأحكام الآباء جبراً، وعززه، لو أن أباً مارس ذلك الحق الذي كان من شأن الجاهلية إن بعد ما يثبت نسب

(٣٦) مسند أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وصححه الألباني.

الطفل لهذا الأب يحدث أي نوع من المشاكل أو كذا فيريد أن يعاقب الأب أو الأم أو يتنصل من التزامات التي تلزمه بها الشريعة فيقول هذا ليس ابني، وينفي نسبه، فإذا وقع أب في هذه الجريمة وهي نفي نسب الولد الذي ثبت فراش أمه وثبت لحوق نسبه به فالمحتسب من ضمن وظائفه أن له حق أن يأخذه بأحكام الآباء، جبراً يجبره على تطبيق أحكام الآباء والحقوق التي تترتب على ثبوت هذا النسب، ليس هذا فحسب يجبر ثم إنه يعاقب بالتعذيب لارتكاب هذا الجرم الجاهلي.

من حقوق الطفل حسن اختيار الاسم:

الدستور الحضاري الإسلامي نص على أن من حقوق الطفل على والديه أو وليه أن يختار له اسماً مناسباً لأن الاسم له أهمية في حياته وفي علاقاته بالآخرين الاسم، إذا كان مما تستريح له النفس، وهو مقبول اجتماعياً، فإنه يكون عاملاً مساعداً لهذا الطفل على التكيف الاجتماعي، وحسن تقديره لذاته.

أما الاسم الذي يعرضه للنفور وسخرية الناس منه، هذا الشاعر للأسف الشديد في مجتمعاتنا نتيجة قيم تنافي الإسلام، بعض الناس من أجل أن الطفل لا يحسد، فيسموه اسم منفر حتى لا يحسد وتسمع أسماء غريبة جداً يمكن بالذات في الجيل الماضي، يرجى أن يكون الأمر تحسن وبعدين هو الطفل واحد، لكن يقابل في حياته كام واحد في اليوم الواحد يروح المدرسة يتعامل مع أصدقائه مع أقاربه مع الناس في الشارع.

فكل الذي سيسمع اسم يعلق عليه، هو واحد فقط لكن يسمع النقد من كام شخص، على طول كل الذي يسمع ييدي استغراب أو يسخر منه أو يضحك عليه، فهذه أذية من الأذايا الشديدة ولذلك من حق الأولاد في الشريعة الإسلامية أن تحسن اختيار اسمه، لأن مثل ما قلنا الاسم لو ما كانش الاسم له أهمية كان ممكن الأولاد يتعرفوا بالأرقام، مثل ما ولاد الملوك يقول لك فلان الخامس، فلان السادس، ما عرفش جايبينها منين، هذا عنده كذا واحد اسمه محمد فهو محمد الأول، ومحمد الثاني، ومحمد الثالث، دعك من هذا ليست هذه القضية، لكن الذي أقوله إن قضية الاسم لو لا أهميتها.

كان من السهل إن الأولاد يتعرفوا بالأرقام، واحد اثنين ثلاثة إلى آخره، لكن اختيار اسم هو يثبت له الهوية المتميزة أنه كيان متفرد ليس من المطلوب يكون نسخة من آخرين، لكن هو يكون اعتراف بكيانه المتميز، ولا شك أن لكل إنسان خطأ من اسمه حسب ما بتسمي الطفل هو بيتقمص ما يرمز إليه هذا، الاسم حينما لو واحد سماه ابنه اسمه كريماً، فأكد هذا هايجب إليه صفة الكرم، لأن كل إنسان بقدر الله يكون له نصيباً من اسمه ينعكس على سلوكه وعلى حياته.

فقضية الاختيار الاسم هذه من حقوق الطفل، صحيح هو لا يملك أن يعترض والاسم غالباً يلصق بيه وهذه المشكلة، ويكون صعب جداً تغييره بعد ذلك، حينما يدرك خطورة هذا الاسم وآثاره

السلبية عليه، يعني المختصين بالعلوم النفسية يعرفوا أهمية الاسم أكثر من غيرهم، لأن الاسم هذا مجرد ان الواحد بيدخل يقول اسمه يبقى لها دلالات كثير جداً، يعني لو واحد دخل وقلنا له اسمك إيه قال معرفش يبقى هنا نقول هذا فاقد الذاكرة ممكن، لو دخل واحد وقال اسمين هو عنده في مناسبتين قال كل مرة اسم ممكن يكون ازدواجية الشخصية مرض آخر من أمراض الشقافية وهكذا، اسمه هو ولد واسمه اسم بنت أو اسم محايد ليس محدد للهوية بتاعته التي ينتمي إليها، طبعاً له أثر أيضاً على هذا الطفل، فاسمه لا بد أن يدل على عقيدته، هذا ساعات الاسم يعكس البيئة الذي الواد تربى فيها.

لما يجيلك ولد واسمه معاوية مثلاً، هل ممكن يكون شيعي لا بل سني ملتزم جداً، لأن الناس العادية لا تلتفت لمثل هذا الاسم، هذا الذي سماه قاصد إنه يسميه معاوية من أجل أن يفتخر بخال المؤمنين وكاتب الوحي لرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وأفضل ملوك الإسلام على الإطلاق، معاوية رضي الله عنه لأنه من الصحابة ويرد على من يطعنون في أمير المؤمنين معاوية أو يتطاولون عليه، هذا موقف يعني اسم ساعات بينين موقف ليس مجرد اسم عادي فدا اسم يدل على موقف، وهكذا قضية الاسم الحقيقة تستحق كثيراً من الكلام، لكن لا نريد أن نطيل فيها لكن يكفي مثل هذه الإشارة.

فكان من أولويات النبي ﷺ في إعادة بناء المجتمع الإسلامي الأول، تغيير الأسماء النشاز، لأن هناك إشاعة في الجاهلية اسمها نشاز تعبر عن قسوة وغلاظة وفظاظة هذه البيئة الجاهلية، فالبيئة الصحراوية بيئة قاسية، وكادت تنعكس على أهلها، ولذلك كان العربي يتناغم وينسجم مع هذه البيئة، ويتبادل معها القسوة والجفاء، فكانت القسوة تتجلى في مظاهر شتى بتأثير هذه البيئة القاسية الصحراوية، فتجلت في وأد البنات مثلاً، تجلت في تقديم الأطفال أو فلذات كبدهم قرابين للآلهة، تارة باشتعال الحروب لأنفه الأسباب مما تجلى فيه قسوة هذه البيئة وتأثير البيئة القاسية الفظة الغليظة على أهلها أنهم كانوا يرون أن من العيب تسمية الأبناء بالأسماء الحسنة، كانوا يعتقدون الأسماء الحسنة لا تليق إلا بالخدم والعبيد أما الفرسان وأبناء البيوتات والأشراف فيجب أن يختار لهم أسماء تثير الملح والفرح والرعب في قلب من يسمعها.

فكانوا يقولون أسماء أولادنا لأعدائنا، والأسماء اللطيفة لعبيدنا أسماء أولادنا لأعدائنا يعني يختاروا الاسم من أجل أن لما الولد يواجه عدوه اسمه يلقي الرعب (حرب) (صخر) (مرة) وهكذا (حنش) (جعل) (غراب) (عاصية) ونحو ذلك من هذه الأسماء التي كانوا يختاروها من أجل أن تؤثر على العدو.

نفس الشيء موجود في بعض أو كان موجوداً وسائداً بالذات في الأرياف عملية إن تلاقي أسماء غريبة جداً ليه بيكونوا سموه من أجل أن الأم جابت قبل هكذا كام ولد وكانوا ييموتوا وتقول دول بيتحسدوا فينبغي تسمي اسم يؤثر في من يراه بحيث لا يقع في الحسد أو تهمل الطفل وتحليه قدر

ومشوش إلى آخره من أجل أن لا يحسد إلى آخره، فكان من اللمسات الحضارية الإسلامية هدم هذه الأعراف، وهذه القيم وتصدى لذلك النبي ﷺ بنفسه، فصار التقيد باختيار اسم حسن شكلاً من أشكال العبادات والطاعات التي يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ»^(٣٧) لم يكتف رسول الله ﷺ بالسنة القولية في هذا الأمر، لكنه أتبعها بالسنة الفعلية من خلال تغييره لعشرات الأسماء القبيحة إلى أسماء جميلة، حتى إن الإمام البخاري رحمته الله في جامعته الصحيح عنون بأحد الأبواب باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه غير النبي ﷺ اسم العاص ابن عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب، فيه فرق بين العاص وبين عبد الله اسم أجمل بكثير. ومن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن فغير اسم العاص ابن عمر بن الخطاب إلى عبد الله العجيب سمعت من أيام قليلة فقط من شخص يقول إن فيه واحد كان اسمه محمد وسمى نفسه عاصي، يظهر أن هو مغني أو حاجة مثل هكذا إنما اسمه الأصلي محمد فراح مغير اسمه لعاصي.. الله المستعان، فمثلاً زحم سماه (بشيراً) شخص اسمه حرب سماه (سليماً) المضجع سماه (المنبعث) شيطان بن قرض سماه (عبد الله بن قرض) شخص اسمه غراب فسماه النبي ﷺ (مسليماً) طبعاً تعرفون من ضمن أحكام الأسماء يكره اختيار اسم يوهم نفيه نقصاً يعني مينفعش مثلاً تسمي ابنك إسلام أو إيمان لأن لما يجي واحد يقول عندكم إيمان يقول له لأ عندكم إسلام لأ.

فالنفي يوحي بأن ما عندناش إسلام صحيح الأعمال بالنيات، لكن يوهم نقصاً مثل ما تقول مثلاً واحد سمى المولود أو الطفل حياء، فتقول عندكم حياء لأ ما تلاقيش، مثلاً فنفس الشيء فالمفروض إن اختيار الاسم يتتقى بحيث لا يوهم نفيه نقصاً، فالمسلمون ما سموالو تلا حظ بأسامي الأجيال الماضية، والي كان فيها العلم والفهم وكذا لا أحد يسمي إسلام، ما تلاقيش إسلام أبداً في كتب الرجال لكن مسلم من أجل أن إذا وقع ذم يقع الذم على الشخص ليس على دين الإسلام، فينبغي الالتفات لهذا، بعض الناس بحسن نية ييسموا إسلام كنوع من الفخر، لكن قول مسلم كذلك غير عاصية ابنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسماها (جميلة) (برة) لأن فيها تزكية من البر سماها (جويرية) حرب ابن علي بن أبي طالب غير اسمه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

طبعاً ما يسمى بهيئة الأمم المتحدة خيال المائة، لم تستيقظ ولم يستيقظ كل البشر لأهمية أو الاعتراف بحق النسب، وحق الاسم، إلا بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً حيث قرر هذا الحق في

(٣٧) سنن أبي داود من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، (ضعفه الألباني).

الشريعة الإسلامية فمؤخرًا ضمنوا حق ميثاق أو ميثاق حقوق الطفل إنه من حقوق ضمان هذا الحق الذي هو حق النسب، والاسم يقول الإمام ابن القيم رحمه الله إن الأسماء قوالب المعاني ودالة عليها ولها تأثير في المسميات وللمسميات تأثير على أسمائهن في الحسن والقبح والخفة والثقل واللطافة والكثافة ولهذا أمر الرسول ﷺ بتحسين الأسماء فقال: «حَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ فَإِنَّ صَاحِبَ الْإِسْمِ الْحَسَنِ قَدْ يُسْتَحْيَ مِنْ أَسْمِهِ وَقَدْ يَحْمِلُهُ أَسْمُهُ عَلَى فِعْلٍ مَا يُنَاسِبُهُ وَعَلَى تَرْكِ مَا يُضَادُّهُ» مثلاً سمي شجاعاً مثلاً فيستحي أن يكون جباً كيف هو اسمه شجاع أو كريم كيف يكون بخيل وهكذا.

الحق الرابع: حق الرضاعة:

حق الرضاعة، فالرضاعة من الأم تعد حقاً مقدساً في نظر الشريعة الإسلامية السمحاء، لما لحليب الأم الممزوج بدفق العواطف والشفقة والرحمة والأمن إلى جانب ما يقدمه من مناعة صحية، فضلاً عن أثاره في تحديد معالم شخصيته في المستقبل، لقد أكد العلماء قديماً وحديثاً على أهمية الرضاعة في حياة الطفل، يقول ابن سينا إنه «يجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه فإن في إقامته ثدي أمه عظيم النفع في دفع ما يؤذيه، وبالذات أول ما يفرز فور الولادة شيء يسمى اللبا هو سائل مختلف في شكله عن اللبن، وبعض الأمهات الجاهلات تتخلص منه، وهذا جهل فاحش لأن هذا هو أول ما يناله الطفل من الأم وبيكون محتوي على أشياء عجيبة جداً، يعني أجسام مناعية في غاية الكثافة مضادات حيوية، وأجسام مناعية، وبروتين عالي جداً، ومحتوي على أشياء مذهشة، ليه لأن ما زال الطفل نازل ومتعرض لبيئة جديدة فمحتاج لنوع من المناعة فشوف ابن سينا يقول له فإن في إقامته ذلك عظيم النفع في دفع ما يؤذيه إشارة إلى هذه المناعة.

أيضاً الطبيب البلدي في كتابه «تدبير الحبال والأطفال والصبيان» قال: «الأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال إن لم يكن لها علة أو لسبب يفسد اللبن»، كشفت الدراسات الحديثة عن أهمية الرضاعة في بلورة ذهن الطفل التأثير مناغاة الأم الطفل وابتسامتها في وجهه في ترسيخ أسس الصحة العقلية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة لأن هذه الرضاعة تنمي الحنان وتقوي الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها لتتطور وتؤثر في نموه النفسي.

ويلاحظ طبعاً هذه دراسات مؤكدة أن نسبة حدوث مشاكل واضطرابات نفسية أقل بين الأطفال الذين يرضعون طبيعياً بالمقارنة بمن يرضعون صناعياً، وحتى الآن لم يكتشف على الإطلاق أي شيء يضاهي لبن الأم هذه حقيقة علمية مؤكدة، مهما حاولوا لم يستطيعوا أن يصلوا إلى مضاهاته، لهذا تجد الشريعة الإسلامية نصت على أن حق الطفل في الرضاعة يثبت بمجرد ولادته، ولذلك كان هذا من أوجب الواجبات على الأم، بحيث إنها تأثم بترك القيام بها من غير عذر مشروع خاصة إذا لم يقبل الطفل

غير أمه يقول تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] صيغة يرضعن هنا تدل على الوجوب، إحدى صيغ الوجوب هذه الصيغة ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] صحيح هي واحدة صورة الخبر لكن يراد بها الأمر والتكليف ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣].

تلاحظون في الشريعة الإسلامية أنه كلما كان الإنسان ضعيفاً كلما كانت العناية به أوجب، لأن هذا الطفل لا يستطيع أن يعبر عن احتياجاته ولا عن حقوقه ولا أن يطالب به، فتجد الشريعة تهتم جداً والوحي الشريف مليء بالنصوص في ضمان هذه الحقوق التي تناولها للطفل، لأن هو في عالم آخر هو لا يدري بما يدور حوله فكيف ولا يستطيع أن يطالب، فالشريعة توجب وتلزم الآباء والأمهات بمراعاة هذه الحقوق هذه الدراسات والبحوث الحديثة أثبتت أن فترة عامين فترة ضرورية لنمو الطفل نمواً سليماً، من الناحية الصحية والنفسية لكن نعمة الله ﷻ على هذه الأمة الإسلامية لم تنتظر هذه الأمة حتى تتعلم من تجارب البشرية على حساب مصلحة الطفل طوال هذا الأمد البعيد، إن فيه جانب من العلوم البشرية الوحي لم يتعرض لها اعتماداً على الخبرة البشرية المتراكمة تستطيع أن تكتشف هذه الأشياء في كل مجالات الحياة أو العلمية، بالذات فتعطيه خبرة تراكمية لكن عناية الله ﷻ بالأمة الإسلامية لن تنتظر حتى تتراكم الخبرة البشرية وتصل إلى ما وصلنا إليه.

مثلاً من ناحية أهمية الرضاعة أو حق الطفل في الرضاعة أو كذا أو كذا بل نصت على هذه الحقوق حتى لا تنتظر الأمة إلى أن تصحى الأمم المتحدة من النوم وتقول حق الطفل في النسب، أو حق الطفل في الرضاعة، أو الوصاية بحليب الأم إلى آخره، فنص الله ﷻ على هذه الحقوق وأمر بها ويقول هنا ولكن نعمة الله تعالى على الأمة الإسلامية لم تنتظر بهم حتى يعلموا من تجاربهم على حساب مصلحة الطفل طوال هذا الأمد البعيد، فالله رحيم بعباده وخاصة هؤلاء الصغار المحتاجين للعطف والرعاية، فلبن الأم هو منحة السماء لزائر جديد أطل على وجه الأرض.

الرازي المفسر الشهير وكان طبيباً معروفاً علق على هذه العناية الكبيرة بهذا الطفل إلى الله تبارك وتعالى، قال إن هذه العناية تدل على أن الإنسان كلما كان ضعيفاً كانت العناية به أوجب، طبعاً هذا قبل منظمة اليونسيف، والمنظمات الدولية ما تتبها لهذه الأشياء فمبدأ الصحة العالمية فيما يتعلق بتغذية الطفل بالرضاعة، نص في المادة السابعة على أن الرضاعة من ثدي الأم جزء لا يتجزأ من عملية الإنجاب، وهي

الوسيلة الطبيعية والمثلّي لإطعام الرضيع والأساس البيولوجي والعاطفي الوحيد لنمو الطفل، حتى هم خصصوا يومًا عالميًا للرضاعة الطبيعية.

فننظر لهذه أحد المظاهر التي تبين سبق الإسلام في الرحمة بهؤلاء الأطفال، ويمكن كلمة الكلمة الشائعة التي يقولوها دائمًا الإسلام صالح لكل زمان ومكان، هذه كلمة فيها قصور، فنحن لا نأخذ الإسلام من أجل أنه صالح لكن نقول «إن الزمان والمكان لا يصلحان إلا بالإسلام»، نظر المسلمون بعد أن نور الله قلوبهم بنور الإيمان إلى الرضاعة.

وهذا شيء عجيب مما تتفرد به الشريعة الإسلامية، فالمسلمون لم ينظروا لهذا الأمر على أنه مجرد التوفير للغذاء للطفل، بل تسامى بهذا الأمر حتى اعتبرها الإسلام خدمة روحية، فيها من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله.

لذلك قال عمرو بن عبد الله لامرأته وكانت ترضع ابنًا لها التسامي في الرضاعة لأنها عبادة تحسب فيها النية ويرجى منها الثواب من الله في الآخرة، وهذا شيء لا يمكن أن تقترب منه أبدًا أي شريعة أخرى على وجه الأرض إطلاقًا مهما ادعوا، وهذه خصيصة الإسلام، فيقول عمرو بن عبد الله لامرأته حينما كانت ترضع ابنًا لها قال لها لا يكون ارضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم ولكن أرضعيه فتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاعك خلق عسى أن يوحد الله، ويعبده.

فانظر إلى النظر للمستقبل والاحتساب، إن هذا تعبد عبادة ولما نقول إنها عبادة ليس مسلم يستطيع إن هو يناقش في هذا أو يستغرب، لأننا متعودين إن الإسلام نظام يحكم الإنسان في كل حياته، ليس داخل المسجد فقط، لكن هو نظام حياة ولذلك يحظى الإسلام بقدر عنيف من العدوان من العلمانيين والليبراليين، وهؤلاء القوم والأديان والأخرى، والمذاهب الأخرى لأن هو متميز الوحيد في هذه الأشياء نظام حياة متكامل.

ليس هذا فحسب بل هو نظام حياة يستعصي على التحريف والتطويع، والي يباحول أن يطوع هو الذي يسقط في النهاية، أي واحد حتى لو ممن ائتمن على حراسة هذه الشريعة لو هو نفسه انحرف وحاد عن وظيفة حراسة الدين فهو الذي تطئه الأقدام، ويمحى، وينسى، ويبقى الإسلام حجة الله على العالمين.

هذا السر الحقيقة في الحرب الغربية وبنشكر طبعًا مجلة المصور، على الدعاية الهائلة التي نفعلها للدعوة السلفية أخ جاب لي امبارح مجلة لا أنصحكم أن تشتروها، لأن طبعًا هم بيلا حظوا إن هذه الحملات تنشط بيعها، فبتتعتش فأهملوا فاعاملين ملفات توصل حوالي عشرين صفحة، وكلها كذب كذب على السلفيين، لكن الأمر اختلف الآن هل التشنيع الآن هيبقى مثل ما كان قبل هكذا، لأن الله

الحمد فيه الآن منافذ للدفاع أو لبيان الحق، والناس بتحتك بالشيخوخ السلفيين مباشرة، فيعرفون أنهم ليسوا متخلفين بهذه الصورة يقول له ثلاثمائة شئ أباحه الصحابه والرسول يعني حتى ليس متأذب في الترتيب حاطط الصحابة قبل الرسول ﷺ، ثلاثمائة شئ أباحه الصحابة والرسول يجرمها السلفيون، عداها ثلاثمائة حاجة السلفيون يجرمون كذا كذباً على الله وافتراء عليه لأجل هذه الخصائص يحارب الإسلام ليتعصي على التحريف سيقى حجة على خلق الله إلى أن يأتي أمر الله تبارك وتعالى.

فهذه من خصائص الشريعة الإسلامية السامية أشياء ليس ممكن الناس متخليها عبادة مثل الرياضة البدنية، فيه حد يتخيل إنها عبادة لا يوجد في أي حضارة من الحضارات لكن في الإسلام عبادة من أرقى أنواع العبادات، ولذلك لو تتذكرون الكلام الذي تلوناه منذ زمن عن ابن القيم وهو يتكلم عن آداب المراتض الشخص الذي يمارس الرياضة البدنية، تعلم الرماية، أو غيرها إيه الآداب، يقولها وهو رايح خارج من بيته، ورايح يتدرب، وإيه الآداب في داخل المكان لما يدخلوا يقول إيه وكيف يتعامل مع من يدربه مع زملائه، في هذا النشاط بيتكلم عنها عبادة قطعاً، عبادة بيتكلم على النية بيتكلم على الأذكار التي يقولها فهذه نوع من أنواع العبادة.

نعم هي في الإسلام عبادة هذا هو الإسلام، لأن دين حياة لا يمكن أن يعيش أبداً منفصلاً عن الحياة، أتى ليقود الإسلام لا يمكن أن ينقاد لذلك، هم لا يجدوا سلاح غير الكذب حتى الغربيين الإسلام يغزوهم في عقر دارهم، ويتشر انتشاراً مدهشاً، فمش عارفين يعملوا أي مقاومة غير إن هم يشنعوا هم كمان دخلوا في أسلوب التشنيع والتعصب والحق، فشوية يتكلموا عن الحجاب، كل شوية دولة تقول لك إجراء بمنع النقاب، هذا له دلالة هم لا يعرفون يتصرفوا كيف ليسوا قادرين يواجهوا الإسلام، مواجهة منصفة لأن الإسلام يستحيل أن يهزم في مواجهة علمية، فيها إنصاف يستحيل سواء بقى مع الليبراليين أو العلمانيين، أو غيرهم في الشرق، أو في الغرب، في الداخل أو في الخارج كلهم لا يستطيعون لكن لا يجروا أحد، أن يتناقش مناقشة حرة لكن ممكن يستغل منبر إسلامي مشهور ومنفتح على العالم إنه يكذب ويكذب يمكن الناس تصدق مع الإلحاح في الكذب.

لكن يبقى نور الله مراراً نور الإسلام مثل الشمس يستحيل إن واحد يقول سأحجب نور الشمس عن الناس بأنه يمسه هكذا في يديه هل يمكن واحد يقعد ينفخ من أجل أن يطفئ الشمس، وهذا هو المعنى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] فإلى هنا بنشوفه هذا هو كراهية الكافرين للإسلام هذه مظاهر الكراهية لهذا الدين الحق ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ٣٢ - ٣٣].

فالذي نراه هو مظاهر الكراهية، التي أخبرنا الله بها مسبقاً ليس شيء جديد فهاذا تفعل الكراهية وهذا الحق، وهذا التحامل، وهذا الكذب، يعني ناس سلاحهم هو الكذب، أو القهر، لكن في نقاش علمي في أي قضية من القضايا، لا يستطيعون ولا يسمحون بذلك، وإنما هو مجرد التشنيع والتشهير والصد عن سبيل الله تبارك وتعالى.

فهذه الحقيقة من الوقفات المهمة جداً إن الإسلام ينظر للرضاعة ليس بقى حق والكلام الذي يقال هذا لأهذه عبادة، شيء أرقى بكثير جداً يعني الأم وهي ترضع ولدها تحتسب النية، في ذلك فيما هو أكثر من ذلك هو أعجب، كما في الحديث الشريف وفي بضع أحدكم صدقة حتى أن الرجل إذا أتى أهله فهذه عبادة يثاب عليها كما شرح ذلك النبي ﷺ.

فهذا عمر بن عبد الله عبر عن هذا المعنى أعظم تعبير حين قال لامرأته وهي ترضع ابنه لا يكون رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها يمكن اتكلمنا الأسبوع الماضي في موضوع فرويد عليه من الله ما يستحق حينما جعل إن الشهوة «شهوة النكاح»، هي المحرك الأساسي والوحيد، وراء كل حياة البشر كلها.

يمكن داروين خلى الإنسان حيوان، مثل أي حيوان لكن ترقى في سلم التطور المزعوم، فرويد جعله أحط من الحيوان لأن الحيوان، الدوافع التي تحركه يعتبر دافع الشهوة رقم (٣)، لكن أولاً أول دافع وأقوى دافع عند الحيوانات هو الأمومة غريزة الأمومة والأبوة والعواطف ناحية أولادها لكن، رقم (٣) هي هذا الجانب أو هذه الغريزة، هو خلى الإنسان أحط من الحيوان، حيث جعل الدافع الأول: هو هذه الشهوة فقط.

فيعني من تكريم الإسلام لهذا الإنسان أيضاً أنه يرفع شأنه إلى هذا الحد الذي ذكرناه، هنا يقول لها لا يكون رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها، طبعي أن الإنسان أرقى من الحيوان والإنسان ميزته إنه يستطيع أن يحتسب، الحيوان لا يصلح يتعبد من أجل أن هكذا ننتكلم عن موضوع القبول والرضا، الناس تقول لك القبول تقبل ابنك تقبل مش عارف إيه.

نحن عندنا مصطلح أقوى بكثير تقبل نعبر عنه في الإسلام بالرضا، الرضا عن الله الرضا بقضاء الله لأن لازم معها حسبة فتبقى عباده، لكن القبول إذا حصلت حادثة يبقى تتقبل الأمر الواقع إلى آخر، هذا الكلام الذي يقولون.

التقبل هذا مثلاً إنسان حصل عنده كارثة مصيبة موت شيء، من هذا فالتقبل هو بالضبط يساوي سلوك البهائم، يعني الدابة إذا ضربتها بالسياط بتقدر تعترض تصبر أم لا تصبر.

طيب الإنسان إذا حصل له ابتلاء يصبر، لكن الفرق بين صبر المؤمن وبين البهيمة، الحسبة، الإنسان عنده قلب وعنده عقل يحتسب لوجه الله ﷻ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

فاحتساب الأجر عند الله على هذا الصبر هذا الفرق بين البهيمة، وبين الحيوان، وبين الإنسان، الحيوان ما يعرفش يتحسب فالتقبل، الذين هم ينادون الناس به هذا إحنا بنعبر عنه بكلمة أرقى بكثير جداً التي هي كلمة إيه «الرضا».. الرضا بقضاء الله ﷻ واحتساب الأجر فيما تصبر عليه، فهنا نقول لا يكون رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها، يعني أنها ترحمه بالفطرة لأن هذه جزء من الرحمة، التي جعلها الله بين خلقه حتى إن الوحش أو الحيوان يرفع رجله عن الطفل بتاعه الصغير إيه من أجل أن يرحمه نوع من مظاهر الرحمة عند الوحوش، المسلمة لا تستوي مع البهيمة في عملية الإرضاع الدافع فقط الفطري، لأ فيه ما هو أعظم وأرقى وهو التسامي بعملية الإرضاع هذه إلى حد كونها عبادة يحتسب فيها الثواب والأجر من الله ﷻ، لا يكون رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها قد عطف عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله وأن يحيا برضاعك خلق عسى أن يوحد الله ويعبده.

من منطلق حرص الأمة الإسلامية على تجسيد هذه التوجيهات القرآنية والنبوية بشأن الطفولة تسابق الأفراد والجماعات والحكام على توفير حق الرضاعة للأطفال، ومساعدة أمهاتهم من خلال توفير التغذية المناسبة لهن، فكثرت في المجتمعات الإسلامية إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، كثرة العطايا والأوقاف المتعلقة بهذا الشأن منذ فترة مبكرة من تاريخنا، من أوائل الإشارات التي أوردتها مصادرنا عن عناية الدولة الإسلامية بالمواليد عند ولادتهم تعود بنا إلى العصر الراشدي، بمناسبة.

أيضاً العودة إلى العصر الراشدي، سفهاء من أعداء هذا الدين كثير في هذا الوقت يتجرأوا أوي ويبدأوا يتكلموا وبعضهم يكون منافقاً تعرفه في لحن القول، قد يكون جباناً لا يستطيع أن يذكر كلمة الإسلام، لكن يختبئ وراء بعض العبارات يعني بعضهم يجهل بلا استحياء ويقول عايزين يحكمون بقوانين نزلت من أربعة عشر قرن، هذا كفر صراح كفر بواح وصف الشريعة الإسلامية بأنها شيء متخلف يلزم ويلحن في القول، يقصد في ذلك شريعة الإسلام، إيه الشريعة التي نزلت من أربعة عشر قرن فنحن عندنا خصيصة أيضاً من خصائص هذه الأمة، إن غيرنا إذا تخلى عن عقيدته وعن ماضيه يترقى وهذا الذي حصل مع اليابان مع الغرب يعني الغرب لما تخلى عن النصرانية وفصل الدين عن الحياة، ترقى لأن عقيدته كانت تشله وتجذبه للقهقرة.

فاليابان نهضت لما ودعت عبادة الإمبراطور إلى آخره الغرب كله اقترن النهضة الصناعية الثورة الصناعية بالفصل بين الدين والحياة العلمانية، لكن المسلمين يعاملون من الله ﷻ معاملة خاصة معاملة استثنائية لماذا لأن الله ﷻ قال ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، فيه رفعتكم، ومجدكم، وعلو شأنكم، ما دامت الأمة امتن الله عليها بالقرآن الكريم وبسنة سيد المرسلين ﷺ فهذه نعمة هي أعظم نعمة على الإطلاق فإذا كفرت بهذه النعمة وأعرضت عنها فلا بد أن تعاقب بأن تكون في ذيل الأمم.

فعندنا الموضوع بالعكس إذا متمسك بديننا نكون أعلى أرقى الأمم، حينما نتخلى عنه ونكفر بهذه النعمة ونجحدنا نرجع إلى الوضع الطبيعي الوضع الذي كان فيه العرب كانوا في مؤخرة الأمم في ذيل الأمم، وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حينما قال «أنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بهذا الدين فمهما ومهما صيغة شرط وهي صيغة عموم، فمهما نبتغي العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله».

هذا الواقع هذا قانون، والواقع يلمس ذلك الواقع احنا عددنا كبير جدًا الآن غثاء كغثاء السيل، مليار وربع تقريبًا لكن مع ذلك لسنا قادرين على أن نحرر المسجد الأقصى، ونخرجه من أيدي هؤلاء الأنجاس اليهود لماذا، لأننا نخلينا عن الإسلام ونبحث ما زال في جحر الضب عن مخرج لهذا الذل الذي نحن فيه فالقانون والقاعدة ما زالت تعمل لأن هذا قانون سنن لا تتخلف أبدًا لماذا، لأننا نخلينا عن ديننا وبحشنا في غير الإسلام وحاولنا مرارًا وتكرارًا ولا نبوء إلا بالخيبة، والفشل، جربنا الاشتراكية، وجربنا القومية، وجربنا كل هذه الأشياء، ولا جدوى، «أنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بهذا الدين» ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فلا يمكن أن تكون لنا عزة إلا في الإسلام إطلاقًا، وما تبقى لنا من الإسلام على المستويات الفردية هو هذا الذي جعل للأمة كيان ووزن الآن فقط، دون المستويات الأخرى، مع ضعف هذا الوضع لكن مع ذلك هو الذي يجعل العالم كله يخاف، ويرتعد من المسلمين رغم الهوان الذي هم فيه، فكيف لو فعلاً تمسكوا بدينهم.

الأمم الأخرى ترتقي لما تتخلى عن عقيدتهم، لكن المسلمون لما يتخلوا عنها يرجعون إلى حيث كانوا، تأثير البيئة العربية الجاهل التخلف التقهقر فلم يخرجوا من ذلك إلا بالرجوع إلى عقيدتهم. هذه دلالة الواقع التاريخي، فهذا بالنسبة لكثير من الناس يتجرأون ممن يسمون أنفسهم بالليبراليين والناس ليست فاهمة يعني إيه بيحسبوا كلمة هكذا منورة الليبرالية ليبراليزم التي هي الحرية، التحرر بس تحرر من نوع خاص التحرر من جميع القيود، وبالذات قيد الدين.

الليبرالية تعني التحرر من القيود وخاصة في مقدمة القيود الدين، هذا معنى الليبرالية، هم معذورين في الغرب لما طلوعوا الليبرالية من أجل أن عقيدة فاسدة، تفليس وشرك ووثنية وصكوك غفران

وكراسي اعتراف إلى آخره، وتخلف ورفض للعلم، ومعاودة للعلم، فبالتالي صحيح إن هم رفضوا الدين الباطل، ولم يبحثوا عن دين الحق، هذه قصة الغرب، رفض الدين الباطل فكان المفروض يبحث عن الدين الحق، لأنهم عموماً أحكامهم على كل الأديان بما فيه دين الإسلام.

وهذا أشد الظلم الذي وقع لأنهم لو درسوا الإسلام وعرفوا الإسلام ما كان والله أعلم يحصل ما حصل، فابحاولوا يفرضوا نفس النظم عندنا، فصل الدين عن الحياة لأن الدين يعادي العلم، الدين يصادم الحقائق العلمية، الدين يؤخر، الدين يفرق الناس، إلى آخره فالببغاوات عندنا يكرروا نفس الكلام، ويفخروا يقولوا أنا لبرالي، أنا علماني، ويتصور إن علماني معناها علم، ولا علاقة إطلاقاً بكلمة العلمانية بالعلم إطلاقاً، ليس هناك أي علاقة بينهم لكن لأن الكلمة كلمة مستوردة أما ترجموها حصل خلط كبير، فبعضهم هي أدق كلمة أن يقول اللادينية secularism يعني العلمانية، بمعنى وأدق إن احنا نقول العلمانية أفضل نسبة إلى العالم العلمانية يعني نسبة إلى هذا العالم الدنيوي، بغض النظر عن الآخرة والغيبيات كل هذا ما لناش دعوة به.

فالعلمانية يعني النظام الذي يسود الحياة مع فصل الدين، فالدين هذا يبقى مثل الذي يجب فأكهة، هذا ما يبحش الثانية الألوان، الأزواق الخاصة فالدين هذا شيء شخصي، فاهذا ينفع مع النصرانية، مع البوذية، لكن في الإسلام لا يمكن أبداً أن يعد الإسلام قضية شخصية بين العبد وربّه، فالليبراليين الببغاوات يكررون نفس الكلام في موضوع فصل الدين عن الحياة، لا يريد أخوض كثير في الموضوع لكن الحقيقة الكلام له شجونه وبتحصل استفزاز كثيرة في الإعلام مثل ما واحد يقول لك عايزين يرجعوننا يحكمونا بقوانين من أربعة عشر قرناً هذه خيبة إن يقول هكذا هذا إنسان

كالعيس في الببغاء يقتلها الظلم .: والماء فوق ظهورها محمول

يعني ربنا أكرمك بالإسلام وبالقرآن وتكفر بهذه النعمة وتطعن في شريعة الله وتطعن في شريعة الله، فهذا بمناسبة إن احنا لما نرجع للعصور الأولى إحنا رجوعنا للعصور إنها ليست رجعية، بالعكس كلما اقتربنا من العصور التالية كلما تسامينا، هذا نحن ليس رجوع للوراء هي ارتقاء وارتفاع وسمو إلى منزلة السلف الصالح والصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون الخيرية.

فهذا ارتقاء ليس رجوعاً للوراء فهما عندهم أي حاجة يأخذها من الرجوع للوراء هذا ممكن لكن في الشرائع الوضعية، الناس بتترقى لكن تقول هكذا مع شريعة إلهية فإدمت تعتقد أنها شريعة الله كيف تصفها بالتخلف أو الجمود إلى آخره، وهو السائد في الساحة الثقافية هو البلطجة، هذا التعبير اللائق بالوضع الذي يحصل واحد ببيحتكر أجهزة الإعلام أو الصحافة أو كذا وعنده قدرة جيش مجند للكذب والافتراء فما يضيع الفرصة.

لكن يستحيل هؤلاء الناس يتعاملوا بإنصاف مصفحين ضد الإنصاف، ويحاولوا دائماً يقول لك السلفية الوهابيين السلفية دول يظهر أن حاجة هكذا طالعة، هكذا نبات غريب طالع في حين أن السلفية، لا يهمننا الاسم لا يهمننا أبداً التمسك باسم السلفية لسنا كغيرنا نتعبدنا الألقاب واللافتات ليست لنا أي شأن بالأسماء، لكن الجوهر المضمون إيه هل السلفية تفرق الأمة لو بتفرق يبقى لا نريد كلمة سلفية، بس إيه الجوهر الجوهر للدائرة العظمى هي دائرة الإسلام الدائرة الكبيرة في داخل هذه الدائرة الواقع يقول ومن قبل ذلك «النَّاسُ تَخْتَلِفُ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»^(٣٨).

فكما تقول أنا مصري وسكندري أقول لك أنت بتفرق المصريين هكذا أنت بتفرق الأمة، هذا ما فيش تناقض لأن أنا فعلاً سكندري هذه الصفة الخاصة، لكن الصفة الأعم هي الإسلام، فكانت كلمة مسلم كفاية أوي أوي في القرون الأولى أو في القرن الأول في عهد الصحابة قبل ظهور الفرق، فمسلم خلاص كفاية ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

لكن بعد ما وجد الفرق التي أخبر بها الرسول ﷺ وحصل تفرق في أصول الدين شيعة، وجبرية، وقدرية وجهمية إلى آخره فهنا لم تعد كلمة إسلام كواقع كافية في الدلالة على المنهج بتاع الإسلام، لكن بنقول مسلم من أهل السنة والجماعة، ليس هناك تعارض إطلاقاً ليس تفرقة، وإن كان لابد فهي تفرقة مطلوبة، لأن محمداً فرق بين الناس جاي يفرق بين الناس على أساس الحق، فلما يبقى هو مسلم ومتبع لمنهج أهل السنة والجماعة لو هو على طريقة الصحابة رضي الله عنهم، يبقى لا تفرق هذا من أجل أن يميز إن كان من الفرق الضالة أو من الفرقة الناجية التي هي أهل السنة والجماعة بنص حديث رسول الله ﷺ من أجل أن هكذا أهل السنة والجماعة لا يصلح توجه لهم سؤال متى نشأت هذه الفرقة مستحيل، ليه لأن هو هذا المجرى الرئيسي الذي يكون فيه نهر كبير، وفيه روافد.

فالمجرى الرئيسي هو الإسلام وأهل السنة والجماعة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية هم نقاوة أهل الإسلام، فهم مسلمون بل هم في قمة المسلمين علماً وعملاً إلى آخره، فلذلك ليس تعارض بين كلمة سلفي أو سميها ما شئت ليس مهم الاسم المهم المحتوى، إنه على طريقة الصحابة والتابعين في فهم الكتاب والسنة والعمل بهم، فهذه معنى السلفية سميها بقى سلفية أهل السن والجماعة أهل الحديث سمي ما شئت ليس مشكلة الأسماء المهم المحتوى، ولذلك الفرق الضالة لا تجرؤ على المناقشة المنصفة أيضاً ليه لأن الميزة الأولى والعظمى للسلفية هي منهج له نسب، له نسب له سند كل عقائد أهل السنة

والجماعة مدونة في كتب الأحاديث والكتب التي صنف في مسائل العقائد، فلذلك بتحدى بهذه الأسانيد أي فرقة ضلت وانحرفت عن منهج أهل السنة والجماعة.

لما أحد العلماء المعاصرين رحمته الله إمام جليل من أئمة الفقه في مصر طبعًا الشيخ محمد أبو زهرة رحمته الله تكلم كلام يعني كان شديدًا في حق السلفية، فيه ملاحظات شديدة عليه لكن هو في كتابه «تاريخ المذاهب الإسلامية» الجزء الثاني المذاهب العقائدية والسياسية لما تكلم عن السلفيين، يقول إيه «يريد هؤلاء السلفيين أن يعودوا بنا في فهم أدلة الكتاب والسنة إلى فهم السلف الصالح وأن نترك علم الكلام والفلسفة... الخ»، فهذه ما فيش شهادة في تزكية هذا المنهج أعظم من هذه الشهادة مع احترامي للشيخ وبندعوه إن ربنا يغفر له لأن هو كان إنسانًا مخلصًا إن شاء الله نحسبه كذلك في الدفاع عن الإسلام وبذل الكثير، وإمام من أئمة الفقه والأصول إمام كبير الشيخ أبو زهرة رحمته الله لكن مع ذلك هو مخطئ في هذا فهذا مدح ليس ذم:

فبرائه الحسناء قلنا لوجهها كذبا وزورا إنه لدميم

فليس بالدعاوى لكن لا يناقشنا أحد، على فكرة نحن على ما عليه السلف لأن معانا الأسانيد، لكن هم أضافوا للدين حينما تأثروا بفلاسفة اليونان، بهذه الأفكار الوافدة، فدعوتنا ليست جديدة، يعني السلفيين يقولون نحن متمسكين بالكتاب والسنة بفهم السلف، التانيين يقولوا لا لازم نفتح على الثقافات الأخرى ووصل بهم الأمر كما تعرفون عند الصوفية إلى اختراع أصول غريبة تمامًا عن منهج الإسلام، هذا بقى غير الشيعة والضلال المبين الذي وقعوا فيه يقولوا العلى من أوائل الإشارات التي أوردها مصادرنا عن عناية الدولة الإسلامية بالمواليد عند ولادتهم تعود بنا إلى العصر الراشدي وبالتحديد إلى عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رحمته الله، الذي كان يفرض لكل طفل فطيم، يفرض العطاء يعني مرتب مرتب، كل سنة لأي طفل بيولد بس يكون طفل الذي يولد ويفطم بدأت بكدا الأول يعني الطفل أول ما ينفطم يحتاج أكل ونفقة وكدا إنه كبير، ففرض له من بيت المال مرتب سنوي، فرض لكل طفل فطيم.

لكنه عندما تبين له أن هذا الإجراء أضر بالأطفال من جراء تعجيل الأمهات لفظام أطفالهن طمعًا في تعجيل العطاء، يعني عرف إن الأمهات بدأت تفظم الطفل بدري من أجل أن تلحق تأخذ المرتب هذا فلما علم ذلك أن هذا الإجراء الذي أراد به الإحسان إلى الأطفال تحول إلى إضرار بالأطفال لأنه يحرم الأطفال من حقهم في الرضاعة، هنا عدل أمير المؤمنين رحمته الله عن قراره وأخذ يفرض العطاء لكل مولود يولد في الإسلام.

طبعًا موجود الآن في البلاد الأوروبية أعرف إنه في ألمانيا الطفل بيتولد طبعًا يا فرحة الأسرة لأن الدولة الشعب عاد ينقرض يكرهون الزواج، يجبوا أولاد الآخرين لكن هم لا يريدون مسؤوليات

خالص، وبالتالي ففيه انقراض للجنس الآري الألماني، فالدولة بتشجيعه تشجيع غريب جداً على كثرة النسل، الطفل يصرفوا عليه لما كانت في ألمانيا كنت أسمع من الأخوة عن هذه الأشياء، دخل عجب مرة قابلت أخ مسلم لبناني عايش في المدينة اسمها (زل) الأخ هذا عنده أولاد كثير جداً، لا يعرف إذا كان واصل مثل ٣٠ ابن أو حاجة مثل هكذا وعايش في رغد من العيش مستوى مادي عالي جداً ليه، لأن هو يظهر كان واخذ الجنسية فبالتالي كل ما يجيب طفل.. فالمسلمين أكثر ما يستفيدون في هذا، لأن الدخل يرتفع جداً لأن الطفل لا يستهلك لكن هو مصدر رزق وفير لهم، فالشاهد إن هذا كان موجود في الدولة الإسلامية في العصر القديم فنحن نترقى لما بنرجع لهم ولا لما بنرجع لوراء رجعيين مثل ما كان عبد الناصر كان يسمي الإسلام رجعية، الرجعية يعني الإسلام أيامها هذا ليس رجوع هذا أو التقهقر هذا دفاع عن مستوى السلف الصالح عليه السلام.

تفصيل خلفيات هذا القرار الذي ترويه لنا المراجع الإسلامية، أنه في ذات ليلة هو كان عمر بن الخطاب عليه السلام برفقة الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف عليه السلام كانا يحرسان تجاراً قدموا المدينة النبوية، فاستمع عمر عليه السلام بكاء صبي فتوجه نحو الصبي فقال لأمه اتقي الله وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه لكن الطفل لم يتوقف عن البكاء، فعاد إلى أمه ثلاث مرات ومنها علم أن سبب البكاء هو تعجيل الأم فطامه لتأخذ العطاء، قالت له إن عمر يعمل عطاء لما الطفل ينظم من أجل أن هكذا هي عجلت بالفطام فقال عمر عليه السلام متأسفاً على قراره السابق، «يا ويل عمر كم حمل من وزر وهو لا يعلم» ثم أمر مناديه فنادى لا تعجلوا أولادكم بالفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب إلى الآفاق بذلك، أما عن مقدار العطاء الذي فرضه أمير المؤمنين عليه السلام للمواليد الجدد طبعاً لا تتوفر إحصائيات أو معايير لكن كان العطاء عموماً يتناسب طردياً مع الغلاء والرخص في الأقاليم المختلفة، كان عطاء الطفل في العراق مثلاً مائة درهم وجريبان، في كل شهر عبارة عن مكيال قدر أربعة أقفزة جمع قفيز والقفيز: القفيز في مصر يعادل ١٦ كيلو جرام، فيبقى الجريب الواحد يساوي: ٦٤ كيلو هذا الجريب الواحد فكان بيعطي الطفل مائة درهم وجريبين يعني ١٢٨ كيلو جرام للطفل هذا في العراق.

سئل الفاروق عليه السلام خالد بن عرفة العذري عما ورائه في العراق، وقال خالد تركتهم يسألون الله أن يزيد في عمرهم من أعمارهم من شدة حبههم لأمر المؤمنين عليه السلام ما وطئ أحد القادسية إلا وعطاؤه الفاني أو خمس عشرة مئة، وما من مولود ذكراً كان أو أنثى إلا ألحق في مئة وجريبين في كل شهر مائة درهم وجريبان.

حصل تطور في عطاء الأطفال، في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان عليه السلام إذ أخذ هذا العطاء ينمو مع نمو الطفل يعني العطاء، الذي فضل لعمر كان كل سنة أو كل شهر بالصورة هذه ثابت.

كان عثمان بن عفان كلما نَمى الطفل زاد هذا العطاء فعند ولادته يكون له عطاء حتى إذا بلغ سنة تضاعف هذا العطاء، فيروى أن امرأة كانت تتردد على منزل عثمان رضي الله عنه فافتقدها ذات يوم فسئل أهله عنها فأجابوه بأنها ولد الليلة غلاماً فأرسل إليها خمسين درهماً وثوباً فضفاضاً، وقال لها هذا عطاء ابنك وهذه كسوتك فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مئة.

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يفرض للمولود بمجرد ميلاده مئة درهم أو عشرة دنانير أيضاً، أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه كان يطلب من رؤساء وأشراف القبائل بأن يبلغوه بالمواليد ليفرض لهم، ليس هذا فحسب بل كان يرسل منادياً هل من مولود ليفرض له، يمشي في الشوارع ينادي هل فيه ولد في هذا الشارع أو الحي مولود حتى يفرض له العطاء.

وقال أدهم ابن محرز إني أول مولود في الإسلام بحمص وأول مولود فرض له بها، لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ضمن الدستور الحضاري الإسلامي الإنفاق على الطفل قبل أن يولد يعني وهو جنين من خلال الإنفاق على أمه، وهذه موجودة في القرآن الكريم إن الأم الحامل يكون لها حق في النفقة، ولذلك الذي يوضح لنا المسألة لو أم ناشز هي ناشز على زوجها، ولكنها حامل تسقط نفقتها، إحنا معروف النشوز يسقط النفقة، لكن لو كانت حاملاً لا تسقط النفقة مع أنها ناشز، لكن يجب أن ينفق عليها زوجها لأنها حامل.

من واجب الرجل الذي طلق زوجته الحامل الإنفاق عليها أثناء الحمل وتستمر عملية الإنفاق ما لم تتزوج يقول تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ أَكْزَلًا مِّمَّنْ لَمَّا أَتَتْهُنَّ فَأَقْبَرُوهُنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] وذلك ضماناً لحياة الجنين والطفل، فالنفقة واجبة على الأب فإن كان الأب ميتاً فعلى الورثة الأقرب فالأقرب ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] يعني لو الطفل أبوه مات لن يضيع لأ الغنم بالغرم مثل ما أقاربه يرثون منه إذا مات كذلك يقومون مقامه إذا وجبت عليه حقوق فلذلك الورثة يقومون مقام الأب عند افتقاده ولذلك قال تعالى ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

لن يضيع الطفل تنقل بالغنم بالغرم، فالنفقة واجبة على الأب فإذا كان ميتاً فعلى الورثة الأقرب فالأقرب، يجب انتقاؤها بعناية يجب إن تنتقي الأم الثانية لولدك لأنها أم الثانية زوجها سيكون أباً لابنك الذي سترضعه أباً من الرضاعة، وهكذا، أحكام في غاية الدقة كما تعلمون، فمن ثم اهتمت الشريعة الإسلامية جداً بانتقاء الأم التي ترضع. الأم الثانية التي هي أم من الرضاعة لأن اللبن تأثيراً في الطباع، جاءت في بعض الآثار لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فإن اللبن يعبر كأنه يتسبب في انتقال صفات إرثيه إلى هذا الطفل، لهذا يرى الطوسي المشهري تفضيل الموضع الحرة والمسلمة ذات العفة والعقل

والوضاعة، وزاد بعض الأطباء المسلمين صفات أخرى غير الدين والأخلاق مثل صغر السن سلامة الصحة الحليب الجيد، وأن يكون للمرضع ما لا يقل عن ولدين هذا فيما يتعلق بهذا الحق وهو حق الرضاعة.

الحق الخامس من حقوق الأطفال : حق الحضانة :

كانت الأعراف الجاهلية تعطي للأب وعصبته حق الحضانة، فجاء الإسلام يرجع الأمر إلى أصله ويرجع الحضانة من حق الأم لأنها منبع الحنان والعواطف يعني في الشريعة الإسلامية نلاحظ أيضًا الانحياز العجيب لمصلحة الطفل.

من أجل أن هكذا الناس الذين لا يفهمون قضية التربية بالذات عملية التأديب، أو العقوبة يقع منهم فساد كبير جدًا، يعني هو يتصور إنه مطلق الحرية في التصرف كما يشاء لا يحاسبه أحد، يقول لك ابنه وأنا حر فيه يضربه يعذبه يعمل له عاهة إلى آخره، ليه لأنه لا يفهم أن هناك سلطة أعلى منه سلطة الشريعة تهذب سلوكه وتجعل العقوبة ليست انتقامًا من الطفل.

لكن الموضوع كله بيدور حول أين تكون مصلحة الطفل ففي حالة معينة قد يكون هناك طفل لا يصلحه إلا نوع من الشدة، طبعًا بشروط ليس الهدف الانتقام الطفل غير مكلف، فاحنا كل الموضوع ما الذي يحسب القرارات أن يصب في مصلحة الطفل، فكل القاعدة تدور حول مصلحته فالشريعة منحازة تمامًا إلى مصلحة الطفل، منحازة لمصلحة الطفل تمامًا لأنه لا يضمن التعبير عن نفسه، ولا يطالب بحق.

ولذلك جاءت هذه الإجراءات، فالشريعة عطلت ما كان عليه الجاهلية من أن حق الحضانة يرجع للعصبة أو الأب والعصبة بتاعة الأب، فجاء الإسلام فعدل هذا الأمر وأصلحه وجعل الحضانة من حق الأم في غاية الواقعية، فينظر أين المصلحة.

فالأصل في فترة الصغر التي فيها الرضاع والعناية بنظافته وكذا وكذا بتكون الأم، فيبقى انتهاء سن الحضانة مع الأم، فإذا كبر واحتاج إلى عناية الأب به فتنقل الحضانة إلى الأب شيء منطقي جدًا، يقول وجعلها من حق الأم لأنها منبع الحنان والعواطف فقرابتها والتصاقها بالابن أكثر من الأب.

بل جعل الإسلام الأولوية بالحضانة بعد الأم لمن له صلة أقرب للأم فمثلاً، جدته لأمه أولى بالحضانة من جدته لأبيه، وخالته أولى من عمته لأن الرسول ﷺ قال: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ»^(٣٩) عبرت إحدى الصحابيات أجمل تعبير عن حقها في الحضانة بعدما طلقها زوجها وأراد أن ينزع وليدها منها فقالت «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءٌ وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءٌ وَحَجْرِي لَهُ حِوَاءٌ وَإِنَّ أَبَاهُ

طَلَّقَنِي وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي^(١) يعني ما لم تتزوجي، لأن الأم في هذه الحالة ستنشغل بواجبات الزوج فيكون على حساب الطفل. كأن الشريعة تكافئها ما دامت تحبس نفسها على رعاية هذا الطفل، فأثبت لها حق الحضانة وأثبت لها كذا وكذا من هذه الحقوق، لكن إذا نازع حق الطفل حق آخر تلتقي الحضانة إلى من يتفرغ للعناية بالطفل.

هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في المدينة بقامته المديدة وهيئته الظاهرة، يرى في ناحية من الطريق ابنه عاصمًا الذي أنجبه من امرأة أنصارية كان قد طلقها رآه يسير مع جدته لأمه فانتزعه منها بقوة بدنه وقوة شخصيته هذا ابنه، وكان مع جدته لأمه لكن العجوز التي كانت تدرك أنها تعيش في دولة لا يظلم فيها أحد، وأن الحق أكبر من عمر رضي الله عنه، لن تتركه بل أخذت تنازعه الولد وخاصمته بين يدي خليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فانتزع الصديق الطفل من يده بقوة الحق، وقال له عبارته المشهورة الخالدة المعبرة عن روح الحضارة الإسلامية ورسالة الإسلام التي جاءت رحمة للعالمين، انتزعه الصديق من عمر وأعادته إلى جدته أمه وقال له «ريحها ومسها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك» بهذه العبارات العاطفية الكاشفة بين الصديق رضي الله عنه العواطف الإنسانية التي يضمها قلب الأم الرؤوم، فإذا كانت الأم تغذي وليدها بما يدره جسدها من غذاء صالح لنموه، فهي بنظراتها وبشاشتها وحنانها وهزها له في المهد، وابتسامتها له في الحجر، ومناعاتها له، تقدم له غذاءً عاطفيًا يتعاون مع الغذاء المادي في تنميته وقوته، وإن كان هذا الغذاء المادي بسيطاً فهو أفضل من الشهد عند أبيه في غياب أمه. أيضاً كفلت الشريعة الإسلامية حق الطفل في كف الأذى عنه وتمثل ذلك في الختام وحلق الرأس وغير ذلك فمن مظاهر الاهتمام بنظافته إلى جانب حقه في التربية والتعليم والتأديب.

نكتفي بهذا القدر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

* * *